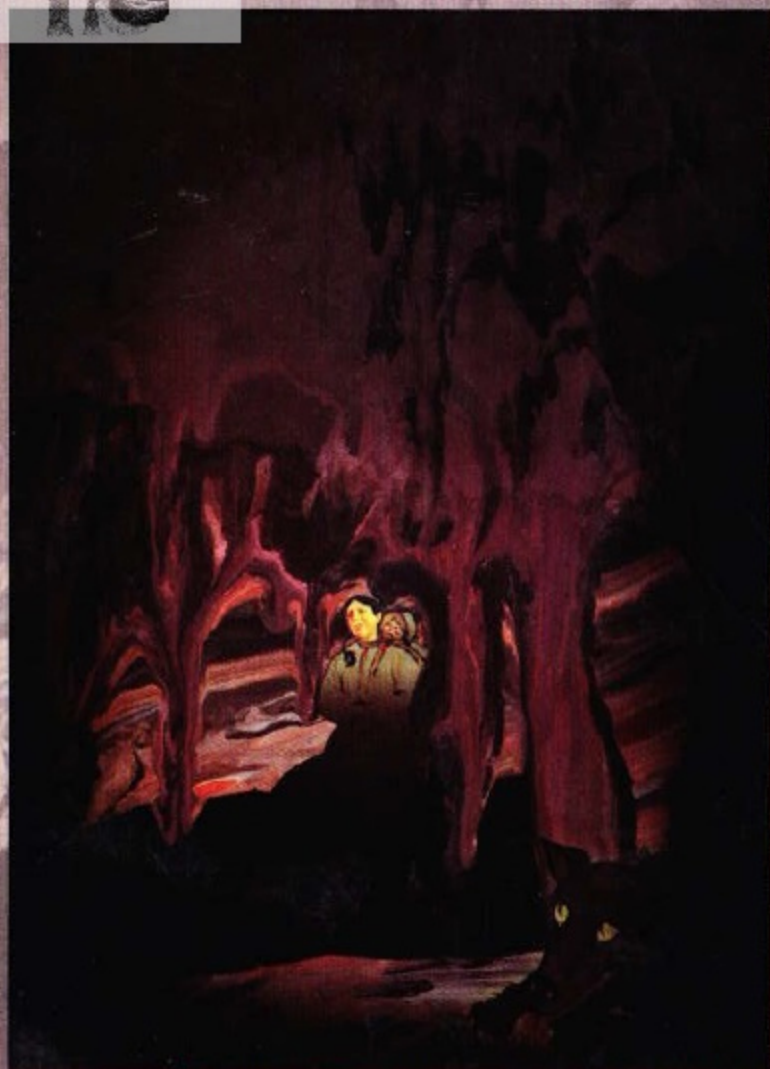


إيف تياريو



# أثاغول

SCANNED BY  
JAMAL HATMAL



ترجمة عن الفرنسية :

د. محمد عبدو النجاري

أغغوك

- المؤلفان الأصليين: أغاغوك
- المؤلفان: إيف تيريو
- جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

• الطبعة الأولى:  
ورثة إيف تيريو،  
دار بيرنار غراسيه (باريس)  
ومعهد كيبك الأدبي (كيبك)

• الطبعة العربية: © 2001 ورثة إيف تيريو،  
و دار الحصان - دمشق (سورية)  
سورية، دمشق، برامكة، ص. ب: 4490  
هاتف و فاكس : 2126326

بالتعاون مع:

“Conseil des Arts Du Canada Et du Ministère des  
Affaires étrangères et du Commerce international du  
Canada”

- موافقة وزارة الإعلام ٤٩٣٩٥ تاريخ ٢٤/٩/٢٠٠٠
- ترجمه عن الفرنسية: د. محمد عبدو النجاري
- راجعه مع الأصل: الأستاذ منصف عمر أبو القاسم
- التدقيق اللغوي: الشيخ توفيق الحسيني.

إيف تيريو

# أغغوك

رواية

ترجمة عن الفرنسية:  
د. محمد عبسو النجاري

- Titre original: AGAGUK
- Auteur: YVES THÉRIAULT
- L'auteur affirme ses droits moraux  
de copyright dans cet ouvrage
  
- Édition originale:  
© 1958 - Succession Yves Thériault,  
Éditions Bernard Grasset (Paris)  
et Institut littéraire du Québec (Québec)
  
- Éditions en langue arabe:  
© 2000 - Succession Yves Thériault  
et DAR AL-HASSAD, Damas (Syrie)

تجري أحداث هذه الرواية لدى سكان  
الاسكيمو، وتصورهم كما كانوا عليه في  
الأربعينات. وإن كانت حياتهم قد تبدلت اليوم  
بسبب اجتياح التقدم لمناطق القطب الشمالي،  
فهذا أمر لاجدال فيه، وهو ما سيجعله المؤلف  
موضوع روايته القادمة.

YVES THÉRIAULT

AGAGUK

TRADUCTION:  
DR. MOHAMMAD NAJARI

Édition Al-Hassad  
Syrie - Damas  
Fax: 2126326  
C. P: 4490

“Ce livre a reçu une subvention du Conseil des Arts  
Du Canada Et du Ministère des Affaires étrangères  
et du Commerce international du Canada”

## أرض الميعاد<sup>(1)</sup> - ANIKSAK

عندما شَبَّ أغاغوك، وبرهن على بسالته، أخذ بندقية وقربة ماء، وشطائر لحم مجفف، ثم رحل عبر براري «التونдра»<sup>(2)</sup> المنبسطة والمستوية كسماء الشتاء حيث لأفق فيها ولاشجر.

بقدم خبيرة كان يسير الأماكن المناسبة متجنباً جحور الحيوانات. وكان عندما يجد تَلَّةً غير متصدعة وذات قاع صلب، يجوبها من كافة الاتجاهات ليقيسها جيداً، ثم يغرز وتَدِين وينصب خيمة من جلد الرنَّة.

الكوخ الجليدي سيبنيه فيما بعد مع تساقط الثلوج.

---

(1) - يكتب المؤلف عنوان كل فصل بلغة الاسكيمو ومايقابله بالفرنسية.  
(2) - Toundra (توندرا) - وتعني سهب مُجَلَّد جزئياً يتميز بوجود بعض الأعشاب فيه. تسهلاً للقراءة نتركها كما هي في الأصل.



أولاً، أسبوعاً في النواحي لدراسة آثار الحيوانات ورصد السماء  
والرياح وسير السحب.

في التوندرا بمديتها، حفرة بطول ثلاثة أشبار وعمق نصف ذراع  
من الماء وغمر القاع.

ون براً كافية من أجل البقاء.

الأسبوع نزع أغاغوك ستة ثعالب وغريرين من الفخاخ التي نصبها،  
أفترت رنة من التلة أرهاها بطلقة واحدة.

دخن بسرعة، قسماً من اللحم من أجل رحلة العودة، ثم بعثر الباقي في  
الحوار لاجتذاب الثعالب والذئاب كي تقترب، في غيابه، من هذه التلة.

استغرقت عودته إلى القرية يومين في المسير باتجاه الشمال. عند وصوله،  
ام يذهب إلى الخيمة التي يسكنها راموك. وإن كان هذا الأخير والده ذات يوم،  
فما عاد هذا الأمر يهمه الآن، إذ قرر أغاغوك، منذ أن تزوج العجوز امرأة من  
قبيلة «المونتانيه» ليستعيض بها عن المرأة المتوفاة، قرر بأن أواصر القرى قد  
تقطعت.

استطاع أن يحس بالحرية.

كان عمره ثمانية عشر عاماً. وقد صار صياداً قديراً، ويتقن تحضير الجلود  
أيضاً، وذاك كل ما ينبغي الإمام به.

ظلت إريوك.

كانت هي الأخرى حرة لأن والديها قد ماتا. تعيش وحيدة في خيمة  
طلما حام حولها آبايك وغيره. قبل شهر اندفع أغاغوك في الوقت المناسب،  
صوب الفتاة التي كانت تستغيث بمن ينتشلها من بين ذراعي غوروك.

- إنها لي! أعلن أغاغوك. - فدعوها في أمان.

بعد أن خرج غوروك من الخيمة. ألقت إريوك على أغاغوك، نظرة مؤثرة  
ومذعنة أكثر مما كان يخيّل إليه ثم قالت:

- لم أكن أعلم بأنني لك.

- أنت كذلك.

فابتسمت ابتسامة غامضة وقالت:

- يروقني هذا!

ومنذ ذلك الحين، ذأب أضاغوك على إنجاز مشروعه. سيبحث عن تلة، بعيداً في التندرا، وسينصب هناك خيمة. وعند حلول الثلج سيني كوخاً. كوخاً بالغ الكبر ومكثناً عصبياً على الرياح كلها.

وسيعيش هناك، هو والفتاة، بعيداً عن راموك وغوروك وآيالك، وعن الآخرين جميعاً، دون أية ذكرى - بليلة جديدة.

جمع أضاغوك الضروري - المؤونة، وحلود الرنة من أجل خيمة خفيضة ومؤقتة، وأسلحته المزينة والمشحونة. وشذب وتَدَدِين طويلين، ثم انصرف برفقة كلين، صوب الجنوب الشرقي، صوب البلاد حيث عاشت، كما قيل، الدماء - الهجينة، البلاد التي سماها البيض «لايرادور».

وفق ذكريات الصيد القديم، وحكايات المسنين، وكذا الروائح المحمولة فوق الريح، وحسب لون السماء وسياك الحيوانات، فإن جغرافية هذه الأصقاع كانت معروفة إلى الـ «اينويت» (INUIT). عند شمس المساء، مياه غزيرة، ولكنها مياه توغلت، كما قيل في الأراضي. أطلقت البيض على هذه المياه اسم خليج هودسون. في الجانب الآخر عاش، كما قيل، «اينويت» آخرون مشابهون لـ «اينويت» قرية أضاغوك. عند شمس الصباح - على بعد أربعة أيام من التوندرا - ثمة أرض مقفرة، قاحلة، موطن الأحجار والشتاء المرعب، خالية من كل أصناف الحيوانات. وثمة أيضاً مياه غزيرة، ولكنها بعيدة جداً ومتحركة بسبب العواصف، وما كان ينبغي العوم في هذه المياه على متن قارب صغير. في بلاد النجم، صوب الشمال، كما يقول البيض - كانت هناك مياه أيضاً، وجزر

(1) INUIT: (اينويت) وتعني سكان الاسكيمو.

واسعة وهي موطن الثلوج الأبدية، حيث عاش الـ«اينويت» دائماً في الأكواخ الجليدية. في الجنوب، بعد توندرا الطحلب يوجد موطن الأشجار والتلال والحيوانات الغريبة، والبيض ومدنهم، والهنود أيضاً من قبائل: مونتانيه، وأييناكي وأوبجيبواي، والدماء - الهجينة، ولكنه بعيد جداً في موطن الشموس والتجم أو بلاد الأشجار التي يندر الاهتمام بها. أما هنا فكانت التوندرا - هذه الأصقاع البديعة المألوفة. فاكتفى بها أغاغوك شأنه شأن الآخرين.

في منتصف الطريق ما بين قرية الخيام وبين الوطن المسمى «لابرادور»، عثر أغاغوك على المكان الذي حلم به، التلة المناسبة والمميزة، ضرب من جزيرة صغيرة أكثر صلابة، تنوء لايكاد يلاحظ وسط توندرا الطحلب الاسفنجي هذا المائل إلى السمرة، قشرة حية تخفي تربة دائمة التجلد. إلى تلك الأرض سيأخذ أغاغوك إريوك ليعيش معها قدره.

فعاد إلى القرية سعياً وراء الفتاة.

قال أغاغوك:

- سنرحل بعد ثلاثة أيام، ماذا ستأخذين معك؟

- قليلاً من الأشياء. صرة فقط. وكلاي.

- أهذا كل شيء؟

- لاشيء عندي سواك.

جهّز أغاغوك صرتين، صرته وصرّة الفتاة.

ما جمعه معاً كان، أوتاداً لخيمة أكبر، وجميع جلود الرنة والفقمة التي كانت في حوزة أغاغوك. والسيور الجلدية والإبر المصنوعة من أنياب الذئب البحري، والقدور الحديدية والطلقات وغيرها من الأدوات الضرورية.

وأخذوا كذلك موقداً معدنياً لتسخين الزيت أو الدهن، موقداً كان أغاغوك  
٥٠. -اره مقايضة في مخزن البيض القريب من الماء الكبير.

كان الموقد متاعاً نفيساً، تفحصته إريوك من كافة الجهات، دون أن تمل من الافتتان به ثم قالت:

- ستحلوا الحياة في الكوخ بوجود هذا الموقد.

كانت تلمسه لمساً رقيقاً قريباً من الوجمل.

وكانت صرة الفتاة تحتوي على دهن يكفي شهراً، وعلى اللحم المقدد وأعواد ثقاب البيض، وعلى الشاي. أما الشاي فقد علمها أحد المبشرين شربه، وكان رجلاً في مجبّة، ذا وجه نحيل وعينين يعلوهما حاجبان كثبان. كان الكاهن يقول: هذا شراب منعش. وكان محقاً في ذلك. ومن بين كل الأشياء التي تحدث عنها الكاهن، كان ذلك هو الدرس الوحيد الذي استرعى انتباه إريوك. قايضها أوناك كيساً من الشاي مقابل جلد ثعلبين... كان ثميناً، ولكن أغاغوك أيضاً يحب الشاي.

وانطلق الشاب والفتاة في السفر ذات صباح.

رحلا، والصرر على ظهريهما، وكلبا أغاغوك وكلاب إريوك الثلاثة ملجمة بسيور طويلة معقودة حول المعصم، رحلا دون وداع أو التفات إلى الوراء، صوب التوندرا المقفرة.

## الأنثى - A'NGNAK

ولأن الوقت كان صيفاً، فقد كان مسير اليوم الأول بطيئاً ومنهكاً. كانت الضُرر ثقيلة، والكلاب عصبية في نهاية السبور. ستكون الرحلة أطول مما توقعها أغاغوك. واقتضى الأمر كذلك، الوقوف مراراً لمراقبة المعالم في التوندرا: آثار (MUKLUK موكلوك)<sup>(1)</sup> على الطحلب، أو وهدة لاتكاد تُلاحظ في الأفق، وهناك أيضاً تلك التلّة... وهكذا كان أغاغوك قد طبع الدرب الذي عليه أن يسلكه، في ذاكرته من أجل العثور على التلّة المختارة.

عندما غربت الشمس خلف الافق، فكّر أغاغوك في وجوب التوقف. أكلا معاً ثم ناما. أحسّ أغاغوك، ذات لحظة في أثناء المسير، بهيجان عذب. إذ تسارع جريان الدم في عروقه، وارتعش بدنه... فقد كانت خلفه هذه الفتاة،

---

(1) MUKLUK: نعل الأسكيمو المصنوع من جلد (الفقمة أو الأيل أو الرنة).

إريوك، موضوع حلمه واشتياقه في الأشهر الفائتة، والانتظار الطويل. إنها هنا، طيعة، ومُلكٌ يمينه. غير أنه شعر شعوراً غامضاً بأن للسفر نهاية عليه أن لا يستبقها. فهناك، غايتها المقصودة، موطنهما من الآن فصاعداً، وانتماؤهما، هناك وهناك فقط ينبغي عليه أن يمتلكها.

في الليلة الأولى تحت النجوم، ناما، بعفة، جنباً إلى جنب، وتكرر الشيء ذاته في الليلة الثانية، أما في اليوم الثالث، وعندما بلغا المكان الذي اختاره أغاغوك، فقد خلّص الرجل الفتاة من حملها، ثم رمى بحمله هو الآخر على الأرض. ودون انتظار ألقى إريوك على ظهرها، وخلع سروالها الذي ترتديه وكان من جلد الرنة، ثم حلّ بنفسه سيور حذائها، وضاجعها بصمت. لم تصدر هي سوى شهقة كُتمت على الفور. ثم سرعان ما انقضّ - بعنف - بعضهما على بعض فوق أديم التوندرا الرطب.

وإذ لم يبق لديه ما يعطيه، وإذ أفرغ كل ما عنده، استلقى أغاغوك إلى جانب الفتاة، ثم نام الإثنين - نصف عارين - تحت سماء تشع رصاصاً.

حلّق صقر عالياً جداً، قادماً من غابات الجنوب، متوغلاً في أراضي الشمال حيث لاتزال بنات عرس سمراء تجري في وبرها الصيفي. ولم يلحظ الطائر أن اللحم المدخن الذي كانت إريوك تحمله قد سقط من الصرة واستقر على الطحلب.

\* \* \*

كانا قد وصلا قبل الغروب بزمن طويل، ولكن عندما أفقا كانت الشمس آيلة للغروب.

فرجّ أغاغوك، بسرعة، قرينته الجديدة في العمل. دقا أوتاداً قصيرة، وشيدا، لقضاء هذه الليلة، مأوى مؤقتاً وحسب.

كان المسكن ضيقاً وتوجب عليهما حماية الدهن واللحم المجفف بينهما في أثناء النوم، ليكونا في مأمن من الحيوانات.

في الصباح نصبنا خيمة أكثر اتساعاً، متينة وكافية حتى حلول الشتاء -  
زمن الأكواخ الجميلة.

عملاً بصمت، مجهدين نفسيهما في العمل.

كانت الفتاة قصيرة، ربة، ذات وجه مستدير وأملس، تشع فيه عينان  
صمغيتان. وكانت هادئة الأعصاب كتومة. تبدو جميلة إذا ما ابتسمت لأن  
أسنانها لم تتلف بعد من مضغ الجلود. غير أنها لم تبسم كثيراً في هذا النهار،  
إذ كان لديها عمل لا بد من إنجازه، ولم يكن لديها وقت قط للملاطفة أو  
الجمالة.

أغاغوك الأعرض منها، كان أخرق. ويبدو أكبر من أعوامه الثمانية عشر.  
في وجهه الذي أتلفته الريح وأفسده البرد تشع نظرة مألوفة لتحمّل انعكاسات  
الثلج الشديدة تحت الشمس. وكان يرى - كذلك - من مسافة ما يرى باشق،  
بل أبعد. كان يشير بسبابته إلى ابن عرس متحرك على مسافة مائة متر، إلى  
حيوان بحجم القبضة، وأسمر بلون التوندرا: كان ذلك ضرباً من السحر.

عاريًا، كان أغاغوك يبدو جميلاً، لأن بشرته كانت ملساء وداكنة،  
تتحرك العضلات من تحتها كأسلاك فولاذية مستعدة للاسترخاء.

كانت إريوك مكتنزة الخصر، قصيرة الفخذين جداً. نهداها صغيران،  
لكنهما مستديران حليبيان، لهما حلمتان شبه سوداوين دون هالة.

كانت رقيقة، غير خشنة، وقوية متينة البنية أيضاً مثل أغاغوك، قادرة، بقوة  
عضلاتها على نقل الأوزان الثقيلة.

أنفقا ما تبقى من النهار في إقامة الخيمة، ثم حلّ المساء، وعلى نور  
القنديل، لم يظل لديهما سوى إعداد السرير المجهز من الضحلب المرصوص،  
وطمر الحجر حتى نصفه في الأرض، حيث بوسع إريوك وضع الموقد وإعداد  
الطعام. وكان أغاغوك قد أعد من أجل ذلك، كوة للدخان والتهوية في أعلى  
الخيمة. وفوق الفتحة الحفيضة من حيث كانا يمران مقرصين، علّق أغاغوك  
حداً وثبته بأحجار ثقيلة من أجل، الليل ولمنع الذئب والثعالب من الدخول. ما

أو أحد يسعه التسلل إلى هذه الخيمة دون إيقاظ ساكنيها. كان ذلك ضرورياً.  
- أيعجبك هذا؟ - سأل أغاغوك.

ثم أضاف:

- بوسعك إعداد الطعام بيسر، ومضغ الجلود، والخياطة...  
- أجل، - أجابت إريوك.

ولكنها قالت ذلك بحنان لم يستدع إرهاف السمع لاستشفاف ما فيه من إحساس. فأين يمكن العثور على الكلمات عندما تكون الإشارات وافية بالمرام؟

أضافت إريوك بعد حين:

- لم يكن لدي متطلبات قط إزاء الخيمة.

عندما نامت إريوك، تسلل أغاغوك إلى الخارج، وظل جالساً على التلّة يتأمل النجوم.

كان منظر التوندرا بديعاً تحت ذلك الضياء الساكن الشامل. وفي الأفق الغربي، كان شريط الشمس الذهبي لمنتصف الليل، النور الأبدي...

مرّ شبح قريباً جداً، فزحف أغاغوك مسرعاً إلى الداخل، وأخذ بندقيته التي كانت مشحونة. سار بخفة على الطحلب الاسفنجي عائداً إلى الخارج. منتعلاً (الموكلوك) كان يمشي صامتاً مثل حيوان. اقتفى أثر الذئب مسافة كيلومترٍ حتى دنا دنواً شديداً من الطريدة التي لم تنتبه للموت الوشيك. أطلق أغاغوك النار. لعلعت الرصاصة في الليل. قفز الذئب ثم ترنّح وسقط أرضاً على رأسه.

عندما عاد أغاغوك إلى الخيمة، علّق الجثة عالياً فوق الأوتاد. هكذا سيكون الحيوان الميت بعيداً عن متناول الذئاب الأخرى أو الثعالب التي ستأتي منجذبة إلى رائحة الدم الغضّ.

لقد أثمر ما بعثره أغاغوك من بقايا لحم الرتّة في التوندرا حول التلّة، إذ



كان الذئب يتشمم الطحلب عندما أطلق أغاغوك النار عليه. ستكون هذه أول فروة تتم مقايضتها لدى البيض، ومن الأمعاء ستغزل إريوك السيور. أما اللحم فستستخدمه طُعماً جديداً من أجل حيوانات تتغذى باللحوم، والقوارض. كانت إريوك مستيقظة عندما دخل أغاغوك متسللاً إلى مخدعها.

- أنت من أطلق النار يا أغاغوك؟

- نعم.

- لماذا؟

- قتلْتُ ذئباً.

فتنهدت إريوك في رضى. أحس أغاغوك بسعادة بالغة. كان رجلاً لديه زوجة، وهذه الخيمة، وبنديتان، وطلقات، وحرية التوندرا، وحياة تُعاش. على ارتفاع كبير في السماء هدرت طائرة، غير أن أغاغوك لم يسمع شيئاً، كان نائماً.

لم تكثرث الطائرة - شأن الباشق الذي حلق نهاراً - بهذه الخيمة. بهذا التواء الضئيل في التوندرا...

## الذكر - ANGON

مرّ الوقت.

شمس، شمسان... وشموس أخرى أيضاً.

الآن ثمة جلود عديدة منشورة للتجفيف. إنها جلود حيوانات صيفية، لا تدر سوى القليل من الريح في صفقات المقايضة، غير أن صيد تلك الحيوانات قد أطلع أغاغوك على أسرار هذا الجوار. فالتونдра مكتنفة بالألغاز، شأنها في ذلك شأن الغابة والمناطق السهلية أو الأصقاع الجبلية. الأوجرة المحفورة في الطحلب، والآثار التي لا تكاد تلاحظ، وتحركات الحيوانات المألوفة. وحشرات كانت تعيش هنا، لا بد من معرفتها، وطيور تحلّق في السماء أحياناً، ثم تحط لحظة، هي أطعمة مرغوبة في أيام الفرح.

وعلى الأرض ثمة بنات عرس، والسمور المسكي، تتجه ضِعداً نحو

الجنوب، والبيكون المتعرج المشي ذو الفرو الثمين، والفأر المسكي.

وحیوانات الهضاب والمرتفعات أيضاً، الرنة، والذئب والثعالب التي يمكن مشاهدتها بسهولة، وأحياناً دب ذو دم هجين، ليس برمادي وليس بأبيض يطوف، وحيداً، في السهول الواسعة.

ثم عدد كبير من الحيوانات الصغيرة: فئران الحراج، والفئران الرمادية، وفئران الطحلب، وجميع القوارض غير الملحوظة التي تخرج في الليل، متسللة من تحت جدران الخيام، منهالة على المؤونة، طاحنة اللحم المجفف، متلذذة بالدهن، ملحقة الأذى حتى بسرابيل الجلد الخشن و(الموكلوك) قاضمة فراء المعاطف من الداخل، هناك حيث يعطيها العرق وملح الجسم مذاقاً لذيذاً.

وأحياناً ارنب بري ريبل، ورمادي وسريع كهبة ريح.

ولكل حيوان من هذه الحيوانات مصير يحدده أغاغوك.

فخ من أجل القوارض. وشباك للأرانب والبيكون. أما من أجل السمور المسكي فمصيدة للقوائم لاتلحق الضرر بالوبر النفيس. ورساصة للرنة، والذئب، رساصة صائبة قاضية تسدها عين رجل الاسكيمو الثاقبة.

كان أغاغوك يتباهى بكل هذه المعارف الموصوفة مرات عديدة. إذ كان يتبجح دون خجل، أمام إريوك، بمعرفة الكيفية التي تجعل تلك العلوم ثروة له. فما الذي لم ينجزه حتى الآن، وهو الذي لاتنقصه الحيلة؟ ولكنه عندما كان يشيد بمآثره الشخصية، كانت إريوك تمازحه مزحاً خبيثاً. فما أن يطلق على نفسه التسمية المتغطرسة، إينوك INUK<sup>(1)</sup>، حتى ترد عليه إريوك في الحال:

- أبو دم - هجين!

وكانت تلك أسوأ شتيمة، ولكن إريوك تنطق بها ضاحكة، وكانت تلك لحظتها المحببة، بعدئذ تلقي بنفسها في أحضان أغاغوك، تدغدغه من تحت

---

(1) INUK - وتعني «أسكيمو كندي». وهي مفرد اينويت، كما تعني «رجل أو شخص».

المعطف قارصة بشرته العارية. وعندما يناشدها أغاغوك الرحمة ويسئلهما  
تنقلب على ظهرها، فيمتلكها بوحشية.

يفعلان ذلك صباحاً عند الاستيقاظ، ومساءً بعد تناول العشاء. ولم يكلا  
في سعيهما اليومي في التماس إشباع بدا مستحيل التحقيق. وكانا وحدهما مع  
هذا الفرع الحيواني، وحدهما في هذه التوندرا الشاسعة. وحدة هي أثيرتهما،  
وفرع يبهرهما تجده الأزلي.

في ساعات الفراغ كان أغاغوك ينصب فخاخاً جديدة، أو يذهب  
لمشاهدة الفخاخ المنصوبة من ذي قبل.

بعد انتهاء الجولة، كان أغاغوك يجلس طويلاً ساقيه تحته منتظراً، وبندقيته  
على فخذه، قدوم ذئب أو مرور ثعلب. ومن المصادفة أحياناً، أن تقفز رنة من  
مكان بعيد، فيصرعها أغاغوك بطلقة صائبة، وبسرعة كانا يدخنان اللحم  
المقطع. وهكذا يتراكم احتياطي اللحم المجفف.

أما سكان الشمال، سكان الثلج الأبدي، فإنهم يجمعون، على نحو  
خاص، مؤوتهم من الفقمة، ولكن هناك حيث عاش أغاغوك لم يكن القطب  
الشمالي، ولا الغابة. لقد عاش خلف خط الأشجار، ما وراء حزام الغابات  
اللورنسية، في التوندرا المترامية الأطراف، بلاد السكون الأعظم، كان ينبغي  
الاعتماد على لحوم أخرى: لحم الرنة، والدب، ولحم الحيوانات المفترسة أيضاً،  
إذا اقتضى الحال.

قال أغاغوك ذات صباح:

- ثمة، أناس يعيشون في أماكن أكثر بعداً في الشمال، يسمونهم أناسي  
قمة الأرض. وصل منهم اثنان في الشتاء حتى القرية.

- لم أكن هناك. كنت مع والدي في الصيد، كان مايزال حياً. ولكنه  
تحدث إليّ عنهم.

- إنهم بشر، مثلنا - قال أغاغوك.

- أعرف.

- انهم يعيشون في الأكواخ الجليدية دائماً.

ألا يأهون من ذلك؟

ليس أعيش حياتهم.

وانت الأمنية صادقة. فقد كان أغاغوك يرغب في العيش على مدار السنة في الكوخ. لم يكن يحب الخيام. ولكنه ولد في التوندرا وسموت فيها. ولا بأس في ذلك.

على بعد مسافة من مكان سكنهما، هبت ذات مساء، ريح جعلت الخيمة تهتز طوال الليل، واستمرت هادرة حتى صباح اليوم التالي. كتلة هائلة سائلة وقوية كانت تكسح التوندرا. كانت قادمة من الجنوب، محملة بروائح غريبة ومجهولة.

سألت إريوك:

- ما هذه الروائح القادمة مع الريح؟

- هل رأيت شجرة ذات يوم؟

- كلا.

أشار أغاغوك إلى الجنوب.

- هناك يوجد منها الكثير. ركبت، ذات مرة، الطائر الكبير<sup>(1)</sup> العائد

للأب<sup>(2)</sup> للذهاب طلباً للأدوية في المناطق الأخرى.

- في المناطق الجنوبية؟

- نعم. كان الأب يسمي ذلك كيبك. بحيرة... انتظري، لم أعد

أذكر...

بحث عن الاسم، أصوات غريبة عليه، جد ناعمة، جد خافتة، فأقلع عن

البحث.

---

(1) الطائفة.

(2) الكاهن.

- سافرنا ثلاثة أيام.

سألت إريوك:

- وماذا يوجد هناك؟

- البيض وقبائل «الدماء - الهجينه»، و«المونتانيه»، إنهم يسكنون منازل خشبية تحتوي على مدافئ، مثل مباني البريد في الخليج الكبير، ومثل منزل المهرب.

حدقت إريوك بنظرة حاملة.

- وهل الشجرة جميلة؟

هزّ أغاغوك كتفيه قائلاً:

- عندما تكون الأشجار كثيرة، فليس بوسع المرء مشاهدة الطريدة. إنهم يسمون ذلك غابة. سيكون صيدي سيئاً في هذا المكان، بل سأتيه فيه.

- هل تحتوي الغابة على أشجار كثيرة؟

- حلقتنا في الجو أربع ساعات، لم نشاهد خلالها من تحتنا سوى الشجر.

فاستنتجت إريوك بهدوء:

- إذاً، يوجد الكثير منها هناك.

كانت إريوك قد جلست على السرير المعد من الطحلب، وعلى ركبتيها كانت تمسك بأمعاء ذئب مجففة، مثل سيور طويلة رفيعة ومائلة إلى الخضرة. مصغيةً إلى إثرثرة أغاغوك، كانت إريوك تلوك، دون ملل، تلك الأمعاء، تليتها وتمطمطها وتبرمها في كتل جيدة من السيور الرفيعة، من أجل خياطة الثياب الشتائية وحواشيها.

في أعلى الخيمة، عند القمة قريباً من المدخنة كانت جلود الثعالب والرنة لاتزال معلقة. في وقت لاحق، قبل حلول البرد ستلوك إريوك جلود الرنة طويلاً وعرضاً من أجل تليينها. موصلة جلود الثعالب بعضها ببعض للزينة ستفصل إريوك معطفين سميكين وسراويل تُشد على الكاحلين. تلك هي ملابس الشتاء.

ياله من ترف!، فها هي أسمال السنة الماضية لاتزال في حالة رائعة.  
كانت إريوك قد وعدت بأن تكون زوجة صالحة، وهاهي تفي بوعدها.  
اشتدت الريح. كان أغاغوك يحاول أن يتسلى من خلال الحديث. غير أنه  
لاذ بالصمت منذ اشتداد الريح في التوندرا. انقلب وجهه، وتألقت عيناه ببريق  
غريب.

عصفت الريح بالخيمة مخلخلة الأوتاد. كانت جلود التغليف العازلة  
تخفق فوق الدعائم.

تدحرج أغاغوك بغتة، على الأرض ماسكاً بكلتا يديه، منشاراً من عظم  
الفقمة، حطمه، بحركة مجنونة، إلى مائة قطعة، وزعق زعيقاً مسعوراً خارقاً  
وغريباً بالنسبة إلى إريوك.

كانت إريوك، وقد تسمّرت من الرعب، تتأمل زوجها. عندما هدأ  
استعادت بأسها ثم سألت:  
- ماذا دهاك؟

كان يلهث، وقد اتسعت عيناه واللعاب يسيل من طرفي فمه.  
- الريح، صاح أغاغوك - إنها أقوى مني! لاشيء يجب أن يكون أقوى  
مني.

ردد ذلك، وقد اعترت الرعشة جسده.

- هل تسمعين؟ لاشيء!

ثم تمدد، ورأسه بين ذراعيه، على بطنه بجانب إريوك، فتألمته إريوك  
لحظة، ولكن عينيه الصمغيتين لم تشيا بشيء من أفكاره. عندما استعاد أنفاسه،  
شرعت إريوك تلوك الجلد مشغولة البال.

لم يذهب أغاغوك في ذلك اليوم إلى فيخاخه. نام حتى العشاء. ولأن  
الريح كانت لاتزال تصفر، ولأن الليل قد حل، فقد ظل جالساً أمام النار يتأمل  
إريوك النائمة.

## النهر KO.G

في الصباح، كانت الشمس تسطع في التوندر، واستحالت الريح نسيماً خفيفاً دافئاً.

ومع ذلك، ففي عمق ما يقارب المتر تحت الطحلب كان يوجد (Permafrost البيرمافروست) الجليد الأبدي، الذي تغلغل إلى أعماق الأرض، مائة متر بل مئتي متر، محافظاً بذلك على طراوة الليالي، مانعاً الشجر من النمو، والأدغال من البقاء. لاشيء سوى الطحلب، والنباتات التي تعلو الصخور، وأحياناً العشب القميء. وخلال الصيف لاشيء سوى الحشرات والحيوانات الصغيرة والبارعة - عند حلول البرد - في اللجوء إلى منطقة أكثر أماناً حيث تلبد كي تمضي بياتها الشتوي الشبيه بالموت، منتظرة قدوم الربيع.

وفي الشتاء تجوب التوندر، حيوانات المناطق الشمالية والذئاب، والثعلب الأبيض، فرادى. وأحياناً، ذكر رنة جائع وحيد لم يتبع القطيع في رحلته إلى



بلاد الشجر حيث يتوفر، في الشتاء، اللحاء والأحراج الفتية السهلة الهضم.  
هذه الحيوانات التي يطاردها البرد تهرب في حالة شبه جنونية صوب  
الأراضي القاحلة والموت المحتم، سواء كان الموت بسبب سوء الأحوال الجوية أو  
بسبب رصاصة شرسة من بندقية الاسكيمو.

خرج أغاغوك إلى الشمس يتشمم النسيم.

أفاقت إريوك وذهبت تقف إلى جانبه.

إنها عودة الربيع في التوندرا. فقد ساعد الهواء الحار الأزهار على التفتح،  
أزهار زرقاء هنا، وصفراء هناك، وبعض زهيرات خجولة حمراء متناثرة. زخرفة  
فوق السهل الحزين.

إنني أشم رائحة الماء.

كان أغاغوك متردداً في البداية. إذ لم يكن متأكداً من الرائحة. واستأنف  
الشم، متأملاً ثم قال:

- إنه الماء.

وكان على يقين هذه المرة. فأشار إلى جهة قدوم الهواء، النسيم الدافئ.

- نهر.

نهر، مكان يذهب إليه السمور المسكي للشرب مع قدوم الخريف، زمن  
الفراء الجميلة، مكان مناسب لنصب الفخاخ، وفي الماء أحياناً، ثمة فئران  
مسكية... وعلى ضفتي النهر توجد أرانب وحيوانات أخرى... والبيكون  
حتماً. والطيور... طيور سمينة جيدة التغذية بالديدان وصغار السمك...

- سأذهب إلى هناك - قال أغاغوك.

تناهى صوت مدوّ دويماً عميقاً كأنه نابع من جوف الأرض.

- أهى الريح عائدة؟ - سألت إريوك.

فهز أغاغوك رأسه مبتسماً.

- لا.

- ما هذا إذن؟

- هكذا هو شأن الرياح الحارة كلها. قال أبي ذلك قبلي، وآخرون قالوا قبله، إنهم يتغنون بها، في الأكواخ شتاء. ألم تسمعي قط؟ عندما تأتي الرياح الحارة يحل وقت هذه الأشياء.

- NUNA AOD LAKLOG، صرخت إريوك.

- أنت محقة. فالأرض قد تحركت، هذا ما يحدث دائماً أثناء الرياح الحارة.

لقد تلقي (البيرومافروست)، تحت القشرة الآخذة في الذوبان، دفقة من الدفء جديدة. فقد تشقق الجليد الأبدي وتصدع. واضطربت الكتلة وهدرت. والأرض تحركت. الظاهرة متكررة. ولا يعير الاسكيمو أي اهتمام لهذا. فأبي ضير في ذلك، مادامت الخيام في أماكنها! ظهر ابن عرس هارباً من جحره الذي ربما كان مقوّضاً.

- NUNA AODLAKLOG - تأوهت إريوك. وإذا ما تحركت الأرض

أيضاً، هل سنهلك؟

- كلا.

كان أغاغوك يتشمم النسيم طوال الوقت.

- هناك نهر، إنني متأكد الآن من ذلك. سأذهب إليه.

- لماذا؟

- بحثاً عن الماء. وإن وُجد فسنرحل للعيش هناك.

- هل ستمكث طويلاً؟

...Nauna -

- ألا تعرف؟ يوماً... يومين...

- يومين. إذا كانت الرائحة قادمة مع الرياح، فهذا يعني أن النهر ليس

بعيداً. إنني لأعرف عن المنطقة شيئاً بعد.

- يومين... وإن تحركت الأرض ثانية؟

- لقد تحركت مرة واحدة. وإن لم تكن الريح حارة فإنها لن تتحرك فيما بعد والريح الحارة لن تأتي مرة أخرى.

- لماذا؟ كيف تعرف ذلك؟

- لأنها مضت نحو الجليد، إلى قمة الأرض. وهناك ستلاشى.

فقال إيربوك:

- إنني لأخشى شيئاً سوى هذه الريح.

- ولكنك تلاحظين بأنها قد وُلت.

- أجل.

- ريح اليوم قادمة من الغرب. إنها محملة برائحة النهر، إنها ريح طيبة.

- أجل إنها ريح طيبة.

- ألا تخافين من البقاء وحيدة، إذا ما غادرت؟

- لدي بنديقتي والطلقات. ولن أخاف.

جهاز أغاغوك صرة. بعضاً من اللحم المجفف ومن الدهن لاستخدامه للنار، وطلقات من أجل بنديقته، وجلد رنة ملفوفاً للنوم.

رحل دون أن يلتفت إلى الورا مرة واحدة. وظلت إيربوك ساعة واقفة أمام الخيمة تراقبه وهو يسير سيراً حثيثاً في التوندرا، حتى تجاوز الأفق.

بلغ أغاغوك النهر في نهاية اليوم الثاني. كان في الحقيقة، جدولاً جارفاً أكثر مما هو نهر. استطاع أغاغوك، في العديد من الأماكن، عبور المياه بوثبة واحدة إلى الضفة الأخرى.

كانت أطراف مسيل الماء مزروعة بآثار الحيوانات. حيث شاهد أغاغوك فسلات الطيور، بل رأى، على صفحة أعشاب مائية في الضفة المقابلة حبارى، إن يراقبه بأناة.

نهض أغاغوك بحركات بطيئة مترنة كي يتنكب بندقيته.

خرجت الطلقة، فصفق الحباري بجناحيه مرة، ثم رفر فرف فوق العشب وهمد ميتاً، مقطوع الرقبة. فالتهمه أغاغوك في الحال.

كان ثمة قليل من العشب عند ذاك الجدول في الأماكن الهادئة، وكان يوجد نبات الأسل<sup>(1)</sup> أيضاً. وبعض الشجيرات الصغيرة قد نمت على الحافة محمية من البرمافروست بسبب تسرب الماء إليها. كانت قليلة، ولكن يمكن استخدامها حطباً في أشهر الصيف، وستكون الأدغال بمثابة مخابئ.

أمضى أغاغوك نهاراً كاملاً في استكشاف مسيل الماء وجوانبه. في مكان أكثر بعداً وجد مياهاً سريعة، مياهاً بيضاء ستجمد في الخريف بعد تجمد المياه الأخرى بوقت طويل، ستكون مورداً تؤمه الحيوانات من ذوات الوبر.

لقد علم أغاغوك المكان في ذاكرته، وسار فوق تموجات التوندرا الخفية، واستبان، عند حلول المساء، الكواكب التي ستقوده أثناء عودته فيما بعد.

عندما رجع إلى الخيمة شاهد إريوك تبكي فسألها:

- ماذا جرى؟

- لقد تأخرت كثيراً، ظننتك قد هلكت.

واستمرت تبكي. فقال لها أغاغوك بقسوة:

- كفي عن البكاء، فما أنا قد عدت.

ولكنها عجزت عن التوقف. مسّ أغاغوك ذراعها بحركة مضطربة، فزادته بكاءً. صرخ أغاغوك فجأة:

- أريدك أن تتوقفي عن البكاء.

هزت إريوك رأسها مثابرة على البكاء مخفية وجهها بين يديها.

---

(1) جنس نباتات عشبية تستعمل أغصانها لصنع السلال. - المنهل -

حينئذ، ولأن ذاك البكاء قد أفقد أغاغوك صوابه، ولأنه قد شعر بنفسه عاجزاً عن إيقافه، فقد انتابه غضب هستيري.

فضربها بقدميه، وقبضتيه، ضربات قاسية حتى سقطت دون حراك.

أمضى أغاغوك وقتاً طويلاً يهدئ من روعه ثم استلقى قريباً منها. وعندما فتحت إربوك عينيها اللتين كانت تحركهما وهي تن، جامعها أغاغوك جماعاً عنيفاً.

## الفخ - MIKIGIAK

حمل أغاغوك وإريوك على ظهريهما خيمتهما المفككة، والمؤونة، والأسلحة والأدوات المنزلية والفخاخ والجلود.

وسارا معاً حتى بلغا ضفة ذلك النهر الذي اكتشفه «الايнок» INUK.

وهناك شيئا مسكنهما من جديد. لم يستغرق عملهما وقتاً طويلاً. ثلاث دعائم طويلة عُرِزَت في الأرض، ثم رُبِطت بعضها إلى بعض في القمة. فصار المسكن على شكل مثلث. وفي مكانين آخرين مُدَّ عمودان، أفقياً لربط الأعمدة. وعُلقت بعض الأغطية من جلد الرنة الخالية من الوبر.

في رأس هذا المخروط كوة للتهوية. وفي أحد الأطراف ثغرة منخفضة مغطاة بجلد متدلٍ اعتباطاً. ولتثبيت الغطاء على الأعمدة، سيور مشدودة.

في الداخل، قريباً من الثغرة، حجر مسطح يوضع عليه الموقد، وسرير من

الطحلب على طول أحد الأطراف. وعلى الأعمدة الأفقية علقت اللوازم، وهذه المواد هي كل ما كانا يملكان. وفي أعلى المخروط تماماً عُلق القديد بعيداً عن متناول القوارض، وكانت القداحات المصنوعة من دهن الرنة وشحومها موضوعة في سطل، وكانت البندقيتان مسندتين على طرف الخيمة قريباً من الباب.

كانا قد فرغا من إعداد سكتناهما الجديد عندما أقبل شخص.

- INUK، قالت إريوك ناظرة إلى السهل. ثم أشارت بإصبعها مرددة:

- انظر، هناك أحد الرجال.

اقرب القادم الطارئ. فتعرف إليه أغاغوك، إنه غوروك من القرية.

كانوا يروون قصصاً كثيرة عن هذا الرجل. ففي الوقت الذي لم يعد السحرة يزاولون فيه سلطانهم السابق على القبائل، ظل غوروك محتفظاً، لدى جماعته، بالشهرة لأنه ساحرٌ، وبالتسلط على بني سلالته لأنه INUK ثابت العزم وصارم.

كان يملك كيساً مليئاً بوسائل الخداع، مخيطةً بخيط أبيض. هي خدع تعلمها من أحد أبناء عمومته وكان ساحراً كبيراً فيما مضى لدى إحدى قبائل السواحل. لم يكن هذا كافياً بالطبع ليخشى الناس جانبه كما كان يرغب في قريته. ولكن ذلك كان كافياً ليعترف الزعيم راموك بفوائده ويجعله موضع ثقة.

على الرغم من كل شيء، فقد كان لغوروك وقعٌ في نفوس أكثر الناس إيماناً بالخرافات، إذ اعتاد، منذ وقت طويل، حتى أولئك الذين لايعترفون بالشعوذة على تسمية غوروك بساحر القرية.

ألم يُستدع إلى الأكواخ لمعالجة أكثر الآلام سخفاً؟ ألم تعهد بعض العجائز بأمانيهن وطموحاتهن بل وبأقدارهن إلى مساعي غوروك الحميدة، غوروك الذي كان يبادر إلى صنع كيس صغير من خلطات عجيبة لهذه، وتقيمة بمئة استطاعة لتلك؟

ساحر من ناحية، وشريك لراموك ومعاون له من ناحية أخرى، أي كل ما كان من شأنه أن يجعله مهيباً في القبيلة ومكروهاً أيضاً. ولكن من كان يتجرأ على مجابته؟ ثم ما الذي جاء به في هذا اليوم إلى أغاغوك؟

دمدم غوروك بتحية مقتضية، ثم جلس القرفصاء متناولاً، بصمت، ما قدم إليه من القرى. وكانت عيناه تقدحان جشعاً. أما أغاغوك الذي لم يحب حضور غوروك فقد شعر بنفسه متضيقاً. زعم غوروك بأنه قد خرج للصيد، ثم سار أبعد من هدفه. وهكذا رأى خيمة أغاغوك فقصدها.

قبل الإنصراف، انحنى غوروك، لاصقاً وجهه بوجه مضيفه قائلاً:

- ثمة جديد في القرية، فلقد جاءنا مهرب أبيض مع رجل من قبيلة «مونتانيز» مساعداً له.

فهزّ أغاغوك كتفيه متسائلاً:

- وماذا بعد؟

- الذهاب إلى القرية أقرب من الذهاب حتى الخليج الكبير.

- أجل.

- إذا ذهبت إلى القرية، سيسعد المهرب، فإنه لم يحصل بعد على كل الجلود التي يرغب في اقتنائها.

- وماذا يقدم بالمقابل؟

- الطلقات...

طبّط غوروك على حزامه.

- الكثير من الطلقات... والملح والسكر والشاي.

- هذا كل شيء؟

- عنده سكاكين، وثلاث بنديات أيضاً.

- وإن ذهبت إليه؟



- سيسره ذلك، هذا مؤكد.

تفحص غوروك الجلود المنشورة ثم قال:

- إنه يأخذ كل شيء، حتى الفراء الصيفية، وفراء الثعالب والفئران المسكية، وبنات عرس، ويعطي الملح مقابل سكاكين من العاج...

- لماذا تلح في أن أذهب إليه؟

- لا لشيء، مجرد حديث.

نظرة خبيثة وسيماء لثيمة...

قامت إريوك بحركة من يدها، فبدا ظل اليد، تحت نور الموقد، رهيباً على جدار الخيمة، ثم سألت:

- وهل الرجل الذي مع الأبيض، هو من قبيلة «مونتانيز»؟

ولكنها قالت ذلك دون أن تستخدم اسم القبيلة، بل استخدمت تسمية مزدرية مهينة IRKRELRET القمل.

بسط غوروك يده على فخذه. وهز كتفيه قائلاً:

- إنه إنسان.

وابتسم كاشفاً عن أسنان صفراء.

- بما أنه مُهْرَب، والأبيض مُهْرَب كذلك، فليس هناك من شيء يقال...

- Anartok، شتمت إريوك.

كانت الكلمة بذيئة. أسوأ شتيمة يمكن أن تقال. ظل الرجلان صامتين.

همّ غوروك بالنهوض. استأذن في الانصراف. فرك يديه. تلمظ ليظهر بأنه قد استلذ الطعام، ثم قام نهائياً وختم حديثه:

- إن ما قلته هو مجرد كلام.

عندما انصرف غوروك، ذهب أغاغوك يجلس إزاء النار. ظلت إريوك

دون حراك ثم سألت:

- لماذا يريدك أن تذهب إلى القرية؟

قالت ذلك بصوت ثابت جامد.

- لأعرف.

Krablunak ayortok! -

عبس أغاغوك.

- كيف تقولين ان الأبيض إنسان تافه؟

بدت إريوك غاضبة. وأعلنت:

- لو لم يكن تافهاً، لما ذهب يمارس التهريب في قرية تعدادها عشرة أكواخ. احسب على أصابعك. يسافر هذه المسافة كلها لأجل هذا العدد القليل جداً. هذا يعني بالتأكيد بأن الآخرين لا يرغبون فيه. لو علمت الشركة بوجوده في القرية، لأرسلت الوكلاء.

لم تتحدث إريوك سابقاً بهذا المقدار قط.

- بندقتي قديمة، قال أغاغوك، بوسعي اقتناء واحدة جديدة.

ونظر إلى الأعلى مقدراً الجلود المنشورة للتجفيف، والأخرى الموضوعة في الصرة.

- سيكون الصيد هنا جيداً، تابع أغاغوك، لو استطعت الحصول على

فخاخ أخرى معدنية، فخاخ البيض...

أشار باصابعه.

- جلد الرنة، هذا...

- بودي أن أفصل لك معظفاً منه...

... لدينا جلود الذئاب أيضاً... وعندي ثلاث سكاكين من العاج.

وجلود أخرى... وستكون كافية، ربما، من أجل بندقتي.

ظلت إريوك ساكنة.

فقد قالت كل ما كانت تريد قوله. أما الآن فالرجل هو من سيتخذ القرار.

- سأذهب غداً، قال أغاغوك، سيكون السفر على جانب من الأهمية.
- وإذا عاد غوروك إلى هنا؟
- لديك بندقيتك.
- صحيح. لدي بندقيتي.

## المهزّب - ANGAYUK'AK

عندما بلغ أغاغوك القرية، استقبله أيايك وتوغوفاك واينيك.

- يوجد مهرب هنا، قال أيايك.

كانوا يجهلون، كما تبين، زيارة غوروك لخيمة أغاغوك.

أشار أيايك إلى صرة الجلود متسائلاً:

- أهذا هو كل ما لديك؟

- نعم.

- قليل.

ردّ أغاغوك بجفاء:

- إنه كاف.

دمدم توغوغاك بكلمة لم يفهمها أغاغوك، وهزّ ايغنيك رأسه قائلاً:

- الزمن يتغير.

ابتسم أياليك. كان فمه أدرد خالياً من الأسنان، ذا لثة داكنة، شبيهاً  
بمغارة مظلمة.

- يوجد ماء - الحياة<sup>(1)</sup>، قال أياليك. هل ترغب فيه؟ يتاجر الأبيض به سراً.

نظر أغاغوك إليه نظرة ذهول. إن التجارة بماء - الحياة ممنوعة في الأقاليم،  
فأَيّ سرٍ هذا؟ لقد استقبلوا المهرب استقبالاً حسناً لأنه يقايس ماء الحياة  
بالجلود.

- لم يبلغني غوروك بهذا، تتمم أغاغوك.

- وهل جاء إلى خيمتك.

- نعم.

- لماذا؟

- لأعرف. ربما ليخبرني بوجود الأبيض هنا...

- هل كانت إريوك هناك؟

- نعم.

- إن غوروك يعرف إريوك. إنه إنسان ماكر. لقد فضّل أن لايقول شيئاً  
أمامها. وعلى الرغم من ذلك فما قد جئت.

- لأأريد ماء - الحياة. أريد بندقية، وملحاً وشاياً، وطلقات، ومدية من  
الفولاذ إن أمكن.

لمس توغوغاك صرة الجلود، بإبهام قدمه وكشّر قائلاً بتحسر:

- Ayorarman

---

(1) الخمر.

- لماذا تقول إنه ليس في اليد حيلة؟

- Krablunak ayortok، صرخ توغوغاك.

- هذا ما قالته إريوك، أعلن أغاغوك. إن الأبيض رجل تافه. لقد اكتشفته.

- رأيت، قال أياليك، رأيت؟ لقد كنت محقاً. لقد أحسن غوروك

التصرف إذ لم يقل شيئاً أمام إريوك.

كان أياليك قد شرب ماء - الحياة. وتجلى ذلك في حركاته.

- ما اسم الأبيض؟ سأل أغاغوك.

- براون.

لفظ أياليك «براون...» ماطاً المقطع الأخير.

- أريد مقابله، قال أغاغوك.

- إنه في تلك الخيمة، قال ايغنيك. الخيمة الأخيرة التي أقمت فيها لقد

سكنها الأبيض منذ أن خلت.

فذهب أغاغوك، وصرة الجلود على طرف ذراعه. وعندما دخل الخيمة

كان الأبيض بمفرده. رفع رأسه وابتسم لأغاغوك. كان رجلاً بالغ الطول رفيعاً

بل نحيلاً ذا وجه شاحب، وعينين غريبتين في محجرين جد غائرين. وكان ذا

أنياب، طويلة صفراء كأنياب الذئب.

- لدي جلود، - قال أغاغوك.

تبين أنّ الأبيض يفهم لغة الاسكيمو.

- ماذا تريد بالمقابل؟

- بندقية، وثلاثة صناديق من الطلقات، وملحاً وشايًا. ومدية فولاذية إن

أمكن.

- أرني الجلود.

كان يتحدث بلغة الاسكيمو على نحو لا بأس به. ولقد بدا واضحاً أنه قد تعلمها لدى Kidlinermecun، القبائل الأخيرة القاطنة في الشمال البعيد. على تخوم الأراضي الصالحة للسكن.

فكّ أغاغوك الصرة متمهلاً. بسط الجلود الصغيرة أولاً، جلود بنات عرس السمراء ذات الوبر الصيفي الرديء ثم جلود الذئاب الأكثر رونقاً منها جلدان كبيران ذوا فراء جيدة. ستة جلود ذئاب وستة جلود ثعالب وجلد رنة هائلة وفاقة الجمال نظّفته إريوك وكشطته بعناية شديدة.

ألقي براون نظرة سريعة على الفراء، ثم طوى الصرة وألقاها خلف ظهره في الخيمة، وسأل:

- ألا تريد ماء - الحياة؟

- كلا، أجب العنيد أغاغوك.

ثم عدّ على أصابعه:

- بندقية، وثلاثة صناديق من الطلقات، وملحاً...

- أعرف، أعرف، قاطعه براون.

ومدّ يده خلفه ثم تناول كيساً من الملح وضعه على الأرض بينه وبين أغاغوك.

- خذ.

تريث أغاغوك لحظة، ثم كرر بعد أناة:

- أريد بندقية، وطلقات،...

قاطعه الأبيض بحركة حادة، ثم بصق على الأرض، مشيراً بإصبعه إلى كيس الملح مبتسماً إبتساماً خبيثة.

- Nao! قال أغاغوك. أنت لم تفهمني. أين البندقية، والطلقات؟

ضحك الرجل هازئاً ثم قال:

- لا بندقية، ولا طلقات، ولاشاي، ولامدية. الملح فقط.

- وجلودي؟

- ألا تريد ماء - الحياة؟

- أريد بندقية، وطلقات وشايا...

رفع براون يده، ولطم فخذه بقوة صارخاً:

- اخرس!

- اعطني جلودي إذن. فلن أساومك.

- خذ الملح. هذا كل ما ستحصل عليه.

- كلا. أعطني جلودي. سأذهب إلى مركز الشركة في الخليج الكبير.

وسأبلغ البوليس بما تفعله هنا.

نهض براون. ونهض أغاغوك الذي اضطرب على نحو مفاجئ، أيضاً.

كان الأبيض يحمل في يده مسدساً.

- هيا اخرج، يا مُقَمَّل! قال الأبيض.

نظر أغاغوك، بأعصاب باردة إلى السلاح، ثم إلى الرجل قائلاً:

- أريد جلودي!

فأطلق الأبيض النار. لا على أغاغوك، إنما في الهواء نحو فتحة الدخان.

بصق أغاغوك أيضاً على الأرض باتجاه براون عمداً. ثم خرج مستقيم

الكتفين.

انتظر أغاغوك، في الخارج لحظة، ليرى ما إذا كان الأبيض سيخرج في

اثره. ولأن براون لم يخرج، ولأن أحداً من الخيام لم يأت للنجدة، حتى بعد

إطلاق النار، فقد ذهب أغاغوك إلى خيمة والده راموك.

كان أغاغوك مقطّب الجبين، بادي الهم.



فلم يظهر أي فرح برؤية راموك، ولم يحييه بأية كلمة حتى بعد أشهر الفراق الطويلة. وألقى على المرأة «المونتانيه» التي تعيش مع العجوز نظرة ازدراء كان يخصصها بها دائماً. ثم سأل والده:

- هل لديك زيت للمصاييح؟

أشار الزعيم العجوز باصبعه إلى صفيحة الكاز القريبة من الباب.

فقال أغاغوك:

- سأحتاجه هذا المساء.

## الموت - TOKONIK

استلقى أغاغوك فوق الطحلب خلف الخيمة الكبرى حيث يعيش والده، ولم يفعل شيئاً بقية النهار.

عندما جاء توغوغاك - وغيره - يستفسرون أغاغوك عن الموطن الجديد الذي يعيش فيه، وعن الصيد في تلك الأرجاء وعن الماء والرثة، كان لا يكاد يجيب عن الأسئلة.

فأدركوا في الحال بأن الرجل راغب عن الحديث. لذا فقد تركوه في تأملاته. ولكن توغوغاك قال لأياك في نهاية النهار:

- يضمّر أغاغوك غلاً في صدره، وما عهدته على هذا النحو قطّ.

لقد تنبأ الجميع بأن الرجل الأبيض هو السبب في ما حصل، ولكنهم لم يناقشوا في ذلك قطّ. فالذي وقع بين الأبيض وبين أغاغوك لا يهم أحداً. على

أن العديد من رجال القرية عدّوا تجارة الأبيض بماء - الحياة نعمة لهم. وإن تأييد أغاغوك يعني المغامرة بالقضاء على مصدر المسرة. وتأييد الأبيض يعني إثارة استياء أغاغوك القادر على الاستغاة بالتقاليد والتضامن القبلي...

كانوا يعرفون أغاغوك ميثالاً إلى الثأر، خطيراً حتى في صمته، وحزمه العنيف. لقد ظل أغاغوك مستلقياً هناك دون رغبة في الكلام. هل تُرى واجه مصاعب بسبب الأبيض؟ حسناً. ولكن الانحشار في هذا الجحر لن يجلب سوى المتاعب فمن الأفضل إذن أن يدعوه وشأنه.

واقتضت الحكمة الصمت آنذاك، أو بالأحرى الإهمال المصطنع. ولكنهم لم يتمكنوا، في دخيلة نفوسهم، من الامتناع عن التفكير... إن الحرمان من المستحقات مقابل صرة من الجلود هو قضية بين الرجل وبين المهزّب.

والنساء، اللواتي حذرهن الرجال، كن جالسات القرفصاء أمام الخيام ولكن جلود الرثة، كما تجنبن أيضاً الخوض في هذه الأحاديث.

إن مكث أغاغوك هنا إلى الغد، وإن نسي المغامرة، سيكون هناك دائماً متسع لهن من الوقت كي يستعلمن عن إريوك التي كانت فتاة من القبيلة.

وأقبل المساء. ومع ذلك لم يكن مساء حقيقياً. فإذا لم تعد هناك، بقدر ما، شمس منتصف الليل فهذا يعني دنو الاعتدال. قريباً سيحل الجليد، والثلج، وليل الشتاء، هذا الظليل الدائم، دون انقطاع، فكل ساعة تشبه الأخرى، بوسعها أن تصيب أكثر رجال البيض تعقلاً بالجنون.

أما رجل الاسكيمو، فله خبرة اكتسبها خلال حياته. ثمة نور ضعيف في ليالي الصيف، سيما في الآفاق الغربية، حيث يمتد وشاح ذهبي لا يختفي أبداً، يغمر التوندرنا بظل خفيف ورتيب.

وهذا ما يميز توندرنا شمال كيبيك وتوندرنا «لابرادور». إذ لا يوجد هناك أشهر الليل الستة، القطبية ذات الجليد الأبدي، ولا أشهر النهار المبهر الستة التي تليها. ولا ترسل شمس منتصف الليل سوى بصيص من النور. وأما ليل الشتاء فما هو إلا ظل خفيف على خط العرض هذا، إنها حالة مؤقتة. إنه ليس القطب

الشمالي وليس جمال البقاع السعيدة أيضاً.

تنمو أزهار في هذه التوندرا، بعد ذوبان الثلج. أزهار حمراء أو صفراء، وأحياناً بيضاء. إنها تزهر في أواخر حزيران. خلال أسبوع، وأحياناً خلال أسبوعين، تغطي تلك الأزهار الطحلب فتصير التوندرا بديعة. ولكنها لحظة اللون الوحيدة. فمع قدوم شهر آب يصفّر الطحلب وتذبل الأزهار تحت أشعة الشمس الحارة، وهذه من امارات اقتراب الشتاء. سيحل الجليد الليلي على نحو مفاجئ. ومنذ أوائل تشرين الأول، وأحياناً حتى قبل انتهاء أيلول يتساقط الثلج مع الريح الجافة. سيهل قريباً زمن بناء الأكواخ الجليدية.

إنها البواكير ليس إلا. فما زالت هناك ساعات دافئة في أول النهار. والثلج المتساقط ندفاً ليس - بعد - ثلج الشتاء الحقيقي. إنه ليس سوى مسحوق أبيض، ناعم وخفيف كنفّس ملاك. مسحوق تجعله الريح يرقص فوق السهول التي سوّدها الجليد - ثم ترميه ثانية في الجو حيث يتطاير بعض الوقت ليعود إلى الأرض مسترجعاً رقصة تلك الأشكال الطويلة الأنيقة.

الثلج الحقيقي يأتي في وقت لاحق، ثقيلاً، وقاسياً. يغطي، خلال ساعات كامل التوندرا بطبقة سميكة تعلو متراً. وفي وقت متأخر تهب الرياح الأولى مصحوبة بعواصف ثلجية مضيئة إلى المتر الأول متراً آخر وأحياناً أكثر. وعندما يقبل كانون الثاني تكون سماكة الثلج في التوندرا خمسة أمتار، كتلة كثيفة وقاسية مثل الإسمنت، وهي مع ذلك كتلة ينبغي للحياة أن تستمر فوقها.

وعلى هذا المنوال تدوم الحال منذ تشرين الأول لغاية نيسان.

يتوجب على الاسكيمو غالباً، إخلاء الكوخ الذي طمرته رياح الثلج وبناء كوخ جديد ولكن بعض القبائل تجعل أكواخها مدعمة بطبقات الثلج المتعاقبة، وتكتفي بإصلاح نفق المر بعد كل عاصفة.

أما أغاغوك فقد كان من أنصار الخيار الأخير. إذ لم يقيم أبداً بإعادة بناء الكوخ. كان يجهز، بدلاً من ذلك، المكان المختار بمعرفة، بحيث تكون الدفة

عكس اتجاه الرياح أو على قمة تل تؤمن له ارتفاعاً يتجاوز المتر الأول من الثلج وأحياناً المتر الثاني.

شتاء طويل بشقائه ومخاطره ورتابته. وفي أيار، تصبح الأحاديد خطيرة على نحو مخادع.

عندما يحل هذا الوقت، تصير الحرارة غير محتملة في الأكواخ، وتفتت كتل الجليد. حينئذ يبدأ التفكير في ضرورة بناء الخيمة وذلك إبان ظهور التوندرا السوداء للعيان من خلال الثلج.

فقد حلّ - بالتالي - الزمن الذي يفكر (INUIT الاينويت) فيه بالصيد الصيفي، الصيد اللازم الذي يوفر اللحم المدخن للشتاء، والدهن والعظام والعاج المستخدم لنجر الأدوات.

(هكذا يستّمون بعضهم بعضاً INUK يعني الرجل و INUIT يعني الرجال. ليس هناك رجال سواهم، سوى الاسكيمو الـ (INUIT). لأجل الأجناس الأخرى كلها ستكون لديهم ألقاب ازدراء. للبيض والمونتانيه، والناس القادمين من الجنوب - سواء كانوا أيناكي أو أباش أو الدماء - الهجينه، وكولوفر، وشوشون وجميع هؤلاء الهنود الحمر من المناطق الحراجية في كندا كلها - لأولئك جميعاً، وأخيراً للذين لم يولدوا من السماء، والذين ليسوا قادة قمة الأرض... الاسكيمو وحده هو INUK هو الرجل. «انظر هناك إلى الرجل القادم» سيكون واحداً من الاسكيمو، ولا أحد سواه).

لاحت، في قرية راموك، نهاية الشتاء. فقد دخنوا في العديد من الخيام لحم الرنة، وعاد الصيادون الأكثر مهارة بأيدي مليئة، بلحم آخر يدخن فيما بعد. كان ذلك إلى حد ما سبب تجنبهم مشاطرة أغاغوك همومه فأمام قسوة الفصول لايشغل بال INUK سوى فكرة واحدة: الاستعداد للشتاء القاسي، وتنظيم الخروج للصيد الهائل في الصيف.

استطاع أغاغوك إذاً، أن يجتر في هذا اليوم، أفعال الرجل الأبيض كلها، وأن يشحن بغضب بارد وشرس وأصم.

وجاء المساء. بلا قمر ولا نجم، ولا شمس منتصف الليل. إذ يصعب على المرء في خاتمة المطاف - استجلاء أي نور.

ظل أغاغوك دون حراك. مستلقياً طوال الوقت على الطحلب.

خرجت «المونتانية» وقدمت له قطعة من اللحم المجفف المسلوق في الماء. بصق أغاغوك على وجهها، وهو الشيء الذي دأب على فعله منذ أن أحضر أبوه هذه المرأة إلى الكوخ الجليدي.

(امرأة من قبيلة «مونتانية» قادمة من الجنوب. ذات رائحة كريهة، غريبة بسحتها الغليظة ونظرتها البليدة، وأثوابها القطنية كأثواب البيض. حاول راموك أن يعلمها كيف تلوك الجلود ثم تخطيها، ولكنها ضحكت على ذقنه).

وجاء راموك أيضاً، ظل واقفاً لحظة قريباً من ابنه، وتردد باحثاً عن كلمات. ولكنه لم يدرِ ماذا يقول فعاد أدراجة.

وخيم السكون في القرية شيئاً فشيئاً. ففي هذه الساعة يتعشى الرجال. وبعد ملء بطونهم السريع ينامون مستلقين إلى جانب زوجاتهم.

كان توغوغاك يغني في خيمته، زاعقاً زعيقاً غربياً. فليس ماء - حياة الرجل الأبيض حليياً على أية حال.

ادلهم الليل، وساد السكون أكثر فأكثر، لا يخرقه، هنا وهناك - إلا عواء كلب مقتضب، وأنين امرأة، وصراخ وليد.

توقف توغوغاك عن الغناء.

فصار السكون مطبقاً.

نهض أغاغوك، وذهب إلى واجهة خيمة راموك يراقب خيام القرية. كان كل شيء ساكناً عند الأبيض. وكان الليل الدامس، هادئاً، ساكناً. أين ترى ينام مساعده «المونتانية»؟

لم يسأل أغاغوك نفسه بعد. انتظر. قدرة رجل مقابل وحش، إنه بالتحديد هذا السكون، هذا الإنتظار. الصبر الرهيب والقديم قدم الدهر.

وعندما تأكد أغاغوك أن الجميع اخلدوا للنوم، دس ذراعه تحت جلد الرنة المتدلى على مدخل خيمة راموك. وتلمست يده المكان في الظلمة وعثرت على صفيحة الكاز.

سحب الصفيحة دون أية جلبة، وخرج بخطى سريعة مكتومة متجهاً إلى خيمة الأبيض وانسل، تحت جناح الليل، ظلاً على ظل، ثم تسلل، كابن مقرض إلى المهرب.

كان براون نائماً على ظهره مفتوح الفم. كان يشخر. ذراعه ممدودة بمحاذاة جسمه، كان يحمل مسدساً في يده.

إن عيني أغاغوك وقد اعتادت على الظلمة، تبيننا تفاصيل تلك الهيئة الممددة. وإذ رأى السلاح ابتسم ابتسامة غامضة ساخرة. ظل لحظة على ذلك النحو يحسب ويقدر. ثم تناول صرة جلوده ورمائها خارجاً.

بحركات مخملية، نزع سدادة صفيحة الكاز. فصار الآن مستعداً. أخذ عود ثقاب من جيبه، عود ثقاب كبير من صنع البيض. أمسك الحركة نوعاً من طقس موزون كإحدى رقصات الديانات القديمة.

وعلى شكل قوس واسعة ودقيقة، استدارت ذراعه، فتدفق الكاز من الصفيحة وغمر الرجل الأبيض. في اللحظة ذاتها اشتعل عود الثقاب ومسّ السائل، فأطلق براون صيحة مرعبة، واستحال مشعلاً حياً.

خرج أغاغوك كالإعصار، تناول صرته، وإذ صار بعيداً راح يتأمل ذلك الجحيم الذي أوقده.

احترق كل شيء. تعالت صيحات الأبيض ثم خمدت في الحال. بعد ذلك هرع «المونتانيه» من أحد الأمكنة وبدأ يخطط، بالباع والذراع، على جدار الخيمة عبثاً.

عندما أفاق القرية كاملة، وجاءت لنجدة براون، كان المسكن قد صار محرقة طقسية ترسل وميضاً جنائزياً على بعد كيلومترات في جميع الاتجاهات.

ابتعد أغاغوك وصبرته على ظهره، عن القرية، وسار بخطى حثيثة باتجاه  
النهر حيث كانت إريوك في انتظاره.

ولما كانت الرياح تهب باردة، فوق التوندرا، والذئب خائفة فقد نسي  
أغاغوك بسرعة الفعل الذي ارتكبه توأ. ولم يشغل باله، سوى فراغ التوندرا  
المدوي، وجهد العضلات، وعواء الذئب المحمول على الرياح.

وفي القرية لم يبق شيء من الخيمة، التي كانت ملكاً له فيما مضى. ومن  
براون لم يبق إلا كتلة بشعة محترقة، تفوح منها رائحة خنزير مشوى.



## الحياة - INU. SIK

لم تتوقع إريوك عودة أغاغوك المبكرة جداً، عندما شاهدته قادماً، فراه  
مازالت على ظهره، ولاشيء سواها. فظلت ساكنة لحظة ثم سألته أخيراً؟

- أتيت خالي اليدين؟

- نعم.

- ما الذي حدث؟

فهزّ كتفيه، وأسند بندقيته قريباً من مدخل الخيمة.

- ما الذي حدث؟ - ألحت إريوك.

- لا شيء.

ظل الرجل، وقتاً طويلاً في هذا المساء، خارج الخيمة يراقب الأفق، وكان،  
عندما هرب من القرية، يلتفت إلى الوراء مرات عديدة معتقداً بأنه ملاحق. إلا

أن التوندرا بقيت، كما كانت، مقفرة. ولكنه ظل يرقب هذا المساء أيضاً.

وكانت شمس منتصف الليل في الأفق حزمةً من ذهب. تظهر الأحيولة جلية تحت نورها. فراقب أغاغوك، ولكن أحداً لم يأت. وصار على يقين من أن شيئاً لن يحدث. ولن تسعى القبيلة في أي انتقام آخر. لقد كانت الضحية رجلاً أبيض، والمتهم واحداً منها. وسيستمر التضامن القبلي، وإن كان أغاغوك قد تنكر للقبيلة أخيراً، وذهب ليعيش بعيداً عنها.

ولكن أغاغوك ظل يرتاب على الرغم من ذلك. فكيف تثق بظنونك عندما يصعب عليك التنبؤ بردود أفعال بني قومك وإن كنت تقيم معهم؟ كان لا بد من أخذ التبدلات المحتملة بعين الاعتبار.

ولكن شيئاً من هذا القبيل لم يحصل لدى الـ INUIT فيما مضى. إن صفاء النية، والتقيّد الأعمى بالتقاليد أيضاً ما عاذا بنفس القوة السابقة. فلقد ولّد شرُّ الأبيض هذا التطور لدى الفرد الذي بات يعارض الظروف أكثر فأكثر. ولقد تجلّى ذلك عند أغاغوك في أن لاذ بالوحدة والتحرر. أما عند الآخرين فأى شكل سيتخذه هذا الانعتاق الجديد؟ هل كان على أغاغوك أن يتوقع الخضوع والإذعان لسيطرة التقاليد الصارمة، في حين لم تشغل باله قط تلك التقاليد، عندما قرر الرحيل مع إريوك؟

هل سيعزم أياييك، الذي حُرم من ماء - الحياة الذي كان يوزعه الأبيض، على الإنتقام؟ هذا هو أحد الأخطار، أياييك وتوغوغاك أو الآخرون...

ولكن شيئاً لم يظهر في الأفق، ولم يظهر أحد.

وعندما مرّت ساعات طويلة، وتلاشى كل خطر داهم في الملاحقة، عاد أغاغوك إلى الخيمة واستلقى إلى جانب إريوك. ثم سحب، بيد ثابتة، سروال المرأة، وانتزع من ساقها ورمها بعيداً. استيقظت إريوك يقظة غير كاملة، وأنت أنيناً مثيراً، ثم باعدت للغاية، ما بين فخذيهما القاسيتين، الربلتين. وعندما انتظم نفّسهما من جديد، وتلاشت شهقة المرأة الطويلة في صمت التوندرا، همد أغاغوك متخماً، تماماً.

عندما أفاق أغاغوك صباحاً، لم تكن إريوك إلى جانبه. وجدها على ضفة  
النهر تنقياً بعناء.

- ماذا بك؟ سألتها قلقاً.

ولكنه سأل بحياء، وهو يعلم الجواب عن السؤال الذي طرحه.

- لقد بدأ هذا منذ عدة أشهر، قالت إريوك.

وعدّت على أصابعها ثم أضافت:

- سيولد في وقت الثلج.

تفرغ أغاغوك طيلة هذا النهار لعمله. فنصب الفخاخ على طول النهر،  
واصطاد بعض السمك. وشذب، بمديته، بعض أغصان الشجيرات المستقيمة،  
وبنى ما يشبه حاجزاً على شكل ثغرة صغيرة. هنا ستعلق الفئران المسكية. وسدّ  
أغاغوك المنافذ كلها. إنها وسيلة قديمة تعلمها من رجال قبيلة «المونتانيه» الذي  
كان يعدّهم شبه حيوانات، ولكن الذين كانوا يتقنون صيد الفراء.

سيكون من السهل - بعد أن تنحس الفئران المسكية خلف هذا الحاجز -  
قتلها بضربة قضيب على خطمها الحساس. وسيكون لديه الكثير من الفراء  
لتجارة واسعة.

إلا أن تفكير أغاغوك، وهو ينجز عمله ذاك، كان في مكان آخر. إذ أن  
مولود إريوك القادم قد بعث في روحه نوراً وفرحاً لم يعرف كيف يعبر عنهما.  
مثل انتظار بديع، وضرب من حنان، وحاجة إلى أن يهدد ويحب، يشعر بها  
دون أن يدرك مغزاها.

ابتسم أغاغوك لإريوك مساء في أثناء العشاء. كانت إريوك نادراً ما تراه  
يبتسم.

- سيكون ذكراً، قال أغاغوك.

لم ينظر إلى إريوك خلال الحديث. كان منحنياً، يعضّ بأسنانه الجميلة  
سمكة اصطادها قبل هنيهة لاتزال تختلج. كان ينزع منها اللحم النيء ويرمي  
بالحسك.

- سيكون ذكراً - ردّد أغاغوك.

لم يسأل. كان يؤكّد. كان واثقاً من أن القدر يتمنى له ذلك أيضاً.  
أكلت إريوك قليلاً. كانت متوعكة منذ الصباح، تعاني من الدوار.  
وكانت تحس في باطن صدرها بكتلة ثقيلة ساكنة.  
- أتمناه إبناً لك، قالت إريوك.

هزّ أغاغوك رأسه، واستمر يلتهم السمكة. ينبغي أن يكون إبناً فالبنات  
ستكون عبئاً، وفماً عديم النفع، لا بد من إطعامه في هذه التوندرا، حيث تعدّ  
كل ساعة حياة فيها معركة ضد الطبيعة.

وتلاشت عيننا إريوك إذ كررت مبتسمة:

- سيكون إبناً. أريد ذلك... من أجلك.

فنظر إليها أغاغوك هذه المرة، ورأى عينيها، ثم قال:

- إن الأرواح الخيرة ليست عدواً لنا.

كان يتحدث بصوت خافت. ينطق الكلمات همساً. ومدّ يده ملامساً  
إريوك. عندما فرغاً من تناول العشاء على نحو رائع، أخذ أغاغوك الأطباق  
وذهب بذاته يغسلها على النهر.

- دعك من هذا، قالت إريوك، فعليّ أن أتابع العيش.

ولكنه لم يرد عليها.

- دعك... دعك... احتجت إريوك.

ولكنه استمر يقوم بأشغال المرأة.

- ينبغي عليّ أن أعمل، قالت إريوك وقد نفذ صبرها.

وكان أغاغوك يعيش في حلم.

- غداً، قال. غداً...

قليل من الكلمات وما من إعلان هام. لاشيء سوى هذه النظرة في عينين، وقد لمحتنا أعجوبة، تنتشيان دون ملل. استلقيا، في وقت متأخر فوق الطحلب، إلا أن أغاغوك لم يلمس المرأة أبداً. كان مضطجماً على ظهره قريباً منها، عيناه مفتوحتان بكل اتساعهما.

- لاشيء محظور، همست إريوك أخيراً. لاشيء. هذا ما كانت تقوله أمي فيما مضى.

فاستدار أغاغوك مشدوهاً نحوها.

وابتسمت هي، في العتمة، وديعةً وصبورة، ثم قالت:

- في الأيام الأخيرة، عندما تكون الولادة وشيكة، لا بد من الانتظار... ولكن في هذا المساء، خاصة هذا المساء، فلا شيء محظور.

حينئذ وثب أغاغوك وثبة عنيفة سريعة، فصار فوقها بكامل جسمه.

- ولكن ليس كالسابق أبداً، قال أغاغوك وفمه ملصوق بإذن المرأة، ابداً ليس كالسابق.

لقد بدأ حياة جديدة، وبأساليب لا تشبه قط الأساليب الماضية، لقد زرع حياة في رحم هذه المرأة. واقتنى، فجأة، قوة لا تعلوها قوة، وقدرة بدت له شبه خارقة.

كان جماعهما عنيفاً شبه جنوني. كانت إريوك تعلن عن سعادتها بصوت عال، وكان يمكن سماع آهات أغاغوك من بعيد وهي تنساب عبر التوندرا. إن ما اكتشفاه قد تجاوز عالم إدراكهما المغلق، وتجاوز القبيلة والتربة الخصبة والعوائد. لم يتوحدا جسداً فحسب، بل روحاً وقلباً وعقلاً، ولاسيما قوة هادرة في الأحشاء ترمي بهما الواحد فوق الآخر مثل حيوانات بديعة. إنه الانعتاق من السنوات الماضية، والولوج في عالم باهر ورائع.

في الغداة ظل أغاغوك يحلم، طوال اليوم، بالابن الذي سيأتيه عما قريب. فكان وهو ينصب الفخاخ ويظمرها تحت الطحلب، يفكر باليوم الذي

سيعلّم فيه الطفل هذا الفن. ليس العلوم بأكملها دفعة واحدة! معرفة الحياة في البداية. سيعلّم الطفل كيف يمشي، وكيف يغرف الماء. سيعلّمه السباحة في النهر، والتمييز بين الوقت البارد والوقت الحار، بين الريح الشريرة والريح الطيبة والسخية والدافئة.

سيكون الطفل قريباً منه، هنا، في تناول يده. ستخيط له إريوك معطفاً من جلود أكثر نعومة، على قدّه، صغيراً جداً وجميلاً. وسيصطحب أغاغوك الطفل إلى الصيد، صوب الطحلب حيث يكشف مداخل جحور القندس، وصوب ضفاف النهر، والأرض الرطبة، حيث تُلاحظ آثار الحيوانات القادمة إلى المورد عند مجرى الماء.

كل أثر، كل درب صورة تمثل الحيوان وعاداته.

هكذا هو الذئب، انظر إلى الأثر... هل ترى؟ مخلب أمام الآخر. سبق متوتر، الحذر الأزلي، فطنته كلها متحفزة...

الثعلب، إنه أكثر ثقة بعضلاته الشديدة السرعة في الاسترخاء، إنه يشرب بمخيليه المنفرجين، انظر، مثل هذا...

وهذا الأثر الذي على شكل نجمة هو أثر السمور المسكي...

أما هذا الأثر. ذو القدم الثلاثية الأصابع، فهو أثر أوس وأثر الشّره<sup>(\*)</sup>.

هنا ابن عرس، هناك الفأر المسكي... هل ترى كيف؟ يجب أن تستبين،

أن تعرف... يجب أن تعرف كيف تميز الأشياء تمييزاً جيداً.

كل أثر هو صورة، لاتنس هذا أبداً...

هذا الحيوان هنا، انظر، إنه الذئب... إنه لم يضع برثته على الأرض مثلما يفعل ذئب آخر... لماذا؟ كان خائفاً. شيء ما كان يتحرك في الضفة الثانية من النهر. كان يقظاً دائماً، ولكنه شرب على الرغم من ذلك. لأنه يقدر ما كان خائفاً كان عطشان أيضاً...

(\*) - الشّره: حيوان ثدي من السرعوييات اللواحم (المنهل).

لم يكن أمامه خيار آخر. نهر ماء هادئ، إنه البقاء. سوف يعيش.

إن أثر قوائم هذا الفأر المسكي الذي تراه قد وصل إلى هذا المكان، ثم عاد فجأة، أكثر تراسماً وتقارباً، واختفى هناك تحت الأعشاب، هل تعرف ماذا يعني هذا؟ إنه أخرج سموراً مسكياً من جحره، ولاحقه السمور فهرب... تعال، تعال معي إلى هذه الأعشاب. هاهو أثر السمور المسكي، انظر! إنه يختلط هنا بأثار الفأر المسكي. حسناً، تقدم وانظر، هنا! دم، وبر. لقد نفق فأر مسكي، افترسه السمور. وهذا أمر سواء بينهما، إذ لا بد من فدية للبقاء. لكي يعيش السمور، تمت التضحية بالفأر. فمقابل هذا الفأر الميت سيولد عشرة. إن حمل الفئران المسكية متكرر وعديد. في حين أن أنثى السمور لاتلد سوى صغيرين أو ثلاثة على الأكثر... إنه لمن العدل إذن أن تموت الفئران المسكية من أجل السمور، لا السمور في سبيل الفئران... هذا ما تشاء الأرواح.

ولكن ليس هناك الحيوانات وحدها. بل الأسلحة أيضاً.

هذه هي بندقية... تمغن، كيف صنعت.

هكذا صنعت. هذه السبطانة حيث تنطلق منها الرصاص الفولاذية. هنا روح هذه السبطانة. والأخمص. هكذا يجب شحن السلاح. وتنكبه، وإطلاق النار. هاهي هناك رتة تجري... اضغط هنا، فتنتلق الرصاص، وتصيب الحيوان، لم أسدد على الحيوان ذاته، إنما قدامه قليلاً. لأنه عندما ستبلغ الرصاص المكان الذي كانت الرتة فيه لحظة ضغطت على الزناد، هل تدرك، إن الحيوان لن يكون هناك إذ ذاك؟ لذلك أسدد قدامه قليلاً، هكذا... قليلاً جداً، ولكنه كاف، وتسقط الرتة، العزيزة...

سيقول كل هذا للصغير الذي سيأتيه. وسيعلمه، كل صباح أسرار بقائهم الخاص وفقاً لبقاء حيوانات التوندر.

سيعلمه كيف ينصب الفخ، وكيف يقتل الحيوان. وكيف يدخره لوقت الحاجة، فالمرء لا يعرف أحياناً ماذا يفعل بهذا الحيوان، بيد أنه لا بد أن يأتي يوم يكون فيه هذا الحيوان ثميناً.

ولوازم صناعة الفراء، وحفظ اللحم وتدخينه أو تحفيفه، سيعلمه أيضاً أبة  
حيوانات تدر شحماً وفيراً، ويُحصل منه على دهن ثمين.

ومن أجل إنجاز هذه الأعمال إنجازاً طبيعياً في الوقت المناسب، لابد أيضاً  
من تعليمه كل العلوم الأخرى، كل الضروريات أيضاً: كيف يستكشف رائحة  
الحيوان السارية مع النسيم، كيف يعرف الحيوانات التي يقتفي أثرها، وكيف  
يختمن، عادة درب السمور المسكي الذهاب إلى المورد... كيف يترقب أفعال  
كل حيوان ويخاتله بالقدر الذي يستطيع.

حيوانات ذات فراء تصلح للمقايضة، وأخرى ذات فراء تستخدم من أجل  
المعاطف وضروب التغليف. وحيوانات ذات جلود لينة إلى حد ما، وحيوانات  
ذات وبر قصير تصلح جلودها المكشطة للأسرة أو للمقاعد. وحيوانات ذات  
لحم مغذي، وحيوانات سمينه يستخرج منها الدهن للأوقات الباردة.  
الرنّة توفر الغذاء والكساء...

الثعلب يؤمن الثياب بقدر ما يؤمن جلود المقايضة... تتم مقايضة الزائد  
منها. وكذا الذئب... على أن صيد الذئب يؤمن جائزة أيضاً...

أما السمور المسكي، والفأر المسكي وابن عرس والقندس والبيكون  
والأوس، فهي حيوانات الفراء الفاخرة النفيسة...

تُرْمى لحومها، بعد نزع الوبر عنها، طعاماً للكلاب. وهكذا ينال كل  
واحد ما يشاء...

كان أغاغوك يحلم كل يوم، بأشياء كثيرة يلقتها الطفل، كي يصبح علمه  
كاملاً. علاوة على ذلك وعلى كل ما ذكر، لن يتلقى أي طفل من القبائل -  
لقد أقسم أغاغوك بالأرواح الخيرة والشريرة على ذلك - هذا القدر من التعليم  
الذي سيفضي به إلى ابنه.

سيحدثون عنه في الأكواخ كلها، حتى أقوام قمة الأرض. سيصير هذا  
الصغير صغير أغاغوك. وبالتالي أكثر الأطفال وسامة وتدليلاً في العالم.



## الميت - TOKONGAYUT

بعد موت براون في القرية، شتم «المونتانيه» الذي كان معاوناً له كل قادم، وطعن فيه.

ولكن أحداً في القرية لم يأخذ حذره. إذ أن «المونتانيه» لا يعني لهم شيئاً. فلماذا ينبغي عليهم إذن أن يصغوا إليه؟

غير أن توغوغاك، صاحب النظرة القاتمة والسحنة الوحشية، أعلن عن نيته في معاقبة أغاغوك المشتبه به في اقتراف القتل، والذي حرمهم بالتالي من نبع ماء - الحياة.

إلا أن العديد أثنوه عن ذلك، وكان رأيهم صائباً. كان الدرك الملكي سيأتي عاجلاً أو آجلاً ويعتقل براون هذا الأبيض الذي كان يتاجر بالسلع الممنوعة. لذلك فإن من قتل براون لم يفعل شيئاً سوى أنه سبق رجال القانون في ذلك. سبقهم بكم من الوقت؟ الله أعلم.

لن يتم السعي إلى أي انتقام ضد أغاغوك الذي كان، فضلاً عن ذلك، ابن الزعيم راموك. ويستحق بالتالي بعض المراعاة.

أمّا بشأن إفشاء موت براون إلى البيض...

ثرثروا كثيراً. وتجمع، حول زعيمهم راموك، أبايك وتوغوغاك، وهابيلوك، وماروكاك، وغوروك، وميهوك واكتوهايوك... والآخرون أيضاً.

رحل الرجل «المونتانيه» صوب الجنوب وعلى ظهره صرة من الفراء.

- من الذي أعطاها له؟ سأل أبايك.

كانت تلك هدية. لقد رأوا بأنه لم يبق عند المهرب براون، بعد انتهاء الحريق، سوى بقايا جثة الأبيض المحترقة التي سرعان ما دفنت تحت الأرض.

- لقد أعطاه أحدهم تلك الفراء كي يسكت!

أما راموك - الذي فعل ذلك - فلم يقل شيئاً. كان كالآخرين يهز كتفيه. كان أبايك محقاً. فلكي يلزم «المونتانيه» الصمت، أهداه راموك الجلود. ولكن هذا التصرف الحسن والهدية الرفيعة لا يضمنان كتمان الرجل للسر...

من جانب آخر، لن يهتم الدرك الملكي، ربما أبداً بهذه القضية، إلا في حال إبلاغ صريح عنها.

من كان ذلك الرجل الأبيض؟

ومن أين جاء؟

ومادام قد مارس تجارة ممنوعة، فهل سيتم السعي إلى معاقبة قاتله؟

إن منطق الاسكيمو، لم يكن حتماً منطق الدرك الملكي، ولكنه ساهم في تهدئة قلق راموك ومخاوف الناس في قبيلته.

لقد استنتجوا، استناداً إلى منطقهم الخاص، بأن الأبيض كان رجلاً سيئاً، ولذلك لن يسعى أحد في سبيل معاقبة قاتله.

وارتأوا أنه من الأفضل - ربما - ترك الأمور تسير في مجراها، وحفظ القضية، وعدم التحدث عنها.

فلا طائل من هذه الترتبة.

واختاروا الكف عن فعل أي شيء، وعن قول أي شيء. وإذا جاء ضباط الدرك على حين غرة، سيتظاهرون بالجهل. فلا أحد يعرف ما الذي حصل، ولا لماذا حصل.

ودام التضامن القبلي، الذي كان أغاغوك يتكلم عليه.

واتخذت حياة القبيلة مجراها الطبيعي، فبعد مضي عدة أيام لم يعد أحد يتحدث عن المهرب ولا عن موته البشع.

إلا أن راموك ظل في شك من أمره. لقد دفع بسخاء للرجل «المونتانيه» لقاء سكوته، ولكنه، مع مرور الأيام، ندم على عدم قتله. كان ذلك أضمن وسيلة لكتمان السر.

أكثر ضمناً، على كل حال، من الاعتماد على صرة بسيطة من الجلود. كان راموك يعرف ثمن الإبلاغ، وفي بعض الأيام لم يكن واثقاً أبداً من أن لايلجأ «المونتانيه» إلى الإبلاغ عما حدث.

ولأنه ذو طبيعة جسورة، ميالة إلى القلق، فلقد ظل وقتاً طويلاً حتى استعاد السكنينة الروحية. ثم استدعى الرجال وأقام عيداً.

كان ذلك هروباً آخر، سواء بالنسبة إلى راموك أو إلى قبيلته. فمن الأكيد أنه، بعد إراقة الخمر، والمجون الطائش مع النساء الطيبات، لن يشغل أحد باله بمأساة الأمس.

ونظراً إلى أن توغوغاك قد عثر على مخبأ ماء - حياة الرجل الأبيض، مدفوناً رأساً في الطحلب ومموهاً تمويهاً جيداً في جوار الخيمة التي كان يسكنها أثناء حياته، فقد اعتزم أن يتاجر بها، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت بعد أن أعلن راموك العيد. فباع توغوغاك صفيحة من ماء - الحياة مقابل جلود رائعة،

صفيحة لكل رجل سالم البنية في القبيلة، حيث ستبعث البهجة في نفوسهم.  
ثروة جاءت بصفقة واحدة دون مساومة.

وشربوا ثم مارسوا الفسق والزنى، على امتداد ثلاثة أيام وأربع ليال. قليل  
من الرجال اهتموا إلى نسائهم، لأن ذلك لم يكن لافرحاً جيداً ولا حرباً جيدة.  
وبعد أن فعلت الكحول فعلها الطبيعي لم يعد أحد يكثرث بالجماع الشرعي إنما  
بعكسه. كان عيداً كما أراده راموك. وكان الصيد أفضل في الأراضي الجديدة،  
وظلت الأسلحة شاهرة.

عندما فرغت الصفائح، ناموا مخمورين نوماً دون أحلام، ثم أفاقوا منه  
ليمارسوا عوائدهم من جديد.

بعد مضي خمسة عشر يوماً على موت براون، لم يبق أي أثر لمروره  
بالقبيلة. فلقد طمر أياليك الصفائح الفارغة في التونдра. ونظفوا موقع خيمة  
براون، بعد أن دفنوا الرماد وكشطوا الطحلب جيداً. حيث زال كل أثر له بعد  
مرور يوم مشمس وهطول ندى الصباح.

## الشتاء - OKIOK

مرّت الأسابيع، وتلتها أشهر.

قريباً من النهر، بعيداً عن القرية، كان أغاغوك وإريوك يسعيان وراء قسمتهما. صار معطف المرأة بارزاً الآن إلى الأمام. كان البطن ينتفخ، وحياة جديدة تنمو في داخله يوماً بعد يوم.

كانت إريوك تسترحم، بنفس وِجَلَة الأرواح كل مساء أن تجعل هذا الحمل الذي في بطنها ذكراً.

أخذت الريح تبرد في التوندرا، وتظل باردة حتى في الصباح، فغطى الجليد الأبيض الطحلب الداكن. وكانت تنتشر، أحياناً، رائحة الثلج تحت السماء الصافية الشديدة الزرقاء. وقتئذ كان أغاغوك ينهض ويتفحص الشمال أمام واجهة الخيمة. وقال ذات مساء:

- ستلج غداً.

وفي صباح اليوم التالي هطل الثلج حقاً. عصفت الريح عصفاً مرعباً، وكان الثلج القادم مسرعاً من الشمال يمتزج مع هذه الريح. وانقضّ على العالم جدار أبيض سائل. ثم تغطى كل شيء بندف كثيفة متجمدة، تقع على الجلد وقّع الحصى. وعلى غير ما هو مألوف اختفى كل شيء وانظر خلال ساعات. بعد ثلاثة أيام، توقفت الريح وأشرق شمس شاحبة.

استحالت التوندرا سهلاً ثلجياً - امتداداً قطبياً شاسعاً. لقد بدأت سبعة أشهر عجاف، سواء بالنسبة إلى الحيوانات الجائعة المذعورة أو الرجال الذين سيصارعون من أجل البقاء في هذه الطبيعة المناقفة.

فبنى أغاغوك، لدى سقوط الثلج الجديد، كوخه الجليدي، ثم نقل إليه كل ممتلكاته بعد أن قوّض الخيمة.

- متى سيحين وقتك؟ سأل أغاغوك مساء.

ولمس البطن المنتفخ الذي يُرغم المرأة على المشي، في الكوخ مشية غريبة.

- لقد بقي لي، بالتأكيد، ثلاثة أشهر، أجابت إريوك. بالتأكيد ثلاثة وربما

أربعة أشهر. لماذا تسأل؟

- كنت أنتظر الثلج، ردّ أغاغوك. إن الجلود التي في حوزتنا هنا... نحن

بحاجة إلى الملح، وإلى الطلقات...

- سأحتاج أنا أيضاً إلى أشياء.

- تحتاجين إلى بندقية، قال أغاغوك، فبندقيتك هذه قديمة.

- لست بحاجة إلى بندقية.

- حسناً، ربما احتجت إليها فيما بعد.

وفكر ثم قال:

- ينقصنا العديد من الأشياء.

فحبّذت إريوك كلامه سائلة:

- متى ستذهب.

- غداً باكراً، مع الكلاب.

- ومتى ستعود؟

- سيستغرق الذهاب إلى قرية الشركة أربعة أيام، إلى الماء الكبير...  
وأربعة أيام للعودة... وسأمكث هناك نهراً كاملاً.

لم تقل إريوك شيئاً، غير أن النظرة التي خصت بها أغاغوك كانت مُعَبِّرة.  
ماذا سيفعل هناك؟ ما الذي سيحصل له؟

- لقد سبق لك أن ذهبت إلى قرية الشركة. ماذا يوجد هناك؟ فأنا لم  
أسافر إليها أبداً.

لقد رأيت في نفسها الشجاعة للذهاب معه، على الرغم من أن الطفل قد  
صار مزعجاً في بطنها.  
رفع أغاغوك كتفيه.

- لا يوجد شيء هناك، سوى المركز التجاري والأكواخ الجليدية. ولن  
أمكث هناك إلا يوماً واحداً، وربما أقل...

لم يهدأ خاطر إريوك فألحت:

- أليس هناك شيء آخر؟

- ماذا تريد أن يكون هناك؟ ردّ أغاغوك بحدّة.

منذ أن ظهر النهار في الغداة، شدّ أغاغوك الكلاب، ثم اقترب من إريوك  
لحظة، ولم يعرف ماذا يقول لها. ولكنه وقف إلى جانبها. فأحس بيد المرأة  
تمسك ذراعه. وكان ذلك كافياً.

- إنني أنتظرك، قالت إريوك، فارجع بسرعة.

حشّت فرقة السوط الطويل، وصيحة الرجل الكلاب المرتجفة على

النهوض. تحفزت الحيوانات، بعد ضربة السوط الثانية، في حبالها وزحزحت الحمل فانطلقت المركبة الجليدية.

كانت الزلاجة محملة بما كان ينبغي اطعامه للكلاب، إضافة إلى الدهن والطلقات، وصرة فراء، وجلود الرنة التي سيتدثر بها أغاغوك أثناء النوم، وقنديل الكوخ واللحم المجفف.

وقد دسّ أغاغوك في حزامه مدية طويلة للثلج، الأداة التي سيثيد بها الأكوخ الجليدية في المساء. ومدية أخرى أقصر، ليجهز بها على الفرائس ويقصبها في أثناء الطريق. هل كان يعرف فقط أية غنائم رائعة ستصادفه في مشواره.

واقفاً وقدماه على طرفي الزلاجة، ترك أغاغوك الكلاب تجره. لم يكن الحمل ثقيلاً، إذ كان يجب أن يتمكن، في أثناء العودة، من حمل سلع المقايضة التي يزعم القيام بها.

كان الجليد صلباً وسميكاً، فانزلقت الزلاجة عليه دونما عناء، وجرت الكلاب بطيب خاطر. فها هنا في التوندرا، لا يغدر الثلج إلا ما ندر. الأرض مستوية غير متصدعة. والثلج متكدر دون تشقق، بعكس أراضي الجزر البعيدة في الشمال، في جليد القطب حيث تفتتح هاويات بوسعها أن تبتلع رجلاً وزلاجة بأكملهما.

على أن الكلاب تملك خياشيم مرهفة ضد هذه المخاطر. إن كلب المقدمة يعرف كيف يستبين موطيء برائته. إنه يرتاب في قشرة الثلج التي لا يتجاوز سمكها الشبر والتي تغطي، تغطية هشّة، شقاً عمقه عشرون متراً. إنه يحيد عن الخطر ويتجنبه. ولكن ذلك يتطلب مسيراً متعرجاً شديد البطء أحياناً.

أما في التوندرا فلا شيء من هذا القبيل. إنما مسير سريع، في اتجاه مستقيم وموفق. ساروا بسرعة حتى صار أغاغوك يأمل في قطع المسافة التي استغرقت من وقته أربعة أيام فيما مضى في ثلاثة أيام، فالثلج لم يكن وقتذاك متجمداً كما هو اليوم وأملس صالحاً للسير عليه.



ترك أغاغوك الكلاب تسير دون استراحة حتى المساء. في البداية كان يحثها، ويستعجلها، ولكنه استخلص بعد حين بأنه إذ تركها تسير على هواها، فقد تم تجاوز مسافة أطول عند حلول المساء، دون أن تنهك الحيوانات. كان ظلام الليل قد أقبل مسرعاً من الشرق، عندما توقف أغاغوك للاستراحة.

والكلاب التي لاتزال موفورة النشاط كانت مغطاة بالجليد. فكّ أغاغوك الصرة، ورمى لكل كلب سمكة مجمدة التهمها في الحال. وظلت الكلاب تحوم حول الاسكيمو تطمع في قطعة أخرى، غير أنه لم يستجب لها. لقد كان يعرف بأن الكلب لا ينبغي أن يأكل، في أثناء السفر، سوى وجبة صغيرة، وبأنه يسير سيراً أسرع عندما يكون بطنه خاوياً. فكان للتقنين إذن، إضافة إلى هدفه في تخفيف عبء جِرّ العربة على الكلاب، فائدة غير مباشرة في تأمين عزيمة صادقة لدى كل كلب من كلاب العربة.

وإذا خاب رجأؤها، هامت الكلاب دون هدف بعض الوقت. بدأت معركة صامته بين كلب المقدمة وبين كلبة غيورة. بعد قليل حفر كلب من الكلاب حفرة في الثلج لنفسه منقباً بخطمه وقوائمه ثم اندس فيها لينام، بعد أن ابتكر له كوخاً على مقاسه ومن أجل حاجاته. وحذت الكلاب الأخرى حذوه، الواحد تلو الآخر، وتكورت جميعها خلال بضعة دقائق، في جحور أُعِدَّت على عجل. وتسبب دفؤها في هدم الفوهة وسدّ المدخل وإخفائه. وفرشت هبة ريح كل المكان بثلج ناعم، وسرعان ما لم يبق أي أثر على وجود الكلاب، وصار بوسعها أن تنام بأمان في مكان دافئ.

بنى أغاغوك هو الآخر كوخاً جليدياً وجهزه بمقدار حجمه تماماً. كوخاً ستفتته الرياح غداً. ثم حمل إلى المأوى المؤقت كل ما تحمل الزلاجة، ليكون في منجى عن الرياح والحيوانات. ووضع المصباح الحجري على الأرض، هذا المصباح الأكثر بدائية من الموقد المعدني الذي كانت إريوك مفتونة به (الموقد الذي اخترعه البيض لمنفعة الاسكيمو الذين يحصلون عليه في المراكز التجارية.

موقد بفتيل يحرق فيه زيتهم العادي، السميكة غير النقي المستخلص من دهون الحيوانات أو المأخوذ من حيوان الفقمة أو من الحيتان المصطادة في البحر).

كان المصباح الحجري يستهلك، في مساحة الكوخ الضيقة، الزيت أيضاً بواسطة فتيل من النسيج، وكان فعلاً مثل موقد ويحتل فضلاً عن ذلك مكاناً أصغر بكثير من مكان يشغله موقد. وعلى الشعلة التي زودته بالدفء والنور، أذاب أغاغوك بعضاً من الثلج في قَدْر وسلق فيه اللحم المجفف. وعندما صار اللحم جاهزاً التهمه أغاغوك وترك الماء يغلي فوق النار ليتحول إلى مرقة لحم عديمة الطعم. وبعد أن أكل أغاغوك وشرب أخرج غليونه وتبعه. ودخن بهدوء، دون حراك مستسلماً لحرارة الكوخ الرطبة المعتدلة، حرارة طوقته وأسكرته ثم أنعسته.

بعد ذلك بسط جلدأ من جلود الرنة على الأرض بعد أن ثناه ثنتين واستلقى فوقه متدثراً بالجلد الثاني.

عندما استيقظ في الصباح كان مستعداً لاستئناف مسيره، كانت كل عضلة في جسمه مرتاحة، والطاقة قد استعيدت كاملة وكان اليوم يوماً آخر جميلاً يكاد أن يكون دون ريح، فاستطاعت الكلاب مرة أخرى الانطلاق في جريها المألوف. وفي هذه المرة كما في العشية سافر أغاغوك واقفاً على حافتي الزلاجة، باستثناء تلك اللحظات التي كان النعاس يداهمه فيها. حينئذ كان يجري إلى جانب الزلاجة أو خلفها مع إيقاع الحيوانات ذاته.

وأمضى ثلاثة أيام ونصف يوم حتى بلغ المركز التجاري.

كان ذلك تجمعاً سكنياً يضم زهاء عشرة بيوت خشبية كثيفة وعدة أكواخ جليدية محيطة بها.

وكان هوائي الراديو يعلو في الهواء ثلاثين متراً، مسلة رفيعة من الفولاذ. وعلى طرف القرية خزان كبير للمازوت يزود البيوت بالتدفئة، وقرياً من مستودع الشركة كان ثمة بناء ضيق صاحب يحتوي على مولد الديزل الكهربائي.

ولاشيء آخر.

كانت تُعقب السهل المقفر، رتابة تلك الأبنية المكدودة التي لاتخلو وحشة هي ذاتها، لتخط، كما يقال، الصحراء الكبرى، وتجعلها أكثر اتساعاً وتمدد تخومها.

هنا، في أثناء العواصف الثلجية بوسع المرء أن يخرج ببساطة للذهاب من منزل إلى آخر دون أن ينتبه إلى أنه قد ينحرف إلى اتجاه آخر خطأً، ويضيع في الزوينة البيضاء، ويموت قبل أن يعثر عليه. وكانت هذه الحالة تتكرر من حين لآخر، إذ أن أكثر من رجل أبيض من سكان القطب ما كان يجراً على إخراج منخاره إلى الشارع، أثناء العاصفة، إلا في حالات الطوارئ الخطيرة.

عندما كانت الريح تعصف دافعة أمامها جداراً من الثلج، وعندما كانت هذه الكتلة المدومة العمياء المميتة تنهار فوق المركز، فما كان يبقى أمام السكان سوى الجلوس دون حراك في المكان الدافئ وانتظار قدوم الطقس الجيد. كان ذلك واحداً من قوانين البقاء.

كانت وجنتا أغاغوك وحاجباه مغطاة بالصقيع، عندما دخل القرية بزلاجة منهكة. فشعر لحظة بانقباض في صدره. مرّ أمام مركز الدرك الملكي، وهو بناء أكبر من الأبنية الأخرى وأفضلها صيانة. ناداه من بعيد واحد من ضباط الدرك سائلاً:

- من أين أنت قادم؟

أوقف أغاغوك الكلاب المندفعة، ثم أشار، وقد استشاط غضباً، إلى قريته، وباتجاه كوخه أيضاً. حركة بالأحرى - مبهمة.

- إنني قادم من هناك.

- كم تبعد من هنا؟

عدّ أغاغوك على أصابعه.

- ثلاثة أيام من السير، ربما أربعة...

واستمر يشير بحركة شملت السماء والشمس... ثم أضاف:  
- الأمر منوط بالطقس.

اقترب الضابط.

شعر أغاغوك بنفسه عاجزاً عن الحركة، فمنذ أن بدأ الشرطي يستجوبه ما عاد يفكر إلا بشيء واحد: الشعلة التي أضرم فيها النار ليلاً، ومحرقة الكفارة التي نذرها للمهرب براون.

- لماذا أنت قادم إلى هنا؟ سأل الضابط.

تنفس أغاغوك تنفساً عميقاً طويلاً، ثم استعاد صوته قائلاً:

- لمبادلة الجلود.

تفحص الضابط الزلاجة لحظة، بل لمس صرة القراء، وإذا اكتفى بذلك قال  
بإيجاز:

- حسناً.

ساط أغاغوك الكلاب. كانت حركته شديدة التوتر، وكان موقفه برمته غريباً إلى درجة أن الضابط قد نظر إليه بفضول وهو يتعد نحو المركز التجاري. وإذا كف الضابط فجأة عن الاهتمام به، هزّ كتفيه ودخل إلى مكتب الدرك.

## الفراء - AMERK

أمام منشأة الشركة، ربط أغاغوك كلب المقدمة في زلاجه، بوتد مغروز هنا لهذا الغرض. ثم حمل على ظهره صرة الفراء الثقيلة ودخل المخزن.

كانت المنشأة خالية إلا من عامل اسكتلندي طويل القامة ونحيف، ذي شعر أمغر ووجه شاحب وحزين، لم يقل كلمة ولم يقم بأية حركة ترحيب عندما دخل الاسكيمو. ظلت نظرتة باردة ومراقبة. ألقى نظرة خاطفة على الجلود، إلا أن نظرتة لم تشِ بشيء.

وانتظر ريثما فكَّ أغاغوك رباط الجلود وبسطها على الأرض.

- أتيتُ كي أبادل جلودي، قال أغاغوك.

أمال الرجل رأسه ببطء قائلاً:

- أسعار الفراء هابطة جداً.

هزّ أغاغوك كنفه. فلقد كان يسمع هذه العبارة منذ سنوات عديدة!  
والآخرون قبله، استطاعوا حفظها عن ظهر قلب، لكثرة ما قيلت وترددت.

- الأسعار هابطة جداً، كرر الرجل بنبرة محزنة.

تناول أغاغوك الكمية الأولى من الجلود، خمسة عشر سموراً مسكياً،  
تكاد تكون كلها في حالة جيدة.

بسط الرجل، الذي كان يسمى ماك تافيش الجلود على المنضدة، ثم أخذ  
يتفحصها واحداً واحداً. كانت نظرتة سريعة، نظرة إنسان خبير. وكان يعرف  
كيف يميز الخدشات السيئة، والجروح التي تفسد الجزء المفتوح من الجلد. وكان  
يميّز، بلمح البصر وبر الصيف عن وبر الشتاء الأزغب، ووبر سمور مسكي  
معافى عن وبر سمور مريض، ويميز إن كان تجهيز الجلد قد أنجز باتقان أو دونما  
عناية. ألقى ماك تافيش الجلود التي تفحصها بعيداً على المنضدة، الجيدة في  
طرف، والرديئة (الستوك) في طرف آخر.

لكن، بغض النظر عن خلاف رأي الاسكيمو، فإن الجلود الجيدة - برأي  
ماك تافيش - كانت نادرة.

راقب أغاغوك الخداع المتكرر. مع ثنية في طرف شفته وبريق في عينيه.  
ثم تناول واحداً من الجلود المهملة وسأل:

- ما العيب الذي فيه؟

فابتسم ماك تافيش. لقد اعتاد على الاحتجاجات. إنها ماعادت تؤثر فيه  
بعد عشرين سنة من ممارسته لهذه المهنة الكثيبة. وأشار بإصبعه إلى خدش صغير  
في باطن الجلد، ليس في موضع الظهر ولا البطن. ولم يكن الخدش يخترق  
الجلد.

- «ستوك» قال ماك تافيش.

احمرّ أغاغوك وصاح:

- هذا لا يعني شيئاً، ولا يؤثر على سعره. أليس ذلك كافياً!

نظر الاسكتلندي، بيرود إلى الاسكيمو الواقف أمامه. عشرون سنة على هذه اللعبة، عشرون سنة على هذه الثرات، عشرون قرناً...

ثم تناول جميع الجلود من على المنضدة، وراح يلقيها، ثم قدمها كما هي لأغاغوك قائلاً:

- اذهب بفرائك. فأنا لأساوم.

نظر الاسكيمو إليه فاغر الفم.

- هيا، اذهب. ألا تفهم، فأنا لأساوم.

ظل أغاغوك لحظة طويلة يحدّق في تلك النظرة الخضراء - الزرقاء، في تينك العينين اللتين ماكانتا تبتسمان ولعلهما لم تعرفا الابتسامة في يوم من الأيام. بعد ذلك هزّ كتفيه قائلاً:

- كما تشاء.

ووضع الفراء ثانية على المنضدة أمام ماك تافيش. متنهداً، فكّ العامل الصرة من جديد، وأعاد تصنيف الجلود وفق الترتيب السابق. بعدئذ سار الأمر سريعاً. فلقد تفقد ماك تافيش، بصمت، الجلود الباقية، جلود السمور المسكي الصيفية، وجلود الذئاب وجلدي الرنة اللذين استطاع أغاغوك امتلاكهما، وعشرين جلداً من جلود الثعالب ومقدار هذا العدد من جلود القندس وبعض جلود الفئران المسكية.

ثم حسب الاسكتلندي المجموع.

كان قليلاً، أقل مما كان يأمله أغاغوك استناداً إلى المساومات المعتادة. ولكن كان عليه أن يتوقع ذلك. فالشركة لم تمنح أبداً السعر الذي يحلم به الأسكيمو وإن كان منخفضاً جداً. ونادراً ما تمت مقايضة بين رجل وآخر بكل حرية واستقامة. كانت الشركة محتكرة: دون أي منافس. وكان يصعب على عملاء من أمثال براون، من التجار غير الشرعيين الاستمرار طويلاً. فأين يمكن العثور على المنتجات الصناعية خارج مخازن الشركة! يحدّد العامل الأسعار،

وعلى الآخرين القبول بها. بالنسبة إليه فإنه مدين بتقدمه لمزايا المبادلات. كان يتم تقييم السعر وتثمينه في مكتب المدير، وذلك وفق الهامش الذي كان يعرف كيف يحدده بين القيمة التجارية للجلود وبين القيمة التي تمنح للاسكيمو. إضافة إلى ذلك فإن الزيادة الكبيرة المتبعة في الأسعار العادية لسلع المقايضة، الزيادة التي تخفض أكثر من ثمن المقايضة، تعطي الشركة فرصة تدون بها أرباحاً طائلة في سجلاتها التجارية.

وإزاء غول من هذا الطراز، شديد القبح، جبار، ماذا كان بوسع أغاغوك أن يفعله؟

أغاغوك أو غيره؟

- ماذا تريد؟ سأل ماك تافيش.

ليس النقود طبعاً.

كانت المقايضة تتم مقابل المواد الضرورية. مقابل كل شيء ولاشيء في المؤسسة.

كان بعض رجال الاسكيمو لايكادون ينالون كفافهم من الحاجات. كانوا يبيعون فراءهم لقاء أشياء تافهة، لقاء مواد لا تجلب أية منفعة لحياتهم، ولا قيمة لها غالباً. مثل أطفال، حرموا من الحكمة، لديهم رغبات فجائية غير قادرين على مقاومتها.

لقد جاء زمن الشقاء، وكانوا معدومين.

إذ أن ماك تافيش، شأن السعاة الذين سبقوه، تركهم يبددون، طواعية، ثمار صيدهم الشاق.

أما بالنسبة إلى أغاغوك فكان له أسلوبه في التفكير. ربما كان مختلفاً عن الاسكيمو الآخرين يبيع السمات الخاصة؟ كان يرغب دائماً في الدمى الميكانيكية، والبضائع الرخيصة الطفولية، كان يرغب في الكثير من الأشياء في هذا المخزن، ولكنه اختار دائماً المواد الضرورية، ولهذا فقد جاء خصيصاً ليبادل فراءه.



سرد ما في القائمة.

- بندقية، قال وهو يعد على أصابعه، وطلقات. عشرين صندوقاً من الطلقات. وقطناً لإريوك... وكيروسين من أجل المصباح.

وضع ماك تافيش بندقية على المنضدة. وكانت من النوع العادي جداً، ولكنها فعالة على كل حال. غير أنها رخيصة جداً في المدينة. ووضع كذلك عشرين صندوقاً من الطلقات إلى جانب البندقية وشفيحة من الكيروسين.

- وتبعاً من أجل غليوني، قال أغاغوك.

وأضيف التبغ إلى باقي المواد.

- وملحاً، تابع أغاغوك. كيساً كاملاً.

وأشار إلى كيس يسع خمسين كيلوغراماً.

- النصف، قال ماك تافيش، لأكثر.

أحنى أغاغوك رأسه مذهولاً. لقد كان الاسكتلندي يعرف مقدار ما يستهلكه أغاغوك من الملح عادة. ولم يعتزم أن يبيعه أكثر من نصف كيس. وبذلك ختم الحساب.

- وقطناً، واصل أغاغوك مسلماً بأمره، وقدراً من الحديد كذلك ومعولاً مثل المعول المعلق هناك...

- كفى، قال ماك تافيش. فلاشيء بعد الملح.

- ماذا؟

- قلت لاشيء بعد الملح، لاشيء!

- نصف المطلوب تقريباً، صاح أغاغوك. أريد أشياء أخرى أيضاً.

- في المرة القادمة، قاطعه ماك تافيش. في المرة القادمة.

لم يكن ماك تافيش حديث العهد بهذه اللعبة، فقد تمرس بها. إن أغاغوك الذي لم يعرف الحساب، عجز عن أن يكشف بأنه حتى بالنسبة إلى سعر القراء

التعسفي الذي تم الاتفاق عليه، فإن ماك تافيش قد حَقَّض، زيادة على ذلك، ثمن المبادلة بنسبة ثلاثين بالمائة.

لم يشعر ماك تافيش بتأنيب الضمير. ولم يذهب الاسكيمو خالي اليدين. فقد حصل على بندقية وعلى الطلقات وهي الأشياء التي سيصطاد بها. ويعيش عليها. وعلى الملح كذلك لاستخدامه في إعداد الجلود وحفظها. وعلى زيت لموقده وتبغ لغلبيونه. ويمكنه الاستغناء عن الباقي. المعول مثلاً. ما حاجته إليه؟ والقطن من أجل إريوك... في أي شيء ستستخدمه؟ ولافائدة فيه البتة. والقدر؟ كفى إذن!

وفقاً لحكمة ماك تافيش، فإن كل شيء سار كما يجب، إذ لم يرغب الاسكيمو ولم يشعر ماك تافيش بأي وخز للضمير. ولم يُكره الاسكيمو، في نهاية المطاف، على القبول بشروط المقايضة. لقد كان بوسعه الإنصراف، وإعادة جلوده، ورفض الأسعار المفروضة.

أما إذا لم يكن أمام أغاغوك أي مكان آخر يبيع فيه فراءه، فهذا لم يشغل بال الاسكتلندي قط. ولم يكن يعنيه ذلك، فهو لم يرتكب ذنباً. ثم ماذا بوسعه أن يعمل؟ لقد وضع شروطاً وافق عليها الاسكيمو في النهاية. كان يشعر بالراحة في داخله.

جمّع الـ INUK مشترياته، ثم حملها إلى الزلاجة.

حيث أمضى ساعة في ترتيب الحمولة، وإطعام الكلاب، وركب غضبه الذي كان يقوده إلى ارتكاب أفعال متهورة، وانتقام مرعب. ففكر ثانية في براون الذي صقّى الحساب معه. لم يكن وارداً أن يتصرف مع الإسكتلندي بالاسلوب ذاته. ولكن هل كان مقبولاً أن يكون البيض أصحاب الكلمة الحاسمة دائماً؟ دون أن يتمكن الاسكيمو من الدفاع عن نفسه أبداً؟ ولكن إلى من الشكوى؟ ألم يكن البيض متنفيدين، ومصالحهم مصنونة في طول هذه البقاع وعرضها؟

أحس أغاغوك بفكره مشوشاً، واحمرت الدنيا في عينيه، فشقّ عليه أن يعقد الحبال ويثبت الحمولة على الزلاجة.

لم تفارقه فكرة الانتقام. ولكن ظهر في داخله، في الوقت ذاته إحساس معاكس، تناقض ما، شيء يدفعه للحياد ويسكن غضبه شيئاً فشيئاً. الانتقام... ولكن كيف؟ الدخول إلى هذا المخزن، وضرب الموظف وقتله؟ سيكون ذلك شيئاً تافهاً، بل مثيراً للسخرية، إذ سيلقون القبض عليه قبل أن يخطو ثلاثين خطوة في هروبه!

الرجوع إلى ماك تافيش ومكاشفته بسوء نواياه تجاهه؟ مثلما تتحدث إلى صخرة. كان أغاغوك يتميز غيظاً بمجرد تذكره نظرة الرجل الباردة، وعدم الاكتراث الذي أظهره صراحة تجاهه. ولكن ماذا سيحدثي النقاش معه تحديداً؟ بداية أيام عصيبة. ستكون عواقب التصدي لملك تافيش وخيمة. إذ سيعرف الاسكتلندي جيداً كيف ينتقم لنفسه بالإهانة في المقايضة القادمة. سيتذكر الاسكيمو ويرسم وجهه في ذاكرته وسينتظر بصبر، ساعة تأره.

لقد أقدم آخرون على هذا العمل، الشيء الذي يتذكره أغاغوك جيداً. كما ناقشوا الأمر في الأكواخ أيضاً. وكان أوكارناك آخر الضحايا. والآن ينبغي عليه السفر مسافة ثلاثة أسابيع كل سنة لبيادل فراءه في مركز أبعد من المركز الذي يعمل فيه ماك تافيش. وتلك هي الوسيلة الوحيدة أمام أوكارناك للحصول على حقه أو على شروط ماثلة للشروط التي كان ماك تافيش يفرضها قبل ممارسة الانتقام.

بيد أن أغاغوك أدرك - في الخارج أمام المركز - أنه لن يتمكن من العودة على هذا النحو إلى كوخه. فقد تدافع في داخله العديد من الأفكار المتناقضة. حاجة إلى الإنفلات من الواقع أمست ماسة، تقتضي إشباعاً فورياً. لم يحدّد أغاغوك رغباته. ولكنه تأكد من وجودها، وتحقق من قوتها.

وهل يمكنك العثور على وسيلة للإنفلات في هذه القرية المنعزلة، غير المضيافة؟

تلمس أغاغوك فروة السمور الجميلة المدسوسة تحت معطفه، هذه الفروة التي كان قد أخفاها، واحتفظ بها دائماً على سبيل الاحتياط الأخير، التي لم

يفكر في عرضها على ماك تافيش لاستكمال الصفقة على نحو أفضل.

لقد نوى، لحظةً، العودة إلى ماك تافيش، ليعرض عليه هذه الفروة ذات الصنف الممتاز حقاً، مقابل المواد الناقصة، القَدْر والمول والقطن الذي كان يريد أن يقدمه هديةً لإريوك... وليحصل على حقه، هذه المرة، بالإلحاح وعدم الإكتراث، مثلما فعل ماك تافيش.

ولكنه عدل عن هذه الفكرة.

ستوفر فروة السمور له ما هو أكثر من هذه المواد التي ماعدت له رغبة فيها فجأة، والتي بوسع إريوك الاستغناء عنها في نهاية المطاف. ستعطيه هذه الفروة شيئاً أهم من القطن والمول والقدر. شيئاً لا يمكن تحديده بعد. لقد صار الانفلات من الواقع، ممكناً فقط بوجود هذه الفروة المنسية.

كان يجب أن يكون الفعل الذي سيقوم به أغاغوك، عملاً خارقاً لا ينسجم مع عوائده في الحياة، شيئاً يدوّن اللحظة على نحو دقيق، ولأمد طويل.

وصاغ أغاغوك هذا الانفلات شيئاً فشيئاً ثم حدده. وأدرك، على حين غرة، ما الذي ينبغي فعله. فما بين اللحظة المكدره أمام ماك تافيش، وبين عودته إلى الكوخ حيث تنتظره إريوك، كان لابد من حدوث شيء ما، فجوة ما. ولم يستطع أغاغوك أن يستأنف سيره، ولا أن يعود في الحال إلى المرأة.

ساط الكلاب. حماس فجائي لم يسعّ حتى إلى كبحه، حماس انبثق بعد اتخاذ قرار محدد. فقد عرف بالتالي ما الذي يجب أن يفعل.

قاد الزلاجة إلى الأمام مباشرة، صوب كوخ في طرف القرية. كوخ أكبر من الأكواخ الأخرى، تعلوه سارية قصيرة حيث ينفض علمٌ خيوط حواشيه في الهواء.

كان الكوخ معروفاً جداً بالنسبة إلى الاسكيمو الذين تناقلوا عنه المعلومات. ففي هذا الكوخ يجد المرء، كما قالوا، مايلبي حاجاته.

هل كان هذا الكوخ يحظى بحماية خاصة؟ هل كانوا يغضون الطرف عما كان يجري فيه. لا أغاغوك ولا الINUIT القادمون للمقايضة استطاعوا الإجابة عن تلك الأسئلة. كانوا يعرفون بوجوده، ويعرفون بأنه يمكنهم العثور هناك على...

كان أغاغوك في الكوخ حاسماً. لقد عرض فروة السمور المسكي، فروة فاخرة. وكان الرجل الذي استقبله ذا دم - هجين، من الاسكيمو ومن أوجيبويه، كان مهرباً معروفاً جيداً في القطب الشمالي كله، يكاد يمارس تجارته تحت أنف الدرك الملكي.

تفحص الفروة بازدراء قائلاً:

- تريد أن تضحك عليّ؟

كان أغاغوك يحس بثقة أكثر بنفسه هنا. فانتزع الفروة من بين يدي الرجل وقال:

- سأذهب إلى مكان آخر.

وكان للتهديد معنى هذه المرة. إذ كان بوسع أغاغوك أن يذهب إلى مكان آخر فعلاً. رجل أبيض، قال أغاغوك لنفسه، يستطيع في هذه القرية ذاتها تلبية الحاجات المماثلة.

هزّ الرجل رأسه وعبس قائلاً:

- لاتساوي هذه الفروة كثيراً.

- إنها تساوي ماتساوي.

- زجاجة لأكثر.

ثم مدّ يده وتناول من صندوق كان خلفه زجاجة ماء - حياة صغيرة، دون علامة، ماء - حياة أبيض مشرب بالسكر، عصارة أقذر المواد، جلبت إلى هنا عن طريق التهريب...

أعاد أغاغوك فروة السمور إلى تحت معطفه قائلاً:

- كلا.

كانا جالسين على الأرض أرجلهما مطوية تحتهما، يتناقشان تحت ضوء مرتعش يصدر عن قنديل كاز صغير، وكانت رائحة كريهة زنخة من العرق والشحم الفاسد والخمرة الرديئة تنتشر في الكوخ برمته.

تنهد الرجل. لقد تمت المناقشة وفق الأصول. ستكون النتيجة جيدة. كان يعرفها. فتناول زجاجة أخرى من الصندوق.

- أربع زجاجات أو لا، قال أغاغوك.

حدّق الرجل في الفروة، فروة السمور الجميلة الناعمة. كان يعرف ماذا سيحدث منها. فلن تحلم بها الشركة. خفية، مثلما تتم تجارة ماء - الحياة، سيتكفل أحدهم بالتصرف بها. وستصل فروة السمور الرائعة إلى يد دباغ محتال في المدينة. وهو دائماً موجود لشراء الجلود غير المختومة. بعد ذلك ستأخذ الفروة طريقها إلى أوروبا.

حسب سعر السمور التجاري، ستكون المجازفة في محلها.

- أربع زجاجات، ردّد أغاغوك حاسماً.

أطلق الرجل سباباً غليظاً، بلغة البيض، ولكنه أنهى ذلك بأن سحب زجاجتين أخريين من الصندوق وقدمهما إلى أغاغوك مقابل الفروة.

فانصرف أغاغوك في الحال، حاملاً الزجاجات الثمينة وهو يخفيها تحت معطفه. وفي الخارج قفز إلى حافتي الزلاجة، وساط الكلاب. لم يتعد كثيراً. فوق السهل الثلجي، وقبل أن تحل ساعة التخميم، أوقف أغاغوك الكلاب، وعمّر كوخاً.

أما بالنسبة إلى الخطة التي كان قد رسمها في رأسه، مشروع الانفلات من الواقع، فقد أرجأ تنفيذها. لم يستغرق إطعام الكلاب من وقته سوى لحظة، بعد ذلك وضع حمولة المركبة في مكان آمن في الكوخ. أوقد أغاغوك، بعد أن اختبأت كلابه تحت الثلج، المصباح الحجري في مأواه الدافئ، وأفرغ، بدلاً من تناول الطعام، الزجاجة الأولى، في جوفه.

وعلى الرغم من أن جسمه لم يكن معتاداً على تناول الكحول، فقد أحسّ بقوة بدنية هائلة إلى درجة أنه لم يكذب يشعر بمفعول الزجاجة الأولى. ثم أفرغ الثانية متمهلاً.

فشربها، بعد دقائق، حتى الثمالة. تباطأت حركاته، وصار يتحدث مع نفسه بلسان يتلعثم. كان يشق عليه أن يظل مستيقظاً، وكان يقاوم النعاس على الرغم من ذلك.

وكان يصعب عليه تحديد الأفكار التي تدافعت إلى ذهنه. شعر في البداية بخفة رشيقة. وزار بلاداً عجيبة ساحرة. لقد كانت نشوته غبطة.

بعد ذلك انتابه الغضب. غضب داهمه على حين غرة، عارماً، أمراً، ولكنه قبل أن يخضع لهذا الغضب، سقط نائماً. فلقد انتصرت الخمرة في عروقه على كل مقاومة.

كان صاحياً في الصباح ولكن منهكاً يعاني من الصداع. سلق اللحم المجفف، وخرج، بعد أن تناوله، لإطعام الكلاب التي كانت تنبح نباحاً بائساً. عندما رجع إلى الكوخ، شرع يشرب مفرغاً الزجاجتين الأخيرتين. تأخرت النشوة هذه المرة. فبعد أن تناول الطعام، أبدى جسمه مقاومة في امتصاص الخمرة. وراح يغني. زعيق غريب، دون لحن أو تسلسل، ضرب من صراخ حيواني. وكان يتابع الإيقاع بضربات يضربها براحة يده على فخذه. وشرعت الكلاب تنبح بدورها في الخارج. واستمرت الجلبة مدة طويلة ثم خمدت شيئاً فشيئاً. ونام أغاغوك، قبل حلول المساء، متهاكاً إلى جانب كيس الملح.

عندما استيقظ، في فجر اليوم التالي كان فمه دبقاً ورأسه ثقيلًا. فقتن، غريزياً كل حركة يقوم بها، إذ أن كل تحرك كان يسبب له ألماً مبرحاً. وبمشقة بالغة وقف على قدميه وخرج يطعم الكلاب.

كان سفرٌ طويل لايزال أمامه. كانت الرياح تهدر والسماء رمادية. والثلج يتطاير فوق التونдра.

فكر أغاغوك:

العاصفة

ما انتابه أي شعور بالخوف. وعلى الرغم من الوجع البدني الذي كان يرهقه، فقد كانت روحه وأفكاره طليقة على نحو غريب. ولم تعد الحادثة التي وقعت لدى ماك تافيش تشكل عيباً، أو حتى ذكرى تشغل باله. لقد انتهى الأمر. كانت الفجوة طافحة، وبوسعه الآن الرجوع إلى إريوك.

فحمّل الزلاجة، وخزّب الكوخ ركلاً، ثم شدّ الكلاب وساطها مبتهجاً، زاعقاً فيها شاتماً، ويضحك لسماع صدى صوته فوق كتبان السهل المتجمد.

كانت الريح تنذر بالعاصفة، لايهم!

لقد أنعش البرد أغاغوك، فسار الدم في عروقه سيراً مترناً، وتلاشى الألم سريعاً. وحث أغاغوك الخطى. وكانت الكلاب، الناشطة بعد استراحة طويلة لم تعتد عليها، تبذل جهداً كبيراً، وتجر الزلاجة دون كلل. غير أن أغاغوك كان يدرك بأنه لن يكسب رهاناً بالعاصفة فيه طرف آخر.

زهاء الساعة الخامسة من بعد الظهر، وبينما كان الطاقم قد قطع مسافة طويلة خلال نهار كامل، بردت الريح وسقط الثلج قاسياً لاذعاً. لم ينتظر أغاغوك. كان هبوب العاصفة سريعاً، ولم ينخفض تدريجياً، بل كان ينقض على السهل محتلاً الأرجاء كلها مباغتاً الجميع.

والكوخ من جديد. كان لدى أغاغوك الزاد والزيت، وبوسعه الصبر حتى يهدأ الجو في المنطقة.

أدهشته قوة العاصفة، هو الذي صادف، مع ذلك، كثيراً غيرها. وملأ الجو أزيز دائم، وسقطت كتلة الثلج المنجرفة مع الريح فوق الكوخ وزحزحته. حتى الكلاب نبحت هلعة، وكان أغاغوك يسمع صوتها يمتزج مع دوي الريح الهادرة، حانقة في علياء السماء.



## العاصفة الثلجية - ANORE

استمر هبوب الريح يومين.

ولم تهدأ في نهاية اليومين هدوءاً تاماً، ولم يبق فوق السهل سوى بقايا رياح خفيفة وندف ثلج، وهبّات كانت على وشك أن تسكن. مدّ أغاغوك رأسه خارجاً وأدرك أن بوسعه متابعة المسير دون مخاطر تذكر.

كانت طبقة سميكة من ثلج ناعم مسحوق تغطي التوندرا. فتعثرت الكلاب وانزلقت وسقطت. شتان ما بين وعورة السير الآن وبين سهولة السفر أثناء الذهاب.

صرخ أغاغوك يشتم الطاقم حيناً، ويتوسل إليه ويشجعه حيناً آخر، وفرقع السوط في الهواء الجاف يخالط صوته نباح الحيوانات المتقطع.

أمضى أغاغوك ثلاثة أيام أخرى لاستكمال الرحلة، ثلاثة أيام كاملة عسيرة مثل عناء البقاء.

انهارت الكلاب، عند كوخ أغاغوك، خاترة القوى منهكة ومرهقة.

كانت إريوك تنتظر. لم تبد أي قلق، ولا أي اهتمام. تذكرت الدرس الذي تعلمته. على أن أغاغوك غاب أكثر من عشرة أيام، بدلاً من أربعة أو خمسة أيام، كما كان متوقفاً في البداية.

استقبلته كما لو كانت تنتظره الآن: بحنان، وبريق غامض في عينيها. ولكنها تجنبت التفوه بأدنى كلمة وذلك على الرغم من أن توة أغاغوك في السهل الثلجي قد شغل بالها.

إذ لم يكن من السهل البقاء دون مبالاة، دون إظهار أي شيء عن الأيام القاسية التي عاشتها مؤخراً، وحيدة منذ أن عصفت ريح البليزار، قلقة حتى الموت على مصير أغاغوك في هذه العاصفة. لم تقل سوى عبارة واحدة لفظتها ببرود وعدم اكتراث مصطنع.

- لقد غبت أياماً كثيرة.

- تأخرت في القرية، أجب أغاغوك دون تردد.

ثم أضاف بعد حين:

- أرغمتني العاصفة على التوقف.

لقد كذب دون أن يعرف كيف يكذب. على أن إريوك حدست ذلك جيداً. ولكن ما الفائدة من الاحتجاج؟ فما هو الآن هنا، أمامها وقد عاد سالماً. عاد، وهذا هو المهم على الأخص.

- هل عدت بما كنت ترغب فيه؟ سألت إريوك.

فقام أغاغوك بإيماءة غامضة. ثم خرج وبدأ ينقل الأكياس التي كانت فوق الزلاجة، إلى داخل الكوخ، وبسط البضاعة على المقعد الجلدي.

قال أغاغوك وهو يناولها السلاح:

- بندقتك.

تناولت إريوك البندقية، واحتفظت بها طويلاً بين يديها، تتفحصها وتدقق النظر فيها.

قال أغاغوك:

- سأعلمك إطلاق النار.

بصمت، لكن بابتسامة غريبة، فتحت إريوك واحدة من صناديق الطلقات، وتناولت منها طلقة وألقت السلاح، ثم قالت:

- تعال.

ويصعوبة بالغة، نظراً إلى بطنها، خرجت إريوك زحفاً من خلال النفق وتبعها أغاغوك. وفي الخارج أشارت إلى شجرة نابته على ضفة النهر، ثم قالت:

- هل ترى ذلك الغصن المتشعب إلى اليسار، انظروا!

وأسندت البندقية إلى منكبها، وماكادت تصوب حتى ضغطت على الزناد... لعلت الرصاصة وتناثر الغصن متطايراً في الهواء.

همهم أغاغوك همهمة إعجاب، هي نوع من دممة خشنة صادرة من أعماق حلقه. وقال:

- لاشيء أعلمك به، لاشيء.

وابتسم لها، فأحست بالرضى فجأة. ولماذا تطلب من زوجها أكثر من هذا الكلام الذي كشف عن عالم من الأفكار؟ انتزع أغاغوك البندقية من بين يديها، وأسندها إلى جدار الكوخ قائلاً:

- ساعديني، هناك أشياء لا بد من حملها إلى الداخل.

أفرغت الزلاجة خلال لحظات. لقد أنجز العمل معاً فأصبح كل ماجلبه أغاغوك من سفره، في مكانه داخل الكوخ.

- كنت أرغب أن أحضر لك بعض القطن...

- قطن؟ ماذا سأفعل به؟

- أما رأيت نساء البيض؟ انهن يرتدين ثياباً قطنية أحياناً، عندما تكون الشمس قوية...

فقال إريوك:

- في القرية، رأيت امرأة في تلك الثياب...

ظل أغاغوك صامتاً لحظة، ثم قرر الاعتراف بجزء من الحقيقة، على الأقل بالوقائع، التي جرحت كرامته، والتي كانت بالنسبة إليه أسوأ ما في الأمر.

- لم يرغب في إعطائي القطن...

- مَنْ؟

- العامل في مخزن الشركة.

- هل اعترضت؟

- زَمَّ أغاغوك شفثيه.

- في الحقيقة، لقد حصلت على السعر الذي يناسبني. أردت شراء قدر حديدي لك أيضاً. ومعولاً لي. لكن الرجل رغب عن ذلك...

كان السر ثقيلاً. ثقيلاً إلى درجة أن أغاغوك كاد أن يتحدث عن الغضب الذي استبدَّ به وعن سكرته فيما بعد.

- هكذا هو الأمر دائماً، وأنت تعرف ذلك يا أغاغوك...

هذا صحيح، ولكن أغاغوك لم يعتد عليه. والأولى به أن يلتزم بالصمت. فما فائدة البوح بالذي حصل بعد انصرافه من مخزن الشركة؟ لن تفهم إريوك ذلك.

بقيا في الخارج، حتى سحبوا الزلاجة إلى وراء الكوخ وثبتاها هناك. وهبت الريح فجأة، وخطفت قلنسوة إريوك وجعلتها تتطاير. نظر أغاغوك إلى السماء المنخفضة. وتشمم رائحة الريح، ثم تقدم أبعد من ذلك ليرى السماء على نحو أفضل.

- ما هذا؟ سألت إريوك.

- ربح بليزار أخرى، إنه شتاء قاس، ليس فيه الكثير من الأمان.  
دخلا من خلال النفق، مسرعين بالغريزة، على الرغم من أن العاصفة  
كانت لاتزال بعيدة، وكأنهما احتاجا فجأة إلى دفء الكوخ المطمئن، وإلى  
الهدوء السائد فيه.

- هل ستدوم العاصفة طويلاً، - سألت إريوك.

- لأدري. أربعة أيام، وربما أكثر.

فلاحظ أغاغوك القلق الذي انتاب إريوك.

- ماذا دهاك؟ أنت تعرفين طبعاً ما هي العاصفة!

- عاصفة تلو أخرى... إذا كان الشتاء كله على هذا المنوال، فما الذي  
سنفعله عند قدوم المولود؟

فابتسم أغاغوك قائلاً:

- إن وُلِدَ المرء في أثناء الرياح العاتية والباردة، فسيكون أكثر بسالة وأكثر  
قوة. إنها علامة.

وبدأ الانتظار.

## النهاية - ISUK

واستمر الطقس شديد البرودة عاصفاً خلال الأشهر اللاحقة. وكانت الأيام الهادئة قليلة، وكانت العواصف الهوجاء تنداح من الشمال.

- Ayornarman، قال أغاغوك ذات يوم: Ayornarman.

حقاً، لم يكن في اليد حيلة، كانت الريح تهدر في الخارج، والثلج المهاجم هجوماً عنيفاً ويتساقط طبقاتٍ سميكة قاسية. فقرص أغاغوك في مدخل النفق يراقب السهل طيلة خمس دقائق، يراقب ما يوسعه أن يرى.

كان الامتداد الشاسع يبدو، في ساعات الهدوء النادرة، لانهائياً وعلى وتيرة واحدة. ثم اشتدت الريح. كانت ريحاً عاتية، وقوية تكسح كل شيء وتقلب الثلج ثم تقذفه من جانب إلى آخر، على الكوخ. وترصه في طبقة حجبت أخيراً كل شيء.

وفي تأمل، قدّر أغاغوك الزمن الذي ستستغرقه العاصفة. كان وقت إريوك قد حلّ وعليه، عما قريب، أن لا يفكر إلا بها. عندما رجع إلى الكوخ، فحص أغاغوك في قمته فتحة التهوية المحفورة في حجر المرتكز الذي يمسك بالقبة الثلجية المتجمدة.

لم يبلغ الثلج هناك بعد، ولكن إذا استمرت رياح البليزار فسيبلغه سريعاً. جلس أغاغوك ثانية، وتناول ما يشبه المدية من عظام الفقمة، نحت بها، فوق ركبتيه، كتل الثلج لبناء كوخ جليدي. ستعود هذه الأداة العريضة بالفائدة عند الحاجة، مثل فتح نفق مرور سدّته الرياح، أو فتحة تهوية مطمورة بالثلج، كما ستكون الحال فيما بعد بضع ساعات.

شدّب أغاغوك كتل الجليد سريعاً، وعلى بعد ثلاثة أمتار من الكوخ، وفي وجه الرياح عمّر جداراً يعلو متراً، مصداً للريح صلباً، بسماكة كتلتين من الجليد.

لقد كانت حالة إريوك تبعث في الـ INUK قوة محمومة للعمل. كان سيرتك الثلج، ربما، يتراكم في أيام الحياة العادية. غير أنه شاهد نفسه في مواجهة ظروف خاصة. إذ سيحتاج إلى الخروج بسرعة، ولا بد أن يكون المرء سالكاً، وفتحة التهوية جيدة قدر الإمكان.

لن يحمي المصدّد الكوخ حماية كاملة، ولكن أغاغوك أرجأ الخطر. كان ذلك حلاً مؤقتاً، الحل الوحيد الذي استطاع أن يبتكره. وعاد إلى الكوخ بعد انتهاء العمل.

كانت إريوك تخطط، على ضوء الموقد.

- هل سيغطي الثلج الكوخ؟ - سألته.

- لقد بنيت مصداً للريح.

- سمعتك تدق كتل الجليد.

- قد تهدأ الريح.

- وإن لم تهدأ؟

- Ayornarman، ردد أغاغوك ذلك مرة أخرى.
- فلمقد فعل كل ما بوسعه أن يفعله. أما فيما يتعلق بالباقي، فما كان عليه سوى أن يسلم أمره للقدر. أصغى ساعة، دون حراك، إلى الريح.
- هل ستنتهي العاصفة عما قريب؟ سألت إريوك.
- فرفع أغاغوك إحدى كتفيه وحول نظره قائلاً:
- إنها إحدى العواصف الأخيرة. بعد ذلك ستسكن الريح.
- لم تصدقه المرأة التي صرحت:
- لقد قلت هذا قبل اسبوع، وها هي عاصفة أخرى... ثم إنك تردد ذلك منذ شهرين.
- لست سيد هذه الظواهر، دمدم أغاغوك.
- لقد نفد اللحم المجفف من عندنا.
- أعرف.
- والسماك المجمد، انظر...
- كانت الثغرة في جدار الكوخ، حيث كانا يحفظان السمك المجمد تكاد تكون فارغة.
- لم تصطد شيئاً منذ شهر.
- ليس هناك ما أصطاده، فالسهل مقفر.
- والذئاب؟
- كانا يسمعان، عندما لم تكن الريح قوية في بعض الأحيان، عواء القطعان الجائعة.

رفع أغاغوك يده بحدة وقال متشبهاً بكلامه:



- ليس هناك ما أصطاده في السهل.

- الذئاب...

- لا يوجد شيء.

لايعترف بعجزه عن مطاردة تلك الذئاب والاقتراب منها. فُحَّ منصوب طيلة شهر، راقبه وغيّر مكانه في كل مرة كان ذلك ممكناً، ولكن دون جدوى، كما لم ينفعه ترصده الصبور بين الدغل على حافة النهر. وحفر الثلج أيضاً، وبلغ الجليد فوق النهر، ومدّ، من خلال نقرة في قشرة سميكة، خيط صنارة ثابت، ولكنه لم يفز بسمكة واحدة. إذا تأخر الربيع أسبوعين أو ثلاثة أسابيع على أكثر تقدير، فستحلّ المجاعة.

قالت إريوك بهدوء:

- كان لحم الرنة الذي لم نجففه، بل رميناه للتعالب والذئاب، كان

سيسعفنا...

كان أغاغوك قد قتل ذكر رنة في أواسط شهر تشرين الأول. وكان قد قدّر كمية اللحم المجفف على سبيل الاحتياط واعتقد بأنها كافية. لقد سلخ الرنة ثم ملّح الجلد وطواه. ومن اللحم لم يحتفظ إلاّ ببعض الشرائح الممتازة، ورمى الباقي لحيوانات التوندر.

- كان ذلك سيسعفنا، رددت إريوك.

انتاب أغاغوك غضبٌ جديد. فهل كانت إريوك بحاجة إلى أن تردد ذلك؟ وهل كان يتوجب عليه أن يسمع عتابها الآن؟ ثم هل كان يعلم، قبل ذلك بمدة طويلة في ذلك اليوم التشريني، أي شتاء قاس سيكونه هذا الشتاء؟ فصرخ في وجه المرأة:

- اخرسي.

فخففت إريوك رأسها.

ولم تعد ترغب في النقاش. فضلاً عن ذلك، فقد سلمت بأن قلة التبصر

لم تكن ذنب أغاغوك وحده. كان ينبغي عليها هي الأخرى أن تصر على تجفيف اللحم وتدخينه بدلاً من تركه علفاً للحيوانات المتوحشة التي لن تقع في المصائد إذا ما جاءت إلى السهل.

وكان السبب الثاني الذي دفعها إلى السكوت هو الصغير الذي في بطنها، كان الطفل يتحرك فتشعر بالألم. إحساس لم تشعر به قبل الآن. لم يكن وجعاً، بل كان أشبه بجذر وجع. جذر بعيد عميق في داخل البطن.

قام أغاغوك، وراح ينظف، بمدية من الثلج، فتحة التهوية التي انسدت بسرعة. كان يعمل بحركات غاضبة، مشحوناً بقوة وحشية.

وكانت إريوك. وهي جالسة على المقعد الجلدي حيث كانت الجلود ممددة، ووبرها إلى الخارج، كانت تمن النظر في بعض الصور الداخلية، فرح لا إسم له. وكانت تبسم، بغموض، كأنما دون سبب، لهذا الإيحاء الذي أدركته من تلقاء ذاتها. صراخ مولود في الكوخ؟ لهو طفل في تونдра شهر تموز؟ لم يشقّ السكون، سوى صوت مدية أغاغوك التي استمرت تنحت الجليد وتفتته.

اندفع الألم، فجأة، سهماً حاداً يخترق بطن المرأة. فأحنت إريوك رأسها وأتت.

تسمر أغاغوك في مكانه، ناظراً باتجاه إريوك. ثم سأل:

- ماذا بك؟

هزت إريوك رأسها من اليمين إلى الشمال. فلقد زال الألم الذي جاء بغتة.

ردد أغاغوك باصرار:

- ماذا بك؟

استلقت المرأة على الجلود. كان بطنها يرفع المعطف ويبدو كعاهة سمجة. كانت إريوك تستريح مغمضة العينين. فدى الرجل المدية في حزامه واقرب

منها. ورغب في الجلوس إلى جانبها، والقيام بعمل رقيق، ولكنه لم يتعلم، فيما مضى، قط هذه الأشياء، ف شعر فجأة بحاجته الماسة لها، حاجة سببت له الكدر. لم يعثر على الكلمات التي كان يرغب في قولها، إنما على كلمات ساذجة دون معنى. وقال تلك الكلمات بنبرة تكاد تكون لطيفة.

- هل تريدن شيئاً؟

كانت المادة نادرة. قد احتفظا بها لحين العودة من الصيد بعد قضاء يوم شاق في التوندرا، والحالات الحمى، أو للحظات مشابهة لما ذكر.

- ألا ترغبين فيه؟

رفعت إريوك جفنيها. كانت نظرتها طيبة وصادقة. كمنظرة حيوان جريح يثق بمالكه. وكان جبينها ينضح عرقاً.

- كلا، قالت، لأأريد شيئاً.

واخترق بطنها ثانية نصل ألم حاد، فتلوت وأنت رغماً عنها. وقف أغاغوك ساكناً عاجزاً عن الحركة بل عن التنفس.

- اعتقد أن الوقت قد حل، قالت إريوك، هل تعرف ماذا ستفعل؟

- نعم.

انحنى أغاغوك، وخلع عنها الثياب، بحركات، بجهد كي تكون مجردة من الحشونة المألوفة - ونزع المعطف عن المرأة من فوق رأسها، ونزع الحذاء. ثم سحب سروال الجلد الناعم فصارت إريوك عارية الآن ممددة على جلد الرثة.

كان الجو حاراً في الكوخ، حاراً جداً. فاستمرت إريوك تعرق حتى وهي عارية، كان جسمها يلمع تحت نور موقد الزيت. جسم صار متنافراً، ثديين قاسيين وبطناً هائلاً، وعانة منتفخة ناشرة وبراً بعرض كفين على البشرة الشفافة. وعلى تكور البطن ظهر فجأة تشنج اخترق المساحة المنبسطة وجعل إريوك تتحرك. ثم ظهرت بقعة كبيرة مصبوعة بالدم على جلد الرثة. ومن الفرج الفاجر سال الماء غزيراً ممتزجاً بالدم.

راقب أعاغوك الظاهرة الجديدة متشنج اليدين مرتعباً.

- لانتشغل بالك، تمتت اريوك، ليس من داع. فلقد علمتني العجوز بوكتوك كيف أتصرف. إن هذا لايعني شيئاً. لايعني سوى أن وقتي قد حلّ، وأن لاشيء بوسعه الآن إيقاف الولادة.

كانت تتكلم بصوت أجش ومتقطع وقلق. عيناها مغمضتان دائماً، ورأسها ملقى إلى الخلف على الجلود.

- لاشيء بعد الآن، رددت، لاشيء بوسعه إيقاف الولادة.

وشاهدها أعاغوك كيف تتلوى أماً على فراشها، عندما اخترق بطنها ألم حاد آخر.

## الابن - ERNGNIK

كان الألم، في البداية، مبرحاً صادراً عن أعماق الكائن، يكاد يكون، في الأصل، مجهولاً. كانت إريوك تنتظر متصلبة، ولكن الألم سرعان ما زال فتنفّست تنفساً عميقاً. وما أن ارتخت الأصابع المشتتجة فوق جلد الرئة، حتى ظهر الألم ثانية أكثر حدة في أحشاء إريوك، فأنت بوهن، عاجزة عن خنق تلك الأثبات الطويلة التي كانت تستغيث بأغاغوك.

بعد ذلك هدأ كل شيء، وخيم السكون على الكوخ.

ومن الخارج لم يكن يسمع سوى زمجرة الريح الصماء، مخنوقة بسبب جدران السكن الجليدي السميقة.

هكذا، وخلال مدة طويلة بالنسبة إلى إريوك، استقر تعاقب السلام والجحيم، وحضر أغاغوك، عاجزاً، هذا الصراع. متضيقاً من قوته الوحشية،

شاعراً بالذل فجأة، لعدم جدوى عضلاته، كان أغاغوك يتأمل، بهلع شديد، عمل الطبيعة هذا حيث لا مكان للإنسان فيه. وكان ينظر، بعينين جاحظتين، إلى حركة الحياة تحت جلد بطن إريوك المشدود. وأحس، وهو مستندٌ إلى جدار الكوخ، بأن رعباً قد تملكه في تلك اللحظة التي صدرت فيها أنة أخرى عن إريوك، أنة تضخمت واستحالت، بعد ذلك، صيحةً حيوانيةً لم يسمع أغاغوك لها مثيلاً في حياته، لا في التوندرا ولا في أي مكان آخر. وحل السكون ثانية، ولكن لمدة اقصر هذه المرة، لوقت لا يكاد يكفي لاستعادة التنفس. وعندما عيل صبر أغاغوك قال بصوت أجش:

- أريد نزع الوجود منك!

لم يكن يرغب في أن تتألم إريوك أكثر من ذلك. كان يرغب في اقتلاع الألم فجأة. واستئصاله من جسمها مثل جذر سيء يحرقه فيما بعد. فصار لا يرغب، بعدئذ، إلا في خلاص إريوك. ولم يعد يكثرث، بالغرابة، بالمولود القادم.

- لا تستطيع انتزاع الوجود مني، أنت المرأة، لا تستطيع. لا تستطيع أن تفعل شيئاً يا أغاغوك.

حينئذ، أحس أغاغوك، في أعماق وعيه الباطني، بغضب يتفجر. لا كما يتصاعد الدم إلى الرأس فجأة، بل كان غضباً بطيئاً شرساً نابعاً من أعماقه ليستبدّ به استبداداً كلياً. وظهرت قوة جديدة في داخله، قدرة خارقة بوسعها أن تتحكم في الحدث.

يداه مستندتان إلى الجدار الجليدي، عضلات ساقية متوترة مشدودة، ركبته بالكاد مطويتان، كان أغاغوك يلهث بغيظ منسجم مع إيقاع أنات إريوك ومع جنون صرخاتها.

وباتت إريوك تصرخ دون توقف. لم يعد ذلك أنيناً، ولا نواحاً، إنما كان صراخاً طويلاً مديداً نابعاً من الأعماق. صوت خطير مرعب، يتصاعد تصاعداً

هذيانياً. كانت إريوك تباعد أحياناً ما بين فخذيهما ما وسعها ذاك. وكانت إذ ترفع ركبتيها وتكور جسمها كاملاً تضغط، بيأس، لتلقي خارجاً بتلك الكتلة الحية التي أمست تحتل مكاناً كبيراً في أحشائها.

وانفتح الفرج، ذات لحظة، مثل خطم، مثل ثقب معتم: مَسَخ منحوت في أسفل البطن.

كان صراخ المرأة يملاً الكوخ، ويرتد صداه مرعباً على طول الجدران وحتى قبة الجليد. أما أغاغوك الذي كان مستنداً إلى الجدار طوال الوقت، فقد استحال حيواناً أكثر مما هو إنسان، تخرج من حلقه دمدمة خشنة مستمرة. كانت عيناه محتقتين بالدم، ويهز رأسه من الشمال إلى اليمين بحركة دائمة مثل حيوان يستعد للإقضااض.

وباعدت إريوك، فجأة، ما بين فخذيهما وساقيهما ثانية، واحترق التشنج بطنها فنلوت. واستولى عليها الألم كاملاً عندما ظهر رأس الطفل على حين غرة.

رؤية مفزعة بالنسبة إلى أغاغوك. بشرة دون وبر، عارية لامعة، شبه كرة سدّت المهبل. وأطلقت إريوك صيحة أخرى، أكثر حدة، فشق الرأس لنفسه ممراً بعد ذلك أسهل.

حينئذ وثب أغاغوك.

لقد استطاع، حتى ذلك الحين، التغلب على غضبه. ولكن بلغ السيل الزبي. كان عليه أن يقاتل الألم الشديد الذي تعاني منه إريوك. لقد كان ذلك عفريتاً، روحاً شريرة، حيواناً مفترساً لا بد من قهره.

وانقضّ أغاغوك على إريوك، ثم رماها على الأرض فوق الجليد الرطب. وأوسعها ضرباً بقدميه وقبضتيه، ساعياً بتلك الطريقة، القضاء على الألم وإرغامه على الفرار من بطن المرأة. كان أغاغوك يصرخ طوال ذلك الوقت صراخاً هائجاً، فتمتزج صرخاته مع صرخات إريوك التي عضها في ذراعيها، وأشبع وجهها كله ضرباً، فانبجس الدم من شفثيها المتورمتين.

بعدئذ تشنجت المرأة بغتة بكامل جسمها. وأطلقت صرخة أخيرة تلاشت في شهيق طويل مخنوق. كان صوتها المتوسل يتردد في الكوخ.

- لقد خرج! صاحت إريوك، ألا ترى! لم يعد في بطني! لقد خرج! سكن أغاغوك الذي كان مثل حيوان متوحش قبل لحظة. ونهض ثم شاهد الطفل لابتداءً بين فخذي إريوك، فانحنى وتناول الجسم الهامد. وقطع، بسرعة حبل السرة بأسنانه.

ونفر الدم، فأخذ أغاغوك خيطاً كان قد احتفظ به منذ وقت طويل في قاع جيبه، ترقباً لهذه اللحظة بالذات، وربط بسرعة الحبل اللزج اللين بمساواة بطن الطفل.

- يجب أن يتنفس، قالت إريوك بصوت عميق ناعس.  
فنظر أغاغوك إليها.

كان يصعب التعرف على وجهها. وكان الدم يسيل من الجروح التي سببها لها. كانت شفتها ممزقة كأن شفرة مزقتها وكانت إحدى وجنتيها متورمة...

- يجب أن يتنفس... أسرع! طلبت إريوك بإلحاح.

فأمسك أغاغوك الطفل من قدميه، ورفع يده ممدودة، وبإصبعه الغليظة الخرقاء، أفرغ مافي داخل الفم من المخاط المتراكم، ثم ضرب المولود الجديد بعنف على أسفل ظهره.

فتلوى الصغير في قبضة أغاغوك، وتقلص تقلصاً شديداً، ثم دوى بكأؤه حاداً، صوت طفل معافى، ولد ولادة سليمة، طفل يجب الاعتزاز به.

- إنه ذكر، قال أغاغوك، بصوت أتلغه الإنفعال على نحو غريب. وبابتسامة حنان بالغ، أرقد الطفل الصغير على باطن ذراعه. فابتسمت إريوك أيضاً مغمضة العينين ثم قالت:

- كنت أعرف أنه ذكر... كنت أعرف ذلك منذ مدة طويلة...



جلس أغاغوك القرفصاء قريباً من المرأة التي كانت لاتزال ممددة على الأرض، ووضع الصغير على أحد الجلود، ثم رفع إريوك وأعادها إلى فوق المقعد الجليدي على الجلود الدافئة.

بعد ذلك، استلقى هو الآخر، في الفراش، واضعاً الصغير في مكان دافئ بين الجسدين.

- نامي، قال لإريوك، نامي.

سكت الطفل. لقد كان يتنفس تنفساً هادئاً.

- نامي، ردّد أغاغوك.

ونام هو أيضاً، مشدوداً إلى جانب المرأة والطفل، كل ملكه وثروته.

## النور - K' AUMAYOK

كان أغاغوك أول من استيقظ صباحاً.

نام طويلاً ربما خمس عشرة ساعة، لا يعرف على وجه التحديد.

كان المولود الجديد ساكناً، مغمض العينين، محشوراً بين إريوك وبين أغاغوك، الذي تناوله بين يديه وراح يعاينه، فرأى الجسم سميناً وقاسياً منذ الآن والظهر عريضاً، والساقين رشيقتين. سيكون طفلاً رائعاً، وقوياً ومعافى، وسيصير ماهراً ووسيماً.

أفاقت إريوك، ثم أنت وهي تتقلب على الفراش. رأسها فوق ذراعها المطوية، أخذت إريوك تراقب، دون حركة، الطفل فوق ساعدي أغاغوك. فوقع نظرها أولاً على الرأس الذي كان لا يزال معصوراً بيضوياً بسبب جهد الولادة. ثم الكتفين، فالصدر وأسفل البطن الناتئ، والساقين المطويتين والقدمين الدقيقتين والممتلئتين. ومدت ذراعها دون كلام.

فوضع أغاغوك الطفل بينهما.

قرّبت إريوك فم الصغير من ثديها. وضغطت بأصابعها على الحلمة بين شفثيه. فشرع يمتص بهم.

- هل بدأ يرضع؟ سأل أغاغوك الذي كان يتأمل الطفل مبهوراً.

- كلا، أجابت إريوك. فلن يسيل الحليب قبل غد. ولكن يجب أن يتعلم.

ورضع الصغير الثدي الجاف بعد، ثم غضب لعدم حصوله على شيء وراح يصرخ، فضحكت إريوك ضحكاً رقيقاً صعد من أعماق حلقها، ثم قالت:

- هل ترى، إنه مثلك.

أما أغاغوك المستحي والمقرفص إزاء الموقد، فلم يقل شيئاً.

- هل تريدن شيئاً؟ سألهما بعد حين.

- نعم... وأنا بحاجة إلى الماء أيضاً.

كان الطفل ملطخاً بالدم، وكأنه تمرغ في نفايات دامية. وعندما باعدت إريوك ما بين ساقيهما، شاهد أغاغوك جلد الرثة ملوثاً، وبالقرب من فرج المرأة كانت كتلة من المشيمة ملفوظة في أثناء النوم الذي أعقب الإنهاك.

- سأخرج كي أجلب بعض الثلج، قال أغاغوك، وأدعه يذوب ثم أغلي الماء فوق النار.

ولكنه تردد في مغادرتها. وظل واقفاً يتطلع إليها ثم أضاف:

- مساء أمس، ضربتك...

وضعت إريوك إصبعها على وجهها تلمس الشفة المشقوقة والعين الجريحة والوجنة المتورمة.

- أعرف.

حرك أغاغوك إحدى قدميه، باحثاً عن الكلمات. ولكنه لم يجسر على النظر إليها وجهاً لوجه.

- لم تكن قادراً على شيء، قالت إريوك برقة.

- نعم، لم أكن قادراً.

- لقد انتهى الأمر، تمتت إريوك. ولقد جاء الصغير. إنه قوي. وسيمضي

كل شيء على مايرام.

عاد الطفل يمص الثدي المنتفخ الذي مازال خالياً من الحليب. نهضت إريوك ووضعت الطفل قريباً من الموقد لتدفئه. تنفس أغاغوك تنفساً عميقاً يكاد يكون تأوهاً ثم قال:

- سأذهب طلباً للثلج، فلدينا مانعمله.

ودبّ بخفة من خلال المر صوب العاصفة.

وشاهد أغاغوك، في الخارج، أن مصدّ الرياح قد أنجز دوره خير إنجاز. فلم يكن الكوخ مهدداً بأن يكون مكشوفاً. وكانت الرياح قد خفّت. وكل شيء ينبئ بأن العاصفة الثلجية آخذة في الزوال.

وإذ ظلت إريوك في الكوخ وحيدة، فقد أخذت تغني للطفل. تتمتع رحيمة، أغنية العهود الغابرة. هدهدة توارثتها الأجيال منذ آلاف السنين. والصغير الذي كان قد بدأ يبكي سكن هادئاً. وظلت إريوك الجالسة على حافة المقعد الجليدي تهزّه، طويلاً جسمه بإيقاع منسجم مع الأغنية. كانت تبتسم شاردة النظر، في حين كانت ذراعها تضمان بإحكام ابنها العاري، النائم في حضنها.

عاد أغاغوك بثلج ذوبه في القدر الحديدي. وغلّى الماء سريعاً، فتمكن الاثنان من البدء في العمل.

وفي المساء هتفت إريوك هتاف فرح ممزوج بألم جديد:

- الحليب!

ثم ضغطت بيديها على الكتلتين اللحميتين لعصر الاحتقان الساكن فيهما. واستلقت على الفراش في الحال، ثم أخذت الطفل بين ذراعيها ووضعت فمه على ثديها السخّي الآن.

وراح الطفل يمتص الحليب، مصدراً أصواتاً غريبة دفعت أغاغوك إلى الضحك.

- ماذا سنسميه؟ سألت إريوك. بما أنه ذكر.

- لقد اخترت اسماً له، أجاب أغاغوك. سنسميه تاياووت. إنه اسم مجيد.

فابتسمت إريوك ثم قالت:

- يعجبني هذا الاسم. فهو اسم مجيد حقاً.

- إنهم يتغنون به، قال أغاغوك.

تاياووت، صياد عظيم، عاش عند بحيرة أماكيدواك فيما مضى، في زمن البيض الأوائل...

حتى رجال البوليس كانوا يتحدثون عنه باحترام، مشيدين بمهارته وقوته وغنى أكياس فرائه كل سنة، وصيده الرائع.

تاياووت، الاسم الرمز للعائلة، تاياووت الرجاء والطموح.

- تاياووت، رددت إريوك بنعومة مرققة الأصوات متلذذة بها بوقار واحترام.

كانت إريوك تتأمل الطفل الذي كان يرضع حياته من ثديها المعطاء. وخطبته:

- اسمك تاياووت، هل تعرفه؟

## كلب الصيد - NARIAKTITAUTIK

كادوا أن يكفوا في القرية عن الحديث حول موت براون. ومزّت عدة أشهر. وأقبل الشتاء، ومع الشتاء حل برد قارس وشقاء الأيام. ثم قوضوا الخيام وعمّروا الأكواخ، وصار إيقاع الحياة ينسجم، شيئاً فشيئاً، مع هذا الفصل الجديد والمرعب.

إنه السكون، النوم فالاستيقاظ، ثم البقاء دون حراك في الكوخ، ثم الانتظار... وتناول الطعام في أوقاته، ثم النوم من جديد.

عندما كانت الريح تهدأ أحياناً، كان الرجال يخرجون إلى السهل، يقتفون الآثار، وينصبون الفخاخ، ويمرون بالفخاخ المنصوبة قبلاً. كانت الفراء جميلة، أما الغلّة فكانت زهيدة.

ففي عشرة فخاخ بل في عشرين فيخ منصوب لا تكاد توجد سوى

قنصتين أو ثلاث وهكذا تمر أسابيع كاملة، دون أن يحطم رتابتها أي شيء.  
لقد كانت، إذن، حياة عديمة الشكل نباتية.

عندما كانت الرياح تهب، والعاصفة تكسح الأرجاء، وعندما كانت درجة الحرارة تنخفض انخفاضاً يهدد الـ INUIT بالموت إذا ما ابتعدوا مئة متر عن الكوخ، حينذاك كانوا ينامون. الرجال والنساء والأطفال متكومين فوق المصاطب الجليدية شبه واعين في جو السكن البدائي الفاسد.  
ضرب من بيات الحيوانات الشتوي.

ثم نبحت الكلاب ذات يوم، بأصوات جديدة فوق السهل. فقد لاحت زلاجة من بعيد.

وأعطى أياييك، الذي عاد إلى القرية بعد جولته على الفخاخ، الإنذار. كانوا قد سمعوا في كل الأكواخ عن قدوم العربية. ولكن أياييك هو من أبلغهم عن هوية الغريب قبل وصوله.  
- إنه شرطي، قال أياييك.

من كل نفق امتد رأس. ولكنه ارتد، عند إعلان أياييك، كما يرتد حيوان إلى جحره. عندما صار الشرطي قريباً، كان أياييك قد نبه الـ INUIT جميعاً.  
- هل تعتقد بأنه قد جاء بسبب وفاة براون؟ سأل راموك.

فعبس أياييك قائلاً:

- وهل يوجد سبب آخر؟

- قد يكون مسافراً إلى الجزر البعيدة في الشمال.

- حينئذ كان سيذهب من «كوييرمين»، قال أياييك.

- أتعتقد ذلك؟

- نعم. وكان سيسافر على متن طائر كبير.

- ربما

- أما أن يسافر في عربة، تابع أيايالك، تجرها كلاب، فهذا يعني بأنه قد جاء إلى هنا وليس إلى مكان أبعد.

انحنت كتفا راموك، لكن عينيه بقيتا حادتين ماكرتين.

- إنني أعتمد على الآخرين، قال راموك بنبرة شاكية كذّابة.

وأشار بإصبعه نحو أيايالك.

- عليك خاصة، وعلى غوروك.

ابتسم أيايالك ابتسامة خبيثة. فقد كان يطيب له أن يرى راموك متوسلاً للمساعدة. كان راموك عدوه دائماً. ولكن هذا ربما لن يغير شيئاً من إعلان التضامن القبلي الممكن استمراره في الأيام المقبلة، وكان من الممكن جداً أن يوفق أيايالك بين سلوكه وبين سلوك القبيلة، غير أنه استمتع الآن أيما استمتاع برؤية راموك وهو يرتجف خنوعاً.

وصل الشرطي إلى مركز القرية، ولم يجد أحداً في استقباله. كان ذلك بالنسبة إلى هذا الرجل الخبير بعادات الاسكيمو، أول اعتراف، وعلامة أكيدة على أنهم يخفون أمراً ما.

فظل واقفاً، بعض الوقت، في مركز المستديرة المحوطة بالأكواخ، مدركاً بأنه مراقب، ولكن دون أن يرى شيئاً. كان طويل القامة، يكاد يكون أطول من ال INUIT بمرتين. كان أشقر ذا عينين زرقاوين بلون سماء الربيع.

نزع قفازه الطويل المبطن بالفرو، ثم وضعه على أكياس المؤونة المرصوفة فوق العربة. ثم التف حول العربة وقرص قريباً من الكلاب. ثم فكّ الحبال على مهل محرراً الحيوانات التي سرعان ما مضت تبحث، بعد الأكل، عن كلاب القبيلة.

ظهر أحد الرجال. كان ذلك هو أيايالك.

كان أيايالك رجلاً شجاعاً. يتمتع ببرودة أعصاب جسورة. لم تكن زيارة



الشرطي سوى تسلية بالنسبة إليه. كان يُحكى في الأكواخ الكثير من الملاحم عن هذا النوع من الناس. كان دائماً الأكثر جرأة، هو من لم يكن يخشى قط أن يتقدم على من كان يعدّ بطلاً. لقد أحس أيايالك في داخله بالرغبة في أداء دور الأبطال. وبدا له أن الدور سيكون موافقاً تماماً لطموحه.

وماذا لو حالفه الحظ، في استبعاد راموك وتسلّم زعامة القبيلة؟ يمكن للنصر أن يكون سهلاً لمن يعرف كيف يفوز به. فلم الانتظار إذن؟ منذ اللحظة الأولى قال أيايالك لنفسه، عليك أن تكون الأقوى.

- هه، يارجل! نادى عليه الشرطي.

كان أيايالك يعرف بأنه ثمة في فسحة كل نفق INUK يترصده منبطحاً على بطنه. فسار بخطى وئيدة إلى مركز الساحة. لبس الشرطي قفازه من جديد.

- من أنت؟

- أنا أيايالك.

- أين زعيمكم؟

- لأعرف.

- هاه؟...

- ربما في كوخه.

- وأين هو كوخه؟

مدّ أيايالك ذراعه مشيراً إلى الكوخ. فابتسم الشرطي قائلاً:

- لم يأت هو ذاته؟ أهو من أرسلك؟

- كلا.

كان أيايالك يعرف أن الصوت ينتشر في مثل هذا اليوم البارد والجاف. وكان الجميع يصغي إلى الحوار الجاري. وبدت الفكرة مسلية له. وصارت اللعبة

ممتعة من جهتين. الاحتيال على الشرطي من جهة، وعلى الناس المترصدين من جهة أخرى...

- قل للآخرين بأني أريد رؤيتهم جميعاً. فلقد ارتكبت جريمة هنا.

فابتسم أيايالك، مثبتاً نظره على الشرطي، ابتسامة خفيفة، أو بالأحرى مشروع ابتسامة ظهرت على شفثيه، لم يتمكن المترصدون من رؤيتها، ولكنها كانت جلية بالنسبة إلى ضابط الشرطة أندرسون.

- تُرتكب، قال أيايالك، الجرائم قليلاً لدى القبائل في كل مكان.

- إنني أهتم بالجريمة التي ارتكبت هنا.

انحنى أيايالك انحناءة خفيفة وقال بكبرياء:

- سأبلغ الآخرين بأنك ترغب في رؤيتهم. الآخرين جميعاً. وراموك،

الزعيم.

- ذلك الذي يعيش مع واحدة من قبيلة «المونتانيه»؟

- كيف عرفت هذا؟

- نحن نعرف كل شيء.

اتخذ أيايالك مظهراً ساخراً.

- وعليك، مع ذلك، أن تستجوب الناس؟ سأقول لراموك بأنك تريد

رؤيته.

كان التشديد لايكاد يلحظ. وعلى الرغم من ذلك فقد أدركه الشرطي.

وانحنى بدوره انحناءة خفيفة، ثم قال وفي عينيه بريق:

- ستخبر راموك بالأمر.

استأنف أيايالك الحديث:

- ولأنه زعيم، فسيلبغ الآخرين سريعاً.

كانت المحادثة تتم بلغة الاسكيمو، التي كان ضابط الشرطة يتحدث بها

بطلاقة.

- فليعمروا لي كوخاً، قال الضابط مؤكداً وليضعوا فيه مؤونتي. سأملك  
هنا بعض الوقت.

- كم من الوقت؟

- الوقت الضروري.

بسط أياليك يديه مبتسماً.

بالنسبة إلى الناس الذين يعرفون كل شيء، فكر أياليك، فإنهم يتصرفون  
بغرابة، فمعرفة كل شيء لاتعني الإقامة في كوخ والعزم على المكوث في القرية  
لوقت اللازم كما قال ذلك الشرطي.

نزوة رجل أبيض، عادات مميزة لم يستطع ال INUIT أن يعتادوا عليها،  
ولكن ماذا بالإمكان فعله سوى هز الكتفين والصبر؟

إن كل ماحدث لم يكن يخلو من إحداث خيبة أمل كبيرة لدى أياليك.  
إذ كان يتوقع بأنه طالما قد جاء شرطي إليهم، فلا بد أن يكون مزوداً، بالتالي،  
ببعض الأدلة، وبأن المساعدة التي سوف تقدم إليه - مناورة السلطة المقبلة هذه  
التي كان يطمح إليها أياليك - تتلخص في بعض الإيحاءات المناسبة.

وإذا كان الشرطي ينوي الإقامة لمدة غير محددة، فهذا يعني بأن لديه  
شكوكاً غامضة. إن الوشاية والحال هذه، قد أمست أكثر صعوبة. شيء ما في  
داخل أياليك، بقايا ولاء، أو الخوف ربما جعلاه يتردد في أن يسترسل أكثر.

كان مقتنعاً بجرم أغاغوك. وعلى الرغم من أن هذا الأخير لم يعد عضواً  
في القبيلة - إذ أنه قد هجر قومه بهذا الشكل أو ذاك - فهل سيكون الإبلاغ عنه  
مخالفاً إذن لقوانين القبيلة؟ فضلاً عن أنه بإمكان ضابط الشرطة أن يتهم، في  
غياب أغاغوك، شخصاً آخر من القبيلة بموت المهرب براون.

بقي راموك، ورغبة أياليك في أن يحل محله في زعامة القبيلة، إن الإبلاغ  
عن الإبن سيلحق الإهانة بالأب، فليكن. لكن كيف ستتقبل القبيلة هذه

الإهانة؟ هل سيحقق أيايالك بعض الأشياء، أم أنه سيعرض نفسه ببساطة للانتقام الجماعي، بمجرد إنصراف الشرطي، وذلك لقيامه بالوشاية.

كان الطموح والخوف يتصارعان في داخل الـ INUK. وفرض الصبر نفسه. لقد ألزمته حكمة غريزية على الانتظار. وربما تكون الفرصة أفضل غداً أو في يوم آخر...

- هاهو هناك كوخ راموك، قال أيايالك للضابط فجأة. إن كانت لديك أسئلة فاذهب إليه. إنه الزعيم، ولست أنا.

ثم استدار على عقبيه، عائداً إلى كوخه الخاص، وفي عينيه تحد مباغت، وعلى شفثيه ابتسامة غريبة.

## العين - IYI

لم يكف أغاغوك عن تأمل الطفل. كان يمضي ساعات مقرصاً، ظهره إلى النار، يراقب الصغير. ولاشيء سوى ذلك. التأمل فقط. لم يكن يداعبه، ونادراً ما كان يمسّه. وعندما يصرخ الطفل يلمسه أغاغوك، ولكن لمساً ناعماً برؤوس أنامله، وكأنه كان يخشى من أن يهصر ذلك الجسم الضئيل.

وعندما تقدم إريوك ثديها للطفل يتابع أغاغوك تأمل المعجزة. الصغير الذي كان ابنه رجل المستقبل هذا الذي على شاكلته... بذرة نابئة، سرٌّ ومعجزة.

«سأعلمه كيف يبني الكوخ، قال أغاغوك لنفسه، وكيف ينحت مدية للثلج من عظام الفقمة، أو من ضلع الرنة...».

كان الطفل يرضع بنهم ووحشية، ويسيل الحليب فوق خديه. وكان أغاغوك يحلم، منتصب القامة، مترفع النظرة، «إبني!».

الكلمات تملأ فمه، وتنساب منه انسياباً.

كانت إريوك مستندة إلى الجدار، مانحة ثديها للصغير، تاركة إياه يعب الحليب عباً. تحلم هي الأخرى، ولكن خلافاً لما يحلم به أغاغوك، تحلم بالوداعة والحنان. وغسلت جسم تاياووت الأسمر، وتركته عارياً في حضنها. كانت تحب أن تحس بقم الصغير يرضع الحليب، ويتغذى به لينمو سليم البنية قوياً. - اسمه تاياووت، غالباً ما كان أغاغوك يردد ذلك، إنه اسم جميل، سيما مجيد.

أشارت إريوك، ذات يوم من جديد، إلى الثغرة في الجدار. وكان أغاغوك الذي وُفق في قتل ذئبين، قد قطع من لحمهما أفضل الأجزاء ولكنه لم يكن لحمًا طيباً. كان يابساً وقاسياً. - غداً سأذهب للصيد، قال أغاغوك.

ولكنه لم يصمم على ذلك.

على أن الشمس، في الخارج، أشرقت من جديد فوق الثلج، وكان الربيع يقترب. وعماً قريب ستستعيد التوندرا شكلها الأول. وماعاد الماء يسيل فوق الجدران داخل الكوخ، وعندما وضع أغاغوك يده، ذات يوم، في فتحة التهوية بقمة الكوخ، أحس بأن كتل الجليد قد ذابت حتى نصفها.

وصار الجو شديد الحرارة في المسكن. وسيعيش الثلاثة من الآن فصاعداً، شبه عراة. الطفل، لأن العادات تفرض ذلك بغض النظر عن درجة الحرارة في الكوخ، وإريوك لأنها لم تستطع العيش في مثل تلك «الساونا». أما أغاغوك فكان يرتدي على الدوام تقريباً السروال الجلدي، ويظل عاري الجذع.

- نحن بحاجة إلى اللحم، قالت إريوك بعد مضي عدة أيام. انظر...

لم تبق سوى قطعتين من لحم الذئب المدخن.

كانت المرأة ذات الثديين الثقيلتين، مستندة بظهرها العاري إلى الجليد

وتنضج عرقاً على الرغم من ذلك. كان العرق يسيل جداول بطيئة الجريان على  
البشرة الناعمة الداكنة.

- أنا ذاهب، قال أغاغوك.

ثم تناول بندقيته وخرج.

كانت أيام قد مضت لم يبارح فيها أغاغوك الكوخ، حتى الثلج من أجل  
إذابته ماء، كانت إريوك هي من تذهب لجليه.

دهش أغاغوك أيما دهشة من رؤية الربيع وقد صار على الأبواب، فأصبح  
جليد النهر أسود مغموراً بالماء في بعض الأماكن، سيجرفه السيل خلال بضعة  
أيام، أو بضع ساعات لتصبح المياه طليقة.

كانت الشمس حارة، تحرق بشرة الوجنتين وتذيب الثلج. وأحس أغاغوك  
وهو يمشي بقدمه تغوص في الأرض. وفي كل مرة كان يرى وهو ينزع قدمه،  
الماء ينبجس من قاع الأثر العميق، وكان قاع الأثر أسود، والثلج المتشرب بالماء  
كان أسود أيضاً، بالأحرى كان رمادياً، بلون المعدن الذائب. ولم يبق الثلج  
الأبيض إلا فوق سطح الأرض.

وجاءت الرياح محملة بروائح جديدة.

كان شادن<sup>(1)</sup> يشب في الجهة الثانية من النهر.

خرجت الرصاصة التي أطلقها أغاغوك، قاضية، وقتلت الحيوان.

فشهد الكوخ في المساء ذاته وليمة فاخرة. إذ طهت إريوك اللحم.  
وجبلت الكبد مع الدقيق ثم قلته بدهنه. وقطعت شرائح سميكة من لحم  
الكتف وشوتها على الشعلة.

تناول أغاغوك إحدى عيني الحيوان وقربها من الصغير، ثم وضعها بين  
يديه. فأطبق الطفل يديه حالاً على العين. ورفعها إلى فمه كي يمصها.

(1) ولد الطليقة.

عندما شعبوا جميعاً، أحلدوا للنوم.

حلم أغاغوك أن في قرينته بعض «الكرابلونيه»، وذوي الحواجب الكبيرة، الاسم الذي أطلقه قومه على البيض - ينقبون الأرض بحثاً عن بقايا رفات المهرب براون.

واستيقظ مبلاً بالعرق، شديد القلق. ثم تقلب على الجلود، وفرك وجهه يديه. وإذا أفاق تماماً استغرب هذا الحلم، ولم يستطع أن يغفو إلا بعد مدة طويلة. خيل له سماع صوت يناديه: «ANOK».

ولكن لاشيء سوى الريح. كانت إريوك تتهد في حلمها. لم يعد أغاغوك يسمع شيئاً. كان الليل قد أطبق عليه وعلى أسرته.

في الخارج، كان يتردد صوت طقطقات عميقة. ومن النهر كان يتناهى صوت الفرقعة الصماء للمياه الفوّارة. أما من الجنوب فهبت رياح دافئة تنشر رائحة الطحلب المتعفن، وأرضية الغابات المتحللة في مناطق البيض. لقد مضى شهر أيار، وأقبل شهر حزيران، ومعه حلّ الربيع.



## الزعيم - ANGAYOK' AK

كانت زوجة راموك «المونتانيه» تتمتع دائماً بحواس متيقظة للغاية. النظر، والسمع، والشم... فشعرت بقدوم الضابط.

- ياراموك، قالتها بلغة الاسكيمو! Krablunak manitok

هل كان هنا رجل أبيض؟

كان رجل الدرك الملكي قد زحف عبر نفق المدخل مقتحماً الكوخ.

- Kranor itpin، قال، كيف حالك؟

- أنا راموك، زعيم القبيلة.

- أنا أندرسون، من الدرك.

فأحنى راموك رأسه مشيراً إلى المقعد.

- namatok .

جلس أندرسون فوق المقعد، واضعاً ساقاً على ساق، وأخرج علبة سجائره ثم مدها إلى راموك.

- تريد أن تدخن؟

- كلا.

ظل راموك متحفظاً. كانت زوجته «المونتانيه» قد راقبت مناورة أياليك. وسمعت صدى أصوات. ما الذي باح به يا ترى الطموح أياليك؟

- سأمضي بعض الوقت بينكم، قال الضابط. لقد طلبت أن يبنوا لي كوخاً.

عبس راموك ثم قال:

- لاداعي لذلك. فالثلج قد بدأ في الذوبان. ابق هنا معي. سينصبون لك خيمة، ما أن تسودّ التوندر.

هز أندرسون رأسه. قبل سنتين كان سيرفض ذلك. بسبب رائحة الكوخ وهوائه الفاسد. ودخان المطبخ فيه.

ولكن التمرس جاء مع العادة. إن النوم تحت الخيمة في الربيع المبكر ينطوي على المجازفة. فمع هبوب العواصف غير المتوقع تصير الرياح أخطر مائة مرة. إنها تأتي من الجنوب بشدة غير عادية. وإن كانت الرياح هادئة ودافئة، فالسهل الثلجي يتقوض تحت النائم. ومن ذا الذي يعرف كثافة الثلج، ومن يستطيع التكهن بالهاوية في الأسفل؟ الكوخ، يحميه من ذلك كله.

- سأمكث هنا، قال أندرسون، وإذا اقتضى الأمر فلينبصوا لي خيمة عندما

تسود التوندر.

ثم أشعل سيجارته.

تظاهر راموك بعدم مراقبته ولكن عينيه الصمغيتين، كانتا تتابعان حرركات الشرطي دائماً.

- هل تعرف لماذا أتيت إلى هنا؟ سأل أندرسون فجأة.

- Nauna.

- ألا تعرف بالتأكيد؟

- Naonarlok.

- أنت تعرف لماذا، أنت والآخرون.

ابتسم راموك ابتسامة عريضة، كانت أسنانه الأمامية صفراء منحورة.

- أنا؟

- أجل.

- Nauna.

كان أندرسون قد تعلم الصبر. فالصبر كان يعدّ فضيلة جوهرية في موطن الثلج هذا، وفي ظل هذه الحياة القاسية. ثم شرع يسرد القصة على مهل.

- جاء واحد من مهربي ماء - الحياة إلى هنا. لم يكن إنساناً نزيهاً ولكننا لا نملك الحق في قتل إنسان، وإن كان هذا الإنسان غير نزيه.

رفع راموك حاجبيه وخفض رأسه وفغر فاه. صورة تجسد الدهول ذاته.

تابع أندرسون الحديث وقد نفذ صبره:

- وأنت تعرف ذلك أفضل مني ياراموك.

تأوه الاسكيمو، متخذاً مظهره اللامبالي.

- لقد جاء ذلك الرجل مع شخص همجي، واحد من «المونتانيه».

بصق راموك على الأرض. وشتت زوجته «المونتانيه» في الركن الآخر، فقاوم أندرسون ابتسامته.

كان راموك ماكراً. لقد استطاع أن يتزوج امرأة من «المونتانيه» وأن يظل في الوقت ذاته زعيماً للقبيلة. وهذا ما يعبر حسب اعتقاده، عن مهارة فائقة. كانت المباراة إذن متكافئة القوى.

- لقد جاء إلى هنا، وأحرقه أحدهم في خيمته. وهرب «المونتانيه»، حتى وصل منهكاً إلى مركزنا في الخليج الكبير.

- Ayornarman، دمدم راموك.

- بلى، بوسعك أن تفعل شيئاً ما! أريد أن يسلموني المذنب.

- Nauna.

- راموك!

- Nauna، قلت لك، إنني لأعرف شيئاً. ولا أستطيع قول شيء.

نهض أندرسون.

- حسناً. سأظل هنا، وعندما تسود التوندرا سأنبش. عندي الأدوات. أوه!

إنني أعرف أساليبكم. لقد طرتم الدليل، ولكنني سوف أنقب الأرض. سأنقب

في كل مكان، تحت الخيام، ياراموك، في كل مكان... وسأعثر عليه!

فابتسم الزعيم العجوز ابتسامة غامضة مردداً:

- Ayornarman.

لقد نفذ صبر الضابط أندرسون، ولكنه كان يعرف بأن الإلحاح لن يعود

بالفائدة، فإذا كان راموك فطناً، فالاسكيمو الآخرون لا يقلون عنه فطنة.

وسيكونون أوفياء، خاصة للتضامن القبلي. وبقي التريث هو الحل الوحيد، مع

أنه الحل الأكثر إبلاماً، البقاء هنا، الانتظار، والاستماع والترقب... لعل أحدهم

يبع نفسه، من يدري؟ زلة لسان، شهادة....

بعد انتهاء ذوبان الثلوج، سينقب أندرسون الجوار. والأماكن المحتملة

لإجراء هذه التنقيبات لم تكن مع ذلك كثيرة، فلا بد أن يعثر على أجزاء من

رفات الرجل الأبيض التي لن تكون سوى كومة عظام مبعثرة أو لحم محترق.

وسينتظر.

لا بد أن يسود قانون البيض. وعلى عاتقه هو يقع أمر مراعاة هذا القانون.

«حتى هنا»، قال لنفسه.

لاسيما هنا. إن كانوا لا يرغبون في أن يصير القطب وكراً واسعاً للخارجين عن القانون.

ثم قرر أندرسون الذهاب فوراً بحثاً عن أياليك. فمن بين جميع الاسكيمو الخاضعين لراموك، كان أياليك هو الوحيد الذي كان الشرطي يأمل في استدراجه إلى الكلام.

## الشمس - SIRK'INIK

- SIKRENEK NUIOK!، صرخ أغاغوك.

لقد أشرقت الشمس فعلاً، ولكنها كانت تنبئ بقدوم الشمس الكبيرة القادمة، شمس الطحالب المخضوضرة، والنباتات الزاهرة، والحيوانات التي يدخن لحمها ويحفظ للمؤونة.

شمس الجداول الهادئة والدافئة حيث يسهل اصطياد الأسماك الغافية.

شمس الحياة الآمنة، والقيلولة أمام الخيمة.

الشمس المتأنية، والمغذية، والمنشطة.

الشمس الشرك، التي تسطع فوق قرون الرثة، التي أبلتها الأيام وصقلتها، الشمس التي تبوح بالهدف للصيد المترصد.

شمس الحباري، والبط والحذف<sup>(1)</sup>. ودجاج الماء. زمن العيش الرغيد.  
- Sikrenck nuio! -

فرغ أغاغوك من هدم ماتبقى من الكوخ. كان يرمي كتل الجليد المتصلبة، على الطحلب بعيداً لتذوب نهائياً في أثناء الصيف. بعدئذ شرع أغاغوك ضاحكاً كطفل، موارياً فرحه، في بناء الخيمة تساعده إريوك في ذلك. كان عليه في اليوم التالي أن ينصرف إلى الصيد بالأناشيط، وسوف يكتشف بداية أماكن حياة الحيوانات الجديدة، وسوف يزحف ليتفحص الآثار الدقيقة، ويتلصص إلى أن يحفظ بالتالي، عن ظهر قلب، موعد قدوم الحيوانات العطشى وانصرافها.

قرفص أغاغوك، وأزاح - مستفيداً من كل ماتعلمه - الطحلب بأصابعه الباردة في العمل، ونصب الفخ ثم شدّ النابض، بعد ذلك غطى الفخ ثم قام وبال عليه من فوق كي لا يتمكن أي حيوان أن يكشفه بحاسة شمه. إذ ليس من شأن رائحة البول هذه إقلاق الحيوان. سيأتي السمور المسكي، أو الفأر المسكي، أو ابن عرس من أجل إرخاء النابض، وسيكون ذلك غنيمة أخرى...

- قال أغاغوك:

سأقتني مئة جلد أحملها إلى المركز. مئة جلد لامثيل لها! ذات وبر فاخر... كل مؤن الشتاء.

لم يحسب الفقمة - فقد كانت في Tareor، في الملح. على البحر. سيذهب، مثل أبناء عمومته من قبائل الشمال، إلى الكتل الجليدية الأولى. سيقتل الفقمت والدبية. سيصير أكبر صياد.

سيصطحب تاياروت آخذاً بيده، فوق كامل التوندر، وحتى الشواطئ الكبيرة. ها هنا Tiriganiak، الثعلب! انظر إليه كيف يجري ياتاياروت!  
وها هو الدب، وها هي الفقمة. ينفعنا جلد الفقمة يا صغيري. ولحمها

(1) - جنس طيور مائة من فصيلة البط. (المنهل)

أيضاً. إنه يغذينا. ومن أسنان الفقمة وعظامها، وأنيابها تصنع الإبر وأدوات أخرى... وبالدهن تُلحم النار، ويُضاء الكوخ... الفقمة - الأب، الحامي!  
وكاد أن يخترَ على الأرض متعبداً. ويقول إنه كان لابد من اجتياب المنطقة كلها للذهاب إلى صيد هذه الفقمة.

سيجد أغاغوك هنا، الرنة، وأحياناً أيلأ كندياً تائهاً، والذئب، والثعالب أما الفقمة العزيزة فإنها تأوى إلى مكان أبعد، مكان شديد البعد.

- هذا ليس كافياً، قال أغاغوك فجأة وهو ينضح عرقاً ويلهث من التعب. اسمعي يارايوك هذا ليس كافياً. لابد من المزيد.

سألت إريوك وهي جاهلة بالفكرة التي كانت تقلق زوجها:

- المزيد من ماذا؟

- الصيد هنا، هو صيد البيض. أما «INUIT»، الرجال من أمثالي فعليهم أن يصطادوا بعيداً شمالاً. يجب أن نذهب للسكن مع الاسكيمو الأواخر، سكان ظهر الأرض الـ Kidliner meun..

- لماذا؟ فالثلج أبدي في تلك الأرجاء. إنهم يسكنون دائماً في الأكواخ الجليدية.

- أعرف.

- لماذا، إذن؟

- Akragolok aodlanialertugutug.

- الذهاب غداً؟ هزت إريوك رأسها مبتسمة. تركته يقول ذلك. غداً...

الغد عند بني قومها لم يقلقها أكثر. فما الذي يعني الغد، بالضبط؟ العام المقبل؟ بعد عشرة أعوام؟

غداً...

- توجد الشمس هنا.

كشّر أغاغوك. كان وجهه العريض يلمع جراء التعرق. وكانت ساعدها البالغتي الطول حتى الركبتين، ترتجفان تعباً. لقد نُصبت الخيمة، ولكن بدا له



بأنه لن ينهي أبداً تغطيتها بجلود الرثة العريضة.

- توجد الشمس هنا، رددت إريوك، وسيصير الطحلب، عما قريب، أخضر، بل شبه أسود. وستنبت الأزهار...

ثم أشارت بإصبعها إلى أثر على بقايا الثلج.

- هل ترى؟ سمور مسكي.

كان أغاغوك مقطب الجبين، كان يحلم. وكان له الحق في ذلك. فلماذا ينبغي أن تفسد إريوك حلمه؟

التفتت إريوك صوب تايأوت الممدد على الطحلب.

حشرة «الحريش»<sup>(1)</sup>، كائن زاحف داكن، ساكن في شقوق الأرض المعتمة، كانت تزحف فوق بطنه. وكان تايأوت يحاول، بيده الصغيرة، التعرف على هذا الإحساس الجديد.

- انظر إليه، قالت إريوك، لاحظ! إنه يريد، منذ الآن، أن يقبض على حيوان.

فبصق أغاغوك على الأرض قائلاً:

- سيصير تايأوت صياداً عظيماً.

كان قد كف عن العمل. كان يتأمل الطفل. إريوك هي من أصحته من الحلم إذ قالت:

- الجلد الأخير، تعال ساعدني.

حَمَلاً معاً، الفروة الهائلة ذات الوبر الحشن. ثم بسطها، الجلد من الخارج والوبر من الداخل، على دعائم الخيمة المدببة مثل Tee-pee<sup>(2)</sup> عند قبيلة أيناكي.

لم يبق سوى حماية الكوة من الريح، ثم وُضِعَ أحجار الجدول فوق طرف الجلود السفلي لتثبيتها جيداً وكذلك لمنع الحشرات من الدخول.

(1) أم أربع وأربعين.

(2) إنها Ti-pi وهي خيمة الهنود الحمر المخروطية الشكل.

## السفر - APKUTIK

- في قمة الأرض، قال أغاغوك، في موطن الجليد، يسود الربيع.  
أما في التوندر، على خط العرض هذا، حيث كانوا يعيشون، فقد حل  
الصيف، وفكر أغاغوك أنه في الشمال لا ترسل الشمس سوى الدفء. إنه زمن  
المضي إلى هناك و...

- سأذهب لصيد الفقمة، قال أغاغوك بعد ذلك.  
وانقبض صدر إريوك. فلقد سبق أن حكى الناس المسافرون، عن  
الاسكيمو الذين ماتوا غرقاً في أثناء صيد الفقمة. وحكوا أيضاً عن أولئك الذين  
تجمدوا من البرد في انتظار غنيمة، على حافة الثغرات.

- هل سترجع؟

أدهش السؤال أغاغوك.

- وهل قلت بأنني لن أرجع؟  
 تنهدت إريوك. كانت تسأل دائماً السؤال ذاته.
- ثمة من ذهب إلى تلك الأصقاع، ولم يعد منها أبداً. في القرية...  
 - في القرية، قاطعها أغاغوك، يذهب عشرون رجلاً كل عام. كم منهم  
 لم يرجعوا؟  
 وعدّ على أصابعه.
- الجلد، والدهن، واللحم، وعاج الأنياب، وعظام الظهر، والأسنان...  
 كلها أشياء ثمينة. سيكفينا اصطياد ثلاث أو أربع فقعات.
- أتذهب وحدك؟  
 فهز كتفيه قائلاً:  
 - لقد سبق أن ذهبت إلى هناك.
- لديك زوجة الآن. بوسعي مرافقتك.  
 ظل متردداً. فاستغلت إريوك ذلك لتقول ملححة:  
 - سأحمل الأكياس. ثم كيف ستحمل الفقعات من دوني، أثناء العودة؟  
 - سأجهزها أولاً. سألف اللحم والشحم والعاج بالجلود... ثم سأهمل  
 النصف، والباقي لن يكون كثيراً.
- إن نكن معاً، ستمكن من قتل خمس فقعات بدلاً من ثلاث.  
 تم الاقتراح من أجل البت فيه. لم يفكر أغاغوك بذلك من قبل. ولكن بما  
 أن إريوك تطرقت إلى هذا الموضوع...  
 - والصغير؟  
 - سأحمله، إنه ليس ثقيلاً، قالت إريوك.  
 وافق أغاغوك، وتظاهر بالتبرّم.

ابتمست إريوك. فقد كان يطيب لها أن تسافر في هذه الرحلة التي ستقودها إلى المياه الكبيرة، إلى تلك المناطق التي سمعت بها لكنها لم ترها قط. جمعت إريوك، مسرورة، كل مايلزم للسفر. في البداية، أكبر جلد من جلود الرثة الذي سيتدثرون به أثناء النوم، وجلداً آخر يقارب الأول في الحجم، وستفعمهم الجلود كذلك غطاءً للمعاطف تجعلها أكثر دفئاً، وأكياساً من أجل اللحم المجفف والسكاكين والمكاشط والسيور الجلدية لربط الصُرر عند العودة. وهلمّ جرا.

جهاز أغاغوك من جانبه صرته الشخصية التي ستكون أقل ثقلاً ليتمكن من البقاء مترصداً دائماً. فمن سيحميهم، إن لم يكن هو ذاته شديد الخفة، جاهز السلاح؟

تزدود بالطلقات، ونظف بندقيته، وشحذ مديتي الهجوم، المعدنية والعاجية. وضع في صرته كذلك بعض اللحم المجفف، كي لا يحتاجا شيئاً، وقربات جلدية ملأى بالماء الصالح للشرب. ولئن حالفه الحظ في أثناء المسيرة، فسيقتل الحيوانات وسياًكلونها نيئة: الأرانب البرية، والغرير وحتى الطيور، ومن يدري؟ ربما دباً، دب الجليد، أبيض تماماً كالديبة التي توجد على شواطئ البحر. عند غروب شمس هذا النهار كانت الصرتان جاهزتين.

ولحمل تاياووت، كانت إريوك قد فصلت وحشت سَيراً من الجلد عريضاً في الوسط ويقل عرضه تدريجياً في الطرفين، إلى أن يبلغ سمك حزام. ستضع الطفل وتجلسه في الجزء الأوسع من هذا المشد، الذي ستحمله إريوك على ظهرها. وستربط طرفي السير المارين من تحت إبطيها ربطاً متيناً. وقریباً من الطفل تماماً ستترك كيسه الخاص به، معلقاً في الأسفل قليلاً على الورك، وعلى هذا النحو ستتمكن إريوك من السير دون شديد عناء خلال يوم كامل.

- والكلاب؟ سألت، ماذا سنفعل بها؟

هزّ أغاغوك كتفيه متفحصاً الحيوانات السمينية، بفضل ولائم الصيف التي أقيمت كثيراً لوفرة الحيوانات في التوندرا.

- ستجد ما تتغذى به، أجاب أغاغوك. ستركها خلفنا، لانتقلقي، عندما نعود سنجدها لاتزال هنا.

- ستلتهم جلود الخيمة، قالت إريوك.

- سنطويها ونعيد ربطها عالياً فوق الدعائم. ولن يكون بوسع الكلاب بلوغها. لا الكلاب ولا الذئاب.

وفعلا كذلك. ولم يبق أمامهما سوى أن يضعوا المصباح وبقايا اللحم المجفف والمواد الأخرى التي لن يأخذها، في الصندوق المعدني - أثنى ممتلكاتهما.

لاخوف من الدخلاء. وإذا صدف أن بلغ أحدهم الخيمة ليأخذ منها بعض الأشياء، فهذا يعني أن الحاجة إلى تلك الأشياء كانت ماسة. وذلك ما يحدث غالباً ولكن أحداً لايعدها سرقة. ولايستاء أي INUK من ذلك.

وانطلقا في الفجر، تياووت محمولاً، موارباً، على ظهر والدته.

ترصد أغاغوك النجوم، وطحلب التوندرا، وعصفات الريح، ثم قال:

- من هنا يجب أن نذهب.

فنظرت إليه إريوك مستغربة.

- ألن تمر بالقرية؟

- كلا.

- ستتجنب المرور بها؟

- أجل، ومن بعيد.

- لماذا؟

هز أغاغوك رأسه.

- لماذا؟ ألحت إريوك.

- لأنني أريد هكذا.

سارا النهار كاملاً. ليس بخطى البيض غير المتسقة، إنما بخطى الاسكيمو الأقصر مسافة والمنتظمة انتظاماً فائقاً، الخطى التي تسمح لهم باجتياز مسافات طويلة جداً دون التوقف للاستراحة إلا ماندر.

سارا، كالعادة إذن، دون أن يضعها باطن القدم كله على الأرض، إنما فقط الأخمص والأصابع الكبيرة، مستخدمين نوابض العضلات في دفع الجسم إلى الأمام. مسير مرهق، مؤلم بالنسبة إلى رجل أبيض لا يتحلى بالصبر للاعتياد عليه، ولكنه مسير سهّل على الاسكيمو السفر الطويل إلى ماوراء الأفق. وهكذا ساروا أغاغوك، وإريوك والصغير الذي كان يضحك لإحساسه بالتأرجح على ظهر أمه.

- هل تسمعه؟ قالت إريوك لزوجها. إنه سعيد بالسفر.

وكان أغاغوك يتسم، دون أن يقول شيئاً، وكان قد بدأ يحلم فجأة حلماً بديعاً عظيماً يرى فيه ابنه تاياووت بطل القبائل كلها، الرجل الذي سيتغنون باسمه في أماسي الأكواخ.

صياد اسطوري...

قوي كعواصف الثلج.

أعظم من الأبطال التقليديين جميعاً.

تاياووت، ابن أغاغوك!

كانت تلك لازمة يصعب إسكاتها: ابن أغاغوك، نبت من بذرتة، ثمرة نتاجه، من لحمه ودمه، منحدر من أب يتغنون به أيضاً...

ابن أغاغوك!

عند غروب الشمس قطعاً مرحلة. وربما بسبب حماس اليوم الأول لم يصطد أغاغوك شيئاً.

كان يسير وبندقيته ملقمة. شاهدا ذات لحظة، رنة من بعيد وذلك كان يعني كمية هائلة من اللحم لمرحلة أولى. وصادفا كذلك أرنياً برياً، غير أن

أغاغوك السابح في حلمه، لم يكن حاضر البديهة كفاية. فما أن سدّد البندقية حتى اختفى الحيوان خلف ربوة في التوندرا. توقفا لحظة، مترصدين، إلا أن الأرنب لم يظهر ثانية. كان ينبغي تحويل الاتجاه تحويلاً حاداً من أجل اكتشاف جحره. بالإضافة إلى ذلك ولما كان الأرنب في فرائه الصيفي الشديد الشبه بلون التوندرا، فقد صعب اقتفاء أثره.

وقررا استئناف المسير.

عندما أشرقت الشمس، أحست إريوك فجأة بتاياووت وقد ازداد ثقلاً، وأقل تكوراً على ظهرها.

- لقد نام، قال أغاغوك.

وردت إريوك:

- دعه، إن السفر يشق عليه أكثر مما يشق علينا.

عندما حلّ المساء، عادا إلى اللحم المدخن. تناولا الطعام ثم ناما مرهقين لكن سعيدين.

لم يكد يفيق الطفل حتى طلب الطعام. فرضع ثدي أمه الأكثر شحاً هذا المساء بسبب التعب، ثم غفى وهو يمص قطعة لحم.

كان نوم أغاغوك ثقيلاً إلى درجة أن جاء ذئبان بحرية، يتشممان الصرر، ثم فزا بقطعة من اللحم المقدد. رد فعل آلي فحسب كان كافياً لدفع الحيوانات إلى الهرب. كانت الريح تحمل رائحة الرئة، فاندفع الذئبان يلاحقان الحيوان لافتراسه. ولم يرجعا إلى مخيم الاستراحة.

في الفجر، مزق الجو صوت حباري حاد، فوثب أغاغوك على قدميه.

واعتقد أنه قد نام نوماً خفيفاً فحسب، ولكنه لم ير شيئاً ولم يسمع شيئاً خلال الليل كله. شم رائحة الذئاب، ورأى الصرر مشقوفة. وعدّ قطع اللحم المقدد. دون أن يقول شيئاً لإريوك، وعدّ نفسه بأن يكون أكثر تيقظاً من الآن فصاعداً.

خطيرة هي الحياة في التوندر. وينبغي عليه أن يكون أول من يعرف ذلك. ماذا لو اختطف ذئب تاياووت؟ ارتعد أغاغوك.

بعد أن أرضعت إريوك الصغير، أوقدت ناراً ولتبت قطع اللحم المجفف فوق اللهب، ثم تناولاها.

- اليوم، قال أغاغوك، سأصطاد لحماً غضاً.

- أرنياً برياً، قالت إريوك.. فلقد مضى زمن طويل لم أكل فيه لحم الأرنب. بعد مدة، سيصعب ذلك... إذ ستصير الأرانب نادرة.

لم يجب أغاغوك. كان قد بدأ يفكر في رحلة النهار. فقد صاروا الآن بمحاذاة القرية يميناً. وكان عليهم أن يعرجوا على شكل نصف دائرة كبيرة، ثم يعودوا إلى الطريق التي تقودهم مباشرة إلى نجم الأفق الساطع هنا دائماً، حتى في أثناء شروق الشمس الشاحبة.

في ثلاثة أيام سيبلغان المناطق الواقعة في ما وراء القرية.

سألت إريوك:

- كم من الوقت سنسير؟

لم يقل أغاغوك لها إنه أمامهم سفر عدة أيام، بل أجاب:

- لأعرف. قليلاً من الوقت.

- كم يوماً.

- لأعرف.

فسلمته زمام أمرها. كان أغاغوك يعرف النجوم، وكان قد حفظ، عن ظهر قلب، شكل التوندر. كان يعرف مكان كل شيء، وفي الشتاء كان يميز الكشبان الثلجية، بعد يومين من الرياح الثلجية، وإن كانت جديدة، وإن لم يكن قد عاينها سوى مرة واحدة.

- فلنتابع السير!



أعدّوا الصرر ثانية. واحتل تاياووت مكانه فرحاً.

عندما تصاعد الدفء في هذا اليوم، قتل أغاغوك قنيصته الأولى. أرنباً برياً - كما اشتتهه إريوك - أدركته الرصاصة على مسافة ذراع من الأرض. عندما كان ينوي الانسحاب.

لم يفعل أغاغوك شيئاً سوى أن صاح «ها -!». تردد الأرنب الذي أدهشه الصوت، في لحظة الهروب، فأصابته الرصاصة رأسه. علّق أغاغوك الأرنب المقتول في عروة معطفه، تاركاً دم الحيوان يرسم أثره فوق الطحلب من خلفهم. مطأطئين رأسيهما، اندفعا مسرعين صوب الافق.

## البحر - TARIO

السماء بيضاء الآن وتهب أحياناً رياح باردة.

- الجليد، قال أغاغوك متشمماً الهواء. ألا تشمينه؟

وافقت إريوك برصانة، فهي لم تر قط الماء الكبير، ولا جليد الربيع. كانت قد سمعت حكايات عن صيد الفقمة، ولكنها لم تشهد صيد هذا الحيوان. كانوا يحكون الكثير من الأشياء، ويات الرجال، طبعاً، أبطالاً ببساطة، ولكن بين حكايات المساء، وبين الواقع في وضوح النهار، كان ثمة فرق كاف مكنها، وسط نشوة الحياة الجديدة الساطعة البياض، من استباق الأحداث، ومن الإحساس بانسراح غير مألوف.

- هل أنت سعيدة؟

- أجل.

كانا متوقفين للاستراحة، وكان تاياووت يلثغ.

- أتسمعين؟ سأل أغاغوك، سيكون هو أيضاً سعيداً. سيصير صياداً عظيماً.

لم يكن لديه سوى هذه العبارة الطيبة يقولها لابنه، هذه الجملة فحسب المكررة دائماً، خلاصة كل عزّته، أن يصير تاياووت صياداً عظيماً. وفي الحقيقة ماذا يعني أكثر من ذلك؟

- سيصير صياداً عظيماً، أعظم من كل الذين سبقوه.

- أنت بالذات، صياد عظيم.

- نعم، وهو سيصير أعظم مني أيضاً.

بينما كانا يتحدثان، الواحد قرب الآخر، كان الطفل قد انحنى يمد ذراعه نحو الجرح الذي تكبده الأرنب. بعدها وضع إصبعه الملطخة بالدم في فمه وراح يمصها مسروراً.

- أترين؟ سأل أغاغوك.

كان أغاغوك متهللاً، متغطرساً مثل حمام. فالطفل يحب الدم.

- سنعطيه هذا المساء، قالت اريوك، لحماً نيئاً.

سلخ أغاغوك، في الإستراحة، الأرنب، وحكّت إريوك الجلد كي تضمه إلى الصرة. ثم التهما اللحم الذي كان يقطر دماً، أخذ تاياووت حصته، قطعة من اللحم وشرع يمصها.

لم يجد أغاغوك، في هذه الليلة، أي عناء في الحراسة. فقد وقعت أحداث كثيرة وضعت في حالة شديدة من الهيجان.

بادي ذي بدء، لم يستطع أن يكف عن التفكير في صورة تاياووت، وجنتاه ملطختان بدم الحيوان، أو وهو يمص اللحم النيء.

تمرن ال INUK.

صورة كانت تلازمه شأن فرح أصلي عميق، وتطرد النوم من عينيه. كم من الأحلام سيعيش! تاياووت قوي العضلات، واقفاً أمام دب أبيض ضخم، بندقيته ملقمة، يطلق النار، يقتل الحيوان، لم يتراجع قيد أنملة أمام الخوف، يتصدى للحيوان ويتحداه. شديد البأس إزاء الزمجرة، والأشداق الرهيبة! تاياووت في مكمنه يراقب الفقمة، يرميها بحربة. صراع الحيوان وظفر الصياد.

تاياووت مجابهاً عشرين ذئباً، يتحداها تحديه للدببة، مطلقاً الرصاصة القاضية، ينهك الحيوانات ويقتلها قبل أن تجد تلك الحماسة في نفسها للهجوم على الرجل. ظافراً دائماً وأبداً.

ولكن ذلك لم يكن السبب الوحيد في هيجانه.

ففي هذا المساء، وإذا استلقت إريوك على جلد الرنة، ربضت على صدر رجلها. وقامت بحركات مباغتة مُحَرَّضَة، مداعبة وذيّة لم يكن أغاغوك قد اعتاد عليها.

ثمة مبادرات محظورة على نساء الاسكيمو. إذ أن تسلط الرجل وهيمنته قد حصراً دور المرأة في إطار كامل من السلبية.

إن إريوك، وإن كانت، خلافاً لكل التقاليد، تأخذ من الرجل، المتعة التي لم تكن تخفيها، فلم يحدث لها قبلاً أن استسلمت لنزواتها الطبيعية فيزيولوجياً، والتي كان يمكن أن تنبذ فوراً من قبل زوجها. لقد كانت على يقين من تطور أغاغوك نسبة إلى أمثاله. ولكن كان من شأن استغلال هذه الميزة أن يفسد ما كانت إريوك قد حصلت عليه، والذي كان أكثر بكثير مما كانت تحلم به، لو أنها اتبعت سلوك باقي الأزواج الـ INUIT.

خلافاً لكل حكمة، فقد كانت تستهويها فكرة الانصياع لنزواتها والاستكانة لردة الفعل الأولى الفظة عند الرجل.

مشوّشاً، همس أغاغوك في أذنها:

- لاتفعلي هذا... النساء لايفعلن هذا يا إريوك.

ولكنه سرعان ما كف عن المقاومة. متوتراً حتى الانقطاع كان أغاغوك يتلذذ بهذه التجربة الغريبة. بينما كانت إريوك تتدرب، مغمضة العينين، على ذلك الشيء الذي حلمت به طويلاً: أن تكون هكذا سيدة متعة معطاءة، وفقاً لولعها ومهارتها.

بعد ذلك كان جنون بديع، ذروة شهوة رمت الواحد فوق الآخر مشغوفين على حد سواء.

كانا قد شبعا، عندما كانت إريوك تناشده الرحمة.

حينئذ حررها أغاغوك، فتقلبت على جنبها تكاد تكون غافية من الانهاك. لم يستطع أغاغوك، على الرغم من إعيائه، أن ينام. كان ثمة أمران يمنعانه من ذلك، هذه التجربة التي مارسها قبل قليل من ناحية، وصورة تاياووت، المرتبطة ارتباطاً قوياً، هكذا بدا له، بما قد تم إنجازها الساعة، من ناحية أخرى. منذ أن حبلت إريوك، لم يجامعها أغاغوك إلا وفكر بالطفل في الوقت ذاته. في البداية، كائن غريب، لغز غامض رقد في بطن المرأة، بعدئذ جاء تاياووت. تاياووت هذا الذي أودعه أغاغوك كل لطفه.

كانت الغريزة في داخله توحد ما بين الشيتين، وترفض أن تفصل اللذة الجنسية عن اللذة المستمدة من الكائن المخلوق الذي يحيا إلى جانبه بعد ذلك، ودون أن يدري أدرك أغاغوك فلسفة الإنسان الأصلية، الفكرة الأولى..»

وظل مستيقظاً في الهزيع الأكبر من الليل. جالساً، وبنديته على ركبتيه، كان يترقب التوندرا. اقترب، ذات لحظة، ذئبان من خلفه اقتراباً شديداً، ولم يلحظهما أول وهلة. وكان ثمة ثعلب، أكثر دنواً، يجازف بحياته. سمعه أغاغوك، تنكّب بنديته، فلاذ الثعلب بالفرار مختفياً في ظلام الليل.

بعد ذلك لم يأت إنسان أو حيوان.

عندما جنح القمر نحو الأفق، أفاقت إريوك، وراحت تحرس فنام أغاغوك. ولأنهما قد بدأ ليلتهما على ذلك النحو، فلم يستأنفا مسيرهما في الفجر، إنما في وقت متأخر، عندما ارتفعت الشمس ارتفاعاً لا بأس به.

ثم أقبل ليل آخر، ومخيم آخر في العراء مع المسرات المتجددة ذاتها، والسهاد ذاته. عندما جاء دوره، أمضى أغاغوك وقتاً قبل أن يغفو، مفكراً في تلك المرأة التي كانت له، والتي لم تكن كباقي النساء، بل أفضل منهن جميعاً، المرأة التي صارت أثرته.

في منتصف اليوم التالي شاهدا الماء الكبير، الذي تعرفا إليه حالاً بفضل الضباب المتصاعد نحو السماء، وبفضل روائح الجليد النفاذة التي كانت تحملها الريح.

هناك توقفا للاستراحة في نهاية اليوم، ولكن قبل حلول الظلام، فأمضت إريوك ساعة واقفة على الشاطئ تتأمل جليد السواحل، والماء الأخضر أبعد والصفائح الجليدية العائمة. وهنا وهناك كانت ثمة نقطة سوداء لواحد من INUK مفرصاً قريباً من ثغرة، أو على حافة لوح طاف، حربته جاهزة، يترقب الفقمة...

غرز أغاغوك، في الفجر، العمودين القصيرين اللذين كان قد جلبهما، وأقام مخبأً، ناشراً فوقه جلد الرنة الذي أخذه من صرته. وفرش جلدأ آخر على الأرض، ورّب الطلقات، وجليد الأرنب والبندقيتين. ثم جهّز حربته، وهي قطعة طويلة من العاج منتهية بصنارة معقوفة شبيهة بالشصّ. كانت الحربة موثقة بخيط ثخين ثخن الإصبع. وكانت حربة أخرى أقصر، جاهزة أيضاً. ستنفع هذه الأخيرة فيما لو سقطت الأولى سهواً، في جوف الماء الكبير.

- وأنا ماذا سأعمل؟ سألت إريوك.

- لا شيء. ستنظرين هنا.

- إلى أين ستذهب؟

أشارت إلى الصفائح العائمة مضيئةً.

- إلى هناك؟

لم تستطع نسيان القصص، فهذه الطريقة كان الرجال يختفون. كانت المساحات الشاسعة من أديم الجليد تنجرف على حين غرة، مع التيار ثم تتلاشى في الأفق، وكان قليل من الاسكيمو يملك زوارق الصيد في هذه الأرجاء. وللحصول عليها كان لابد من التوغل شمالاً هناك حيث ترحل قرى بكاملها في مغامرة الصيد، متعقبة هجرة الفقمات.

أما إلى هنا، فلم يكن يأتي للصيد سوى الاسكيمو من سكان التوندرا أمثال أغاغوك وإريوك، الاسكيمو الذين ينعمون بفصلين متباينين، ويسكنون بعيداً عن السواحل.

وعلى هذا النحو مات الرجال الذين قتلهم البحر القطبي في النهاية أو الجوع أو غرقاً. وفي هذا الخيار، كانت شمس شديدة الحرارة تكفي لتذوّب جوانب جليد السواحل، حتى يصير وزن الإنسان ثقيلاً للغاية. الغرق أو الجوع، كانت النتيجة واحدة.

- ليس هناك، صاحت إريوك. ستنجرف!

هزّ أغاغوك رأسه.

- الصيد هناك أفضل...

- وهنا، على الساحل؟

- يطول الانتظار أياماً...

- هل سبق أن جئت إلى هنا؟

- نعم، فيما مضى.

- واصطدت الفقمات؟

- أجل.

- بوسعك أن تصطادها الآن أيضاً.

- سيطول الوقت ياإريوك.

- سوف أنتظر. أجابت إريوك برقة، سوف أنتظر ولاشيء يمنعنا من البقاء

هنا.

بدا أغاغوك مهموماً...

- لم يبق سوى القليل من الوقت. وعما قريب، سيحل الصيف هنا،

ستلبث الفقمة في المياه الأكثر برودة، في القاع، بعيداً في الماء الكبير.

- أنا لأفضل أن تذهب إلى الجليد العائم.

- سيكون الصيد هناك أفضل.

وغضب أغاغوك، فلم يكن قد اعتاد قط على رؤية امرأة من الاسكيمو

تناقش زوجها على هذا النحو. ولأنه سيد، أفلم يكن سعيها من أجل حمايته

مناقضاً له شخصياً؟

- إن لم ترجع، قالت إريوك بعنف، فمن سيعلم تاياووت كي يصير صياداً

أعظم.

هزّ أغاغوك رأسه. لقد أفحمته الحجة. فلن يصير تاياووت حقاً صياداً

عظيماً إلا إذا تعلم على يد معلم. صياد يعلم ابنه، والابن، إن كان منحدرًا من

نسل عريق، وإن كانت لديه، زيادة على ذلك، عضلات أبيه مضاعفة، ورشاقته

وحدة بصره فسيصبح الصياد الأكثر زهواً من بين جميع صيادي قمة الأرض.

أما إذا لم يكن هناك أحد يعلم تاياووت؟

- أنا، قالت إريوك، أتقن إطلاق النار. ولكن كيف يمكنني معرفة الأسرار

كلها؟

وأشارت إلى البحر، ثم إلى التوندرا في الخلف.

- أسرار الجليد، وأسرار التوندرا، كل ماتعرفه أنت يا أغاغوك، أنا أجهله.



- هذا صحيح.

- أجل.

- لو لم أكن هنا...

حاول تاياووت أن يحبو على الأرض فوق الثلج نصف الذائب. كان يضحك وهو يزحف، كما لو أنه قد اكتشف عالماً جديداً نال إعجابه. تأمله أغاغوك طويلاً، ثم قال أخيراً:

- لن أذهب إلى الجليد العائم.

بحث عن قاع متين على حافة الجليد تماماً، قاع يكون مشدوداً إلى الأرض ومتقدماً نحو البحر أيضاً. وفحص كذلك الشاطئ الغامض من خلفه، وتأكد من أن الذوبان لم يضعف هذه الأسطح الجليدية بعد.

لا يلزم سوى القليل. سماكة أرق بحجم نصف يد، صدع... كان أغاغوك قد تعلم، فيما مضى، أن يميز الجليد المملغوم من تحت، عن الجليد الآخر الذي لا يزال في كامل سماكته. ففي الحالة الأولى تحرز الشفافية ظلالاً داكنة. إذ يُشاهد الأسود هناك حيث يجب أن يكون كل شيء أخضر باهتاً أو أبيض كثيفاً، في حين يكون الجليد الصلب ذا لون طبيعي، وقرار راسخ دون ظلال.

وعثر بالتالي، على موقع آمن للترصد. لو شاهده الـ INUIT يصطاد في هذه الأرجاء، لضحكوا من مخاوفه. إلا أنه لم يهتم بذلك وبدأ العمل.

كان ذلك، في الظاهر، عملاً في غاية البساطة.

جلس على حافة الجليد، وحرثته جاهزة، كان ينبغي عليه أن يراقب الماء ويدرب نظره على سبر الأغوار. وعلى معرفة تمييز أدنى الحركات في باطن الماء.

وإن جاءت فقمة فعليه أن يطعنها بالحربة، طعنة خارقة السرعة قاضية ومميتة. ثم، والسلاح مغروز في الرأس، لا بد من إغراق الرأس ومقاتلته حتى يلفظ آخر أنفاسه، بعد ذلك يجب إخراج الفقمة من تحت الجليد.

ثم يُسلخ الحيوان في الحال، ويُقلع العاج. ويبدأ التقصيب ليوضع الشحم جانباً، ويستخرج الاحتياطي من زيت الفقمة، ويقطع اللحم الذي يؤكل بشهية.

حسب رأيه، صيد بسيط بما فيه الكفاية.

لم تكن الصعوبة في حركات الفعل، أو في رميات الحربة فقط. فقد كان أغاغوك، مثل جميع الاسكيمو، يملك عضلات متوازنة توازناً رائعاً، وعين واثقة ثقة ساحرة.

كانت الصعوبة تنحصر في الحاجة إلى الصبر الذي كان العائق. الصبر الذي لا بد من التحلي به في أثناء السكون المطلق. فكل حركة ظل فوق الماء من شأنها أن تجفل الفقمة. إنه إذن إنتظار مشلول، مُسَمَّر، بإمكانه أن يدوم ساعات لا بل يوماً كاملاً.

فالفقمة لاتأتي بدعوة بسيطة. ولا بد كذلك من التسليم بأنه خلال يوم من التردد، لاتأتي سوى فقمة واحدة، وأحياناً اثنتان وأحياناً أخرى لاتأتي ولا واحدة.

ويمكن الخلط أيضاً بين فرخ حوت يعوم تحت الماء بعمق مترين، وبين الفقمة. وإذا عرف أغاغوك بأن فرخ الحوت ما هو إلا صيد تافه، وبأن رمية الحربة تسبب غالباً في هروب الغنائم المحرزة لساعات طوال، فإنه يدرك بالتالي ضرورة السكون والنظرة الثاقبة للتعرف على الغنيمة المفضلة قبل الرمية.

ولكن هنا أيضاً، ومهما بدا الأمر سهلاً، فإن هذه الرمية هي ثمرة ساعات طوال من التمرين. يتذكر أغاغوك بأن والده كان يصطحبه وهو ما يزال صغير السن إلى سواحل الماء الكبير. ويرغمه مدى أيام كاملة، على التمرين على الرميات فقط. رمية تلو رمية، ودون كلل، فهي الطريقة الوحيدة لبصير الصياد ماهراً في عمله.

كل رمية: بإصابة!

ولكن متى ستأتي الفقمة؟ أو القاروس<sup>(1)</sup>، الأقل وجوداً من الفقمة في الواقع، ولكن الأكثر فائدة أحياناً إذ يُصنع من جلده جزمات فاخرة ونعال تقليدية. لم يكن أغاغوك لجوجاً. حتى إنه قابل فرخ حوت بشيء من الارتياح، مع نهاية اليوم الأول من ترصده.

---

(1) نوع من السمك.

## الفقمة - UTJUK

أما في اليوم الثالث من الترصّد، فقد فكّر أغاغوك أن ينكث بوعده، ويذهب كي يلبد، كالآخرين، فوق الجليد العائم.

لم ينفعه البقاء هنا حيث هو، ولامكنه من صيد شيء، في حين أن ال INUK، هناك كان بصدد رفع فقمته الثالثة فوق طوف الجليد. كانت المجازفة كبيرة، والمحطة هشة. ولكن هنا حيث هو الآن صارت المياه أقل برودة، وبدأت تفتّت بسرعة، جليد الشواطئ. كم من الوقت سيظل صامداً؟ اسبوع؟ ربما.

وفي تلك اللحظة ذاتها لمح أغاغوك، بطرف عينيه، حركة خاطفة لمعت في الماء. ثم بردّ فعل أو باستجابة عصبية أكثر مما هي مهارة لعبت دورها، رمى أغاغوك حربته. فأصيبت الفقمة التي جاءت لتقوم بالدوران على مسافة مترين من أغاغوك.

وثب ال INUK واقفاً، يدها متشبثتان، بجبل الحربة.

وسمع إريوك من بعيد وهي تصيح. إذ كانت إريوك تراقب زوجها بعد خروجه طوال الوقت. وشاهدته يعاين الجليد العائم منذ العشية، وحدثت بأنه يرغب في الغنائم التي يفوز بها ال INUIT هناك.

وهاهو أغاغوك يصطاد الفقمة، في ذات اللحظة التي كانت إريوك تخاف فيها - وهي العارفة أغاغوك - رؤيته يسير نحو طوف الجليد.

لقد صرخت إريوك هكذا، لأنها كانت سعيدة، وكان لابد من تشجيع الصياد.

أرخی أغاغوك الحبل، وترك الفقمة تقاوم. ولكن الحربة كانت قد أصابت إصابة بليغة، واحمرت المياه بدم الحيوان. لم تقاوم الفقمة طويلاً. وأحس أغاغوك فجأة بالحبل يرتخي. لقد قضى الأمر، وصار بوسع أغاغوك رفع الحيوان فوق الجليد. فشَد عضلاته، وتقوّس، وبضربة واحدة جعل الحيوان يقفز خارجاً ويهدم قريباً من قدميه.

كانت فقمة رائعة، رمادية يقارب طولها الأربعة أمتار، غنيمة نادرة، لأن مثل هذا النوع من الفقمت تنزاج في الخريف فقط، أما طوال فترة الصيف القطبي فتتزعج خاصة إلى السواحل الصخرية وتعيش وحيدة.

فأية مصادفة حملت هذه الفقمة، التي لم يكن أغاغوك يتوقع مجيئها إلى هذه المياه؟

لم تكن فقمة مُقَنَزعة، عادية يباع جلدها بأدنى سعر، ولا تملك سوى أنياب قصيرة تكاد تكون خالية من العاج. على أن ال INUIT الذين كانوا يكادون في تلك الأصقاع لم يصطادوا سوى أمثال تلك الفقمت العادية، وكان أغاغوك يعرف ذلك جيداً. وكان أغاغوك ذاته سيرضى بتلك الفقمة قبل لحظات.

في حين أنه نال الآن مكافأة على صبره، هذه الغنيمة النفيسة! لقد كانت إريوك محقة تماماً في صراخها.

فهرعت حاملة تاياووت على ذراعيها.

- هل ترى، يا أغاغوك؟ لقد فزت بغنيمة جميلة!

ابتسم الرجل متأملاً الحيوان الممدد على الجليد. لقد كانت غنيمة جميلة حقاً. لم يأمل في أجمل منها قط. لقد قتل برمية حربة، حيواناً أطول مرتين من الفقمات المقتزعة. ولقد عوّضه صبره تعويضاً مضاعفاً!

- إنني سعيد، قال أغاغوك.

بعدئذ صاح بصوت أجش، وانقضّ على الحربة الاحتياطية. فلقد لمح تحركاً آخر في الماء، ودون أن يتوقف لتعيين نوع الغنيمة، رمى الحربة مع صرخة قوية.

أصاب!

ثم كان الصراع. صراعاً مُنْهَكاً هذه المرة، لأن السلاح استقر قريباً من الذيل، بعيداً عن الأعضاء الحيوية، ولم يستسلم الحيوان إلا بسبب نزيف دمه، وعناد أغاغوك. واستدعى الأمر كذلك بأن تظل الحربة مغروزة بشدة حتى نفق الحيوان.

عقباه مثبتتان على الجليد جيداً، عضلاته مشدودة حتى التقطع، ألمٌ في كليتيه وكتفيه، ظل أغاغوك صامداً.

اقتربت منه إريوك ملاطفةً، محاولة مساعدته، ولكنه منعها بأمر عنيف حائق، فارتدت المرأة إلى الورا. أمضى أغاغوك نصف ساعة في الصراع. ثم فجأة ارتخى الحبل دون أن يتوقع أغاغوك ذلك. فاستبد به، لحظة، قلق شديد.

هل أفلتت الفقمة من الحربة؟

كلا. كانت الفقمة بالأحرى قد استسلمت وخضعت لمصيرها. كانت لاتزال حية، لأنها شوهدت تخبط بذيلها خبطاً ضعيفاً.

هذه المرة، نادى أغاغوك إريوك كي تأتي لنجدته ومساعدته في رفع الفقمة إلى فوق الجليد. وسواء كانت هذه الفقمة أثقل من الأولى، أو أن قوى

أغاغوك قد وهنت من جراء المعركة الأولى، فقد توجب عليهما أن يعملوا معاً  
عملاً مضمناً ليضعا أخيراً الغنيمة الجديدة إلى جانب الأولى.

لم يعد هتاف أغاغوك سعيداً فقط، إنما ضمّنه ريبة قلقة.

فأشار إلى الحيوان الثاني، الهائل مثل الأول ولكن المختلف عنه، قائلاً:

- إنني لأفهم شيئاً. نعم لأفهم شيئاً فمن أين جاءت؟

وكان استغرابه مسوغاً. فعلى الجليد تستريح الآن، تكاد تكون ميتة،  
واحدة من أندر أنواع الفقمة في هذه الأرجاء. الفقمة ذات الزعانف والجلد  
السميك سماكة مميزة، الجلد المرغوب فيه لدى الاسكيمو الذين يصنعون منه  
قطعاً جلدية مستطيلة، وسيوراً خارقة المتانة.

- لم أسمع أحداً أبداً يحكي عن مثل هذه الغنيمة! سمعتُ بأن الآخرين،

في قمة الأرض، أو الجزيرة الكبيرة، قد اصطادوا مثلها. أما هنا، أبداً!

- رأيت، قالت إريوك، رأيت؟ كان يكفي الإنتظار.

في هذا اليوم واليوم الذي تلاه، اصطاد أغاغوك أربع فقمة أخرى،  
مقنّزة كلها، من النوع العادي. مع الغنيمتين النيفيستين، يكون أغاغوك قد أنجز  
صيداً هائلاً سيتحدثون عنه زمناً طويلاً.

جاء الـ INUIT الآخرون - دون أن يكون بينهم أحد من قرية راموك  
وأغاغوك - يتفحصون الغنائم. وفي المساء احتفلوا بها احتفالاً بهيجاً.

ضحى أغاغوك بكبد كل حيوان. استخلص منها الزيت أولاً وأعطاه  
لاريوك، ثم التهموا الأعضاء نيئة دامية.

حتى تاياووت كان فمه مليئاً بها، وإذا شاهده أغاغوك، مرة أخرى،  
ووجهه مبقع بالدم صاح:

- إنه رجل! انظروا إليه!

فنظروا إليه. ورأوه جالساً بين فخذي والدته، متيناً مثل INUK من سلالة  
عريقة. لقد رأوه بالتأكيد...

وشرع أحدهم ينظم أغنية. تغنى بأغاغوك، الصياد العظيم. وتغنى كذلك بتاياووت الذي سيصير أعظم صيادي زمانه. هذا الشبل من ذاك الأسد.

دامت الأغنية طويلاً. وانتشى بها أغاغوك فلقد أثرت عليه تأثير حمرة البيض. كان يضحك مغتبطاً في البداية، ثم نهض فجأة وراح يركض، في حلقة، ضاحكاً كعادتهم جميعاً عندما يستبد بهم الهيجان. Insumane ayorlugo. لقد فقد السيطرة على نفسه!

وكانت إريوك تصفق بيديها، وبقية النساء كذلك.

وبينما كان أغاغوك يجري على ذلك النحو غير المنضبط، كان الرجال يصرخون ويدقون الأرض بأقدامهم، ثم استل واحد منهم مدية طويلة وصاح «Adlaoyunga!» إنني واحد آخر! إنني واحد آخر.

استمر الاحتفال طوال الليل.

في الفجر كانوا جميعاً نائمين مع نساء لم يكنن بالضرورة زوجاتهم. باستثناء أغاغوك الذي سكتته إريوك فنام قريباً منها ينتفض بكامل جسمه فترة طويلة.

ناموا أمداً طويلاً، متكومين، مثل الذئاب بعضهم فوق بعض. وأفاقوا عندما صارت الشمس عالية في كبد السماء واستعادوا وعيهم. واستعاد كل قادم زوجته الشرعية ورجع بها، هادئاً، صوب الجليد ليستأنف صيده. لم يبق شيء يُقال. فقد قيل كل شيء أو غُني في العشية. وعندما سيتحدثون عن هذه الليلة، سيكون كل واحد في كوخه، في أثناء الأماسي الطويلة، كي يؤلفوا أغنية كريح السهول تمجد كلماتها الصياد العظيم أغاغوك.

أما الآن فقد عادوا إلى الصيد، لأن الوقت قد مضى، ولأن المؤونة من لحم الفقمة قد نفذت.

خمن أغاغوك الحمولة التي سيكونها كل هذا اللحم والدهن والجلود المكشطة. لن يأخذ منها أكثر، لأن الثقل كان باهظاً.

شرع هو وإريوك معاً، العمل في تقطيع الهياكل التي كانت الشمس



ستفسدها عاجلاً، وكان ذلك عملاً دامياً، لرجاء، طقساً صاخباً، بذل كل منهما - دون نفور - كل ما في وسعه من أجل إنجاز هذا العمل.

فكشطا الدهن أولاً ثم جزأه كتلاً لتسهيل نقله. واقتطعا من اللحم المسمراً شرائح ممتازة للقديد. فبدا واضحاً أنه ليس بوسعهما نقل هذا اللحم كله، إذ كان أكثر مما يقدران عليه. ثم أمضيا وقتاً مضاعفاً لاختيار الأفضل مذاقاً وكذا تغذية. وبعد تدخين اللحم، كان يجب التفكير في أمر حمله على ظهريهما. - سنسير يوماً إضافياً، وربما يومين، قال أغاغوك ناظراً إلى الكومة التي كانت تتضاعف باستمرار.

- لا يهيم، قالت إريوك، فعندما ننتقل، لاشيء يحثنا على السرعة.

وكان ذلك صحيحاً. فلقد كان الوقت منتصف الفصل، ولم يكن هناك أي تغيير متوقع في هذه الأيام. أما فيما يتعلق بالتأخر عن الصيد، أفلم يفوزا منه بتعويض كامل؟

لم يبق سوى تجهيز الجلود. وعلى كل حال كان ذلك أئمن مايجنى من هذه المغامرة. كان يحب تنظيفها. وعلى جلد رثة موضوع في طشت بدائي، أخذ أغاغوك ييخر الماء المجلوب من البحر. فلم يبق، بعد ثلاثة أيام من الطقس المشمس، إلا الملح المشبع باليود، والمصفر، المنثور على بقايا الطحلب. وبهذه المادة البدائية، عالج أغاغوك قفا الجلود المكشطة جيداً، ثم لفها في حزمة. وتم إنجاز العمل في اليوم الخامس. أما ما تبقى من الفقمات فقد تم تكديسه وتركه للذئاب التي ستأتي، ربما مشدودة إلى الرائحة. أو سيكون ابن مقرض<sup>(1)</sup> الأكثر جسارة ونهماً شأن الذئاب.

وبعد أن قدّرا الحمولة التي آلت إلى كل منهما، تقديراً جيداً، ربطا الصرر. العاج والعظام الرقيقة والجلود كوئت الآن وزناً لا يستهان به. لقد رغبا في أن يزنا المجموع قبل تدخين اللحم.

(1) حيوان من رتبة اللواحم، يُصَاد به. (المنهل).

سيكون كثيراً ولم يجد أغاغوك في نفسه الشجاعة في التقليل من المؤونة.  
- لن ندخن اللحم، قال أغاغوك. سنجففه، وبهذا الشكل سيقبل وزنه إلى النصف، وربما أقل من النصف.

ثم بسط الجلود المخصصة للنوم على الأرض تحت الشمس، وقطع مع إريوك، اللحم إلى شرائح رقيقة وقصيرة ونشراها عالياً.

وقلب، على امتداد ثلاثة أيام، الشرائح من جهة لأخرى، وراقبها كي لاتنضج. وفي نهاية اليوم الثالث قلّ اللحم، في الواقع، إلى النصف وزناً وحجماً. كان قد جفّ جيداً ولا يزال محتفظاً بمذاقه.

ثم رتباه في حزمة وضعها بجانب الصرر الأخرى لتقدير كتلتها تقديراً أفضل. فشكل ذلك، مع جلود النوم ومع مواعينهم والبنادق والطلقات والسكاكين، حملاً هائلاً، ثقلاً سييطيء من مسيرهم كثيراً.

زيادة على ذلك، كان تاياووت.

- إنني قوية، قالت إريوك، أقوى مما تتصور. سنسير على مهل، ولكننا سنصل.

في الفجر كانا واقفين، مشدودي العضلات في كامل قواهما، فرصّ أغاغوك، بعناية الصرر على ظهر إريوك، التي كانت قد علّقت الطفل هناك قبلاً، وأخذ أغاغوك، عندما انتهى من ذلك، الصرر الباقية ورتّب حملة الخاص.

بوسعنا القول بأنهما كانا أشبه بحيوانات جديدة. ضرب من أجسام متنقلة، دواب حاملة - بوقار - العالم على أكتافها.

تاياووت وحده كان يبدو فرحاً. غير أنه لم يكن يعرف مشقّات هذه الجولة التي شرع والداه الخوض فيها.

بعناء، وخطوات بطيئة وقصيرة انطلقا في المسير.

## الليل - UNU'AK

محني الظهر كالعنلين، سارا بيضاء، وتوقفا كثيراً للاستراحة.

كل عضلة في جسميهما، وكل طاقة كانت تناشد الرحمة، حتى أغاغوك، بعمره الفتى وقوته الرجولية سرعان ما كان يستنفد قواه. فكانا يتوقفان، ويمكثان، دون فكّ حملهما، دقائق دون حراك، مغروزين في الطحلب، مقابل الريح، لاستعادة أنفاسهما اللاهثة، وتهدئة خفقات قلبيهما. كانا يتعرقان لأن الشمس كانت حارة، وكانا يعطشان. وبدأ الماء يتناقص في القراب.

- بوسعنا السير في طريق مستقيم، قالت إريوك، بعد مضي عدة أيام،  
يمكننا المرور بالقرية.

فاسترد صوت أغاغوك نبرته العنيفة فجأة:

- كلا! لن نذهب إلى القرية.

ولم يضيف شيئاً إلى ذلك، فأغاظ عناده الفظ إربوك، ولكنها سكنت واستأنفاً مسيرهما. كان أغاغوك يقيس المسافة مستعيناً بذاكرته عن التوندرا، وبنجوم السماء. كانا يطويان الطريق بصعوبة وببطء، ولكنهما كانا يقتربان شيئاً فشيئاً من النهر ومن الخيمة.

كانا، في المساء، ينمان منهكين، نوماً عميقاً، لو جاءت الذئاب لما شعر بحضورها أي منهما ولحماية الصرر لم يحتاطا بشيء إلا بوضعها تحت أذرعهما النائمة. فلو هاجمها حيوان فستكون الحركة كافية لإيقاظهما. كانا يرقدان على ذلك النحو وبينهما تاياووت وثمار صيدهما. فلم يكن أمامهما سبيل آخر، ولاطريقة أخرى للترقب لأن الإعياء كان شديداً، فما يفكران إلا في شيء واحد، بعد الانتهاء من وجبة الاستراحة. النوم واستعادة القوى ليتمكننا من استئناف سيرهما، بعد عدة ساعات، صوب الخيمة.

عشية بلوغهم الخيمة، ظهرت رنة في وضح النهار، قريباً منهم.

في البداية، تناهى صوت، صوت الفرقة المميزة لحوافر الحيوان، صوت لامثيل له، صادر عن إصبعي الظلف المتشعبتين المتعاكستين أثناء الجري.

لم يلحظ أغاغوك شيئاً أول وهلة فقد كان يسير مثل آلة، دون تفكير، بأعصاب تالفة. ثم انتفض فجأة، فلقد بلغ الصوت وعيه.

وأفلتت الطارئة ماتبقى من الخفة في داخله. فتنكب بندقيته بلمح البصر. كان الحيوان يقف على بعد ثلاثمائة خطوة منهما، قلقاً، ساكناً، منحراه يتشممان رائحة الخطر المحدق به. ولكن إربوك لمست ذراع أغاغوك.

فالتفت أغاغوك، دهشاً، صوب المرأة التي قالت:

- لاتطلق النار.

- لماذا؟

- ما الذي ستفعل بها؟

كانت الرثة قصيرة وسمينة وعريضة، ذكراً من نسب رفيع، ذا قرنين  
سليمين مثنيين، بشدة، إلى الأمام. إنه حيوان مُترَفَع ذو وبر جميل. وكان الشعر  
المتدلى تحت عنقه يكاد يبلغ الركبتين.

- ما الذي ستفعل به؟ ردّدت إريوك.

كانت المهلة كافية. ففرَّ الحيوان بعيداً عن المتناول.

- كنت سأقتله بطلقة واحدة. قال أغاغوك. أما رأيته؟ حيوان دهين،

مناسب...

غضب أغاغوك.

- لماذا منعني من إطلاق النار عليه؟

- لو قتلته، ماذا كنت ستفعل به؟

هدأ أغاغوك. لقد كانت المرأة على حق. فلم يكن بوسعهما حمله في  
الحال. ولو تركاه في التوندرا، كانت الذئاب ستلتهمه قبل الفجر...

هزّ كتفيه وأنزل بندقيته. ثم تابعا سيرهما. إلا أن ذكرى الحيوان ظلت  
تلاحق أغاغوك. فكان يتحسر أحياناً. ثم متى سيعثر على رثة أخرى مشابهة؟  
فتمتت إريوك بغتة، كما لو أنها ترد عن سؤاله الشخصي:

- ستجد أثرها. فستظل ترعى في الأرجاء بعض الوقت أيضاً. إنه ذكر،  
ولابد أن الأنثى موجودة قريباً من النهر... ربما كان هناك قطع...

نظر أغاغوك إلى زوجته دهشاً. فمن أين تعلمت هذه الأشياء؟ على أنها  
كانت تقول الحقيقة، فلو كان الذكر هنا بعد مضي وقت قصير على فصل  
الوضع، فلن تكون الأنثى بعيدة، وفي أي مكان منطقي يمكن لها أن تكون، غير  
النهر؟

- سيبحث أحد من القرية على الرثة قبلي. فنحن لسنا بعيدين عن القرية.  
وريشما أعود إلى الصيد سيكون الوقت متأخراً جداً.

- ستعثر عليها، قالت إريوك واثقة. إنني متأكدة من ذلك.

والصمت ثانية، والمسير الشاق العسير. كانت الشمس تضغط عليهما  
شأن عبء من رصاص. وكانت الحرارة تلمع في الأفق الخفيض والشديد  
القرب منهما. وكان حباري يطير بكسل عالياً جداً، ثم مال بطيرانه نحو النهر.

- كم من الوقت بعد؟ سألت إريوك. هل تعرف؟

لقد حدا، صباحاً عن طريقهما نصف دائرة كاملة، لتجنب المرور بالقرية.  
وصارا الآن يسيران باتجاه الجنوب الشرقي مباشرة.

توقف أغاغوك، تفحص تحديات التوندرا، والسماء، وتشمم الريح،  
واستهدى ببعض البوصلات الخفية في داخله، ثم فرك يديه ببطء قائلاً:

- سنصل غداً.

- غداً، باكرأ؟

- كلا...

عندما توقفا، مساء للاستراحة، كانت إريوك تتلوى من الإرهاق. كانت،  
بعد أن حرّرت كنفها من الحمولة، لاتكاد تقوى على المشي مترنحة الساقين  
وفي رأسها طنين، ثم قالت:

- إنني مرهقة.

هذه الكلمة فحسب، ولاشيء سواها. ولكن كان في صوتها تعب العالم  
كله. مقطباً، خائر القوى تهالك أغاغوك على الطحلب قائلاً:

- فلنأكل، وننم. لننم في الحال.

لم يمضغ اللحم المجفف المتوفر لديهما بكثرة للمؤونة، إنما قطعاً شرائح

كبيرة من دهن الفقمة أكلها بااردة، مدركين بأنها ستزودهما بطاقة تعجز بقية الأطعمة عن توفيرها لهما.

أما بالنسبة لتاياووت، فإن طرفاة حملها على ظهر أمه، سرعان ما مسها الإنهاك أيضاً. فالسير البطيء، والصرر الثقيلة خاصة، وحرارة الشمس الطاغية، كل ذلك كان يجعل تاياووت نرقاً.

وغالبا ما كان يبكي، في أثناء الأيام الأخيرة، دون سبب واضح، ربما لتعبه من الإحساس ببقائه محجوزاً. ولكنه في المساء بعد الرضاعة، استغرق في النوم. جاءت ذئاب، في الليلة الأخيرة.

ذئاب أقل ذعراً، وأكثر جوعاً. جاء واحد، العجوز الذكر في القطيع، ثم سرعان ما التحقت به أنثى، وجاء الذكور الأخرى الأصغر سناً أيضاً. فأحاط القطيع، خلال بضع دقائق، بالخبيم حيث كان ينام أغاغوك وإريوك وتاياووت. جتمع ساكت، يتقدم بخطى هامسة، ومناخير مُشتمّة. فقد كان ثمة لحم في الصرر، ودهن وكل ما لذ وطاب من الطعام الطري. أوشك الذكر العجوز على مس إحدى الصرر بخطمه. وظلت بقية الذئاب ترأق مناورته عن بعد. تشم الرائحة مستجمعاً شجاعته. ثم حاول، بعضة حذرة، أن يمتحن متانة الصرر.

أحس أغاغوك بالحركة في نومه، فشدّ الصرر إلى ذراعيه أكثر فأكثر ثم تأوه.

تسمّر الذئب في مكانه. وظل فترة طويلة ساكناً يراقب الرجل. ثم جازف من جديد. حركة كانت لاتزال مترددة، ولكن عضه جامدة، حركت الصرة هذه المرة فوثب أغاغوك واقفاً على قدميه. نازعاً الصرة من بين شذقي الذئب، أخذ أغاغوك يصيح مثل جنني راكضاً صوب القطيع. ففترقت الحيوانات مشدوهة وولت هاربة.

استيقظت إريوك مذعورة، ميتة من الخوف وراحت تصرخ وهي تضم

تايابوت الذي كان يصيح إلى حضنها. ثم انتهى كل شيء في لحظة. وتوارت الذئاب في التونдра.

- سأظل مستيقظاً، قال أغاغوك. نامي أنت وتايابوت، سأمكث مترصداً.

وظل جالساً، ممسكاً الصرة بيد والبندقية باليد الأخرى.

- إن عادت، سأقتل واحداً أو اثنين منها.

بعدئذ، وعندما دلّ شخير إريوك على أنها قد نامت من جديد، داهمه النعاس ثانية، فقاومه قدر استطاعته. ولكن جاءت لحظة استغرق فيها هو الآخر، غصباً عنه، في نوم عميق..

أما الذئاب فلم ترجع.



## الثعلب - Tiriganiak

بلغا الخيمة في نهاية اليوم التالي. كان قد ظل من النهار ساعتان. أو أكثر قليلاً.

كانا قد لمحا الخيمة منذ فترة طويلة. نقطة في الأفق أولاً، ثم كلما تقدما، بدت لهما أكبر فأكبر.

عندما وصلا الخيمة، لم ينبسا بينت شفة، ولا تنهدا. وضعا الضرر بتمهل ورسانة، محررين أنفسهما من الثقل. ثم سارا، تلقائياً دون تشاور، صوب النهر.

هناك، تعروا، هو وهي والطفل، وغاصوا في الماء الدافئ الجاري.

مكثوا في الماء وقتاً طويلاً، مستمتعين بالنداوة، مسترجعين رشاقة عضلاتهم الضائعة، منظفين مسامات الجلد من كل الملح والعرق.

كانت الشمس تهبط سريعاً على الأفق، عندما رجعوا إلى الخيمة أكثر خفة.

وقد أحسوا، وكأنهم ارتاحوا من عناء السفر.

- إنني جائع، قال أغاغوك.

- سأشعل الموقد، وأعدّ حساء من لحم الفقمة.

فهز أغاغوك رأسه موافقاً.

ثم قالت إريوك:

- سيطول الوقت، صحيح، ولكن ذلك أفضل.

كان الرجل يحلم بحيوان مذبوح توأ، بأرنب، أو برنة، لايزال لحمها دافئاً مشبعاً بالدم، ليعضه ولينزع قطعاً يمضغها دقائق طويلة متلذذاً بمذاقها.

ولكن كان يتوجب عليه من أجل ذلك، أن ينهض، وأن يجوب التوندرا بحثاً عن بعض الآثار، عن عواء، عن رائحة تحملها الريح. وكانت قواه قد خارت.

- افعلي مايحلو لك، قال لإريوك.

واستلقى على ظهره، يداه تحت قذاله، عيناه مغمضتان.

كان نائماً عندما أعلنت إريوك: الطعام جاهز. لقد أكل بشراهة، دون توقف حتى أفرغ القدر، ولأنه كان لايزال جائعاً فقد التهم شرائح من لحم الفقمة. ثم ضرس بأسنانه الجميلة كتلة من الدهن سحبتها من الصرر.

لم ينهض أغاغوك بعد أن شبع واسترخت عضلاته بفضل الاستحمام في النهر، بل اضطجع على أحد جنبيه وتدحرج حتى دكّة الطحلب واستلقى عليها.

ومن جديد غط في النوم خلال ثوان.

فأطقت إريوك الموقد، ثم أدخلت الصرر إلى الخيمة وحلّت الجلود

الملفوفة، وأسدلتها لتبلغ دعامة السقف وثبتها بالأعمدة. وربطت جبل المدخل ربطاً متيناً ثم استلقت للنوم وهي في غاية الاطمئنان إذ لن يكون بوسع أي حيوان أن يلج.

عندما تفحصت إريوك، صباحاً، جلد الفقمة ذات الزعانف على نحو أفضل، وإذ أدركت كم هي نفيسة هذه الغنيمة، فكّرت بكل مايمكنها الحصول عليه في المقابل، وابتسمت بطرافة لأغاغوك قائلة:

- سنذهب كل سنة لصيد الفقمة.

رد أغاغوك:

- ولكن المسافة طويلة، والحمل ثقيل.

نشرت إريوك الجلد ورفعته ليراه أغاغوك جيداً، ثم وضعت على ركبتيها وراحت تداعبه طويلاً.

قالت إريوك:

- إن الفوز بجلد مثل هذا، بجلد واحد فقط، يستحق السفر. سنذهب كل سنة إن رغبت.

كان أغاغوك ينظف بندقيته.

سألت إريوك:

- هل ستذهب بحثاً عن تلك الرنة؟

- كلا.

- لماذا؟

- توجد ذئاب كذلك في الأرجاء. لقد نفقت الرنة.

- كيف عرفت؟

- عرفت والسلام.

لم تصر. فقد كان أغاغوك يعرف ما الذي ينبغي عمله. في الشتاء القادم

سيقتل العدد اللازم من الرئات، وكانت إريوك واثقة من ذلك. ثم ألم يملكا الآن، لتكوين مؤونة غنية، كل هذا اللحم والدهن من الفقمة، هذا الحمل الذي حملاه أياماً حتى الخيمة؟

نباح مقتضب وحاد دوى في التوندرا، فأسرع أغاغوك إلى خارج الخيمة. وصرخ في الوقت ذاته:

- Tiriganiak!

فعلاً كان ثعلب أحمر، يجري، مدوِّماً في التوندرا، كان يبدو مجنوناً. مكث أغاغوك قريباً من الخيمة ينظر بفضول إلى الحيوان. ثم التحقت به إريوك وهي تحتضن تاياووت. قهقهه أغاغوك فجأة وسأل:

- كنت تريدني دليلاً على موت الرئة؟

- الثعلب؟

- أجل، انظري.

كان الثعلب لايزال يجري، ويتوقف حيناً ليتدحرج على الطحلب. كان يعوي ويئن.

- إنه مجنون! تعجبت إريوك.

تنكّب أغاغوك بندقيته بهدوء، وسدّد على الثعلب ثم أطلق النار. فقفز الحيوان قفزة هائلة ثم سقط هامداً.

- ما الذي جرى له؟ سألت إريوك.

أشار إليها أغاغوك بأن تقترب. وإذ بلغا معاً مكان الحيوان الميت، انحنى أغاغوك وأدار رأس الثعلب وأشار بإصبعه إلى فتائل خضراء تسيل من شدقه المنفرج قليلاً.

- هل ترين هذه؟ إنها مرارة الرئة. لأحد سوى الثعلب الشديد الغباء يشق

كيس المرارة. على أنه حيوان ماكر. ولكنه الوحيد الذي يفعل هذا.

- هل سَمَّته هذه المرارة؟

- لا، ولكن طعمها حَرِيْف شديد المرارة فجنون الثعلب. أما رأيت

كيف يجري؟

- إذن، لقد نفقت الرتة؟

- لدي الآن دليل.

كانت السماء صافية والنسيم عليلاً رقيقاً كيد الروح الخيرة.

- إنك صياد عظيم حقاً، قالت إريوك. لا يوجد من هو أعظم منك في

القبائل كلها.

كانت تلك أفضل مجاملة بوسعها التعبير عنها، وأعمق اعتراف بالحب، وعلى ذلك النحو كانت إريوك تطلق العنان لكلمات تدل على كل الأشياء الأخرى، وتعبّر أيضاً عن حب امرأة وحررتها في أن تكون إلى جانب رجل فائق الشجاعة والمهارة.

- لا يوجد من هو أعظم منك. - رددت إريوك هامسة.

رجعا إلى الخيمة بصمت، وهناك لم تكن إريوك بحاجة إلى أية إشارة كي

ترتمي في الفراش، فيتبعها أغاغوك متألق العينين فوراً.

## الشَّرَه (1) - Kapvik

كان كوخ الزعيم في مركز القرية.

وبما أن رجال القبيلة كلهم كانوا قد ساهموا في إعادة بناء القرية، فقد رأى أندرسون بأنهم، بالاتفاق فيما بينهم، لم ينقلوا مركز التجمع السكني، ولا أبعده زهاء مئة متر كما هو شائع.

كان يتم التفكير عادة بخنادق النفايات. إلا أن الجليد الأبدي والـ Permafrost تحت الطحلب الصيفي بعمق ثلاثة أمتار - وأقل كذلك في الأيام الأولى لهذا الربيع - يمنعان التنقيب عميقاً جداً. وكانت حالة مياه الصرف سيئة.

ألم يكونوا قادرين على حفر المجاري؟ أليس هناك من سبب آخر؟ إنه غني

---

(1) حيوان ثديي من السرعوييات اللواحم. (المنهل).

عن التصديق بأنهم قد ابتكروا بناء سرداب طويل، لإخفاء العمق القليل. كانوا يعرفون تقنية واحدة، وليس بوسعهم التفكير في غيرها.

فكان الأبسط إذن، هو تحويل مكان القرية قليلاً كل سنة.

وربما كان ذلك هو الحل الأذكى حقاً في هذه التوندرا الشاسعة التي لاحد لها ولانهاية، ولاسجل عقار.

تفحص أندرسون الطحلب، واستغرب اختيار القبيلة نصب الخيام في موقع العام الماضي ذاته، التلال والمنخفضات مقابل حُفر بيوت الخلاء والفضلات، كل شيء واضح وضوح الشمس، فلقد اختاروا إعادة بناء الخيام في المكان ذاته.

- لماذا؟ توجه أندرسون بالسؤال إلى راموك.

تمت مشاورات، ومناقشات تقليدية، استبعد عنها أندرسون. وخلال المرتين أو الثلاث مرات التي حاول فيها أندرسون التقرب منهم، والمساهمة معهم في النقاش، لم يفلح إلا في تفريق المجلس.

كان أندرسون مستعداً لسماعهم بأي ثمن، ولكن بما أنهم كانوا يتناقشون في الهواء الطلق، وبصوت خافت إلى حد ما، فلم يستطع أن يباغتهم ولا أن يراقبهم خفية.

أبدى الملاحظة لراموك قائلاً:

- لقد نسيت من أكون. فأنا من واجبي أن أسمع كل شيء تقولونه!

- أعتقد ذلك؟ سأل راموك هازئاً. اذهب إذن وتم في كل الخيام، وتناول

الطعام في كل الخيام، وراقب في كل الخيام! إننا نناقش أمور القرية، وهذا حقنا.

- وإن كنت أرغب في سماع ماتقولونه؟

- لماذا؟

- قلت لك بأن هذا واجبي.

- ناقش مايعنيننا.

كان أندرسون وحيداً في هذه القرية. وحيداً في مواجهة مكر مئات الاسكيمو ودعائهم الهادئ. وكانت الحكمة تملي عليه بأن لا يكون ملحاحاً. وبغته أصبحت للمناقشات مسوغاتها.

إن إعادة بناء خيام القرية، بعد ردم الأكواخ، تراعي طقساً ثابتاً في قرى القطب كلها. إذ ينصب كل رجل خيمته في المكان ذاته الذي كان الكوخ يشغله سابقاً نسبة إلى مسكن الزعيم، حتى في حال نقل القرية. وبهذه الطريقة، ربما تمّ سنّ التسلسل القبلي.

غير أن أندرسون لاحظ، والحال هذه، بأن غوروك الذي كان يظهر شديد سخطه، خلال المناقشات، لم يشيد خيمته إلى جانب خيمة راموك، إنما أبعد، على طرف القرية تقريباً.

إن أي امرئ غير خبير بتقاليد الاسكيمو ما كان سيتفطن للأمر، أما بالنسبة إلى أندرسون فقد بدا ذلك غريباً. لقد كان يعرف عالمه معرفة جيدة تساعده على إدراك ما هو خارج عن المألوف.

وفضّل التحدث إلى راموك الذي قال محافظاً على هدوئه:

- غوروك هو من اختار طرف القرية مكاناً لخيمته.

- ولكنه لم ينقل سكنه طواعية، أعلن ضابط الشرطة أيضاً بهدوء.

- من قال لك هذا؟

- لست أعمى. رأيته يعترض.

عبس راموك قائلاً:

- ها أنك تدعي معرفة أكثر مما نعرف.

- لم يكن غوروك راضياً عن نقل مسكنه.

- إن مشيئة الجميع هي مشيئة غوروك. ولم يستطع بالتالي أن يكون غير

راض. لقد امتثل للأمر.



- أنتم نقلتموه للعيش هناك.

- ربما...

- لماذا؟ هل فقد الحظوة عندكم؟

تردّد راموك لحظة ثم قال أخيراً:

- نعم.

كان راموك يتمنى الإجابة بأي شيء آخر بحيث لن يكون بوسع أندرسون تصنيف أقواله دليلاً أولياً للاثبات. ولكن عندما شاهد أندرسون القبيلة مجتمعة للاستشارة اعتباراً من مساء اليوم التالي، لتوزيع أراضي الصيد، ورأى غوروك جالساً إلى يمين راموك، فقد أدرك بأن راموك إنما قد كذب عليه.

احتل غوروك موقع سكنه الجديد لأسباب أخرى إذن. توقف الضابط عن الاستجواب عدة أسابيع. فترة من حزيران، وتموز بكامله تقريباً. لم يكن مستعجلاً. تذرّع أندرسون، ذات مساء بعد أن حل الليل، بالخروج للترويج عن نفسه خلف الخيام، ثم ذهب إلى خيمة آيالك.

وقرر التخلي عن مصباح الجيب المصنوع من الفولاذ المنكّل للمساعدة على بوح رجل الاسكيمو بالسر.

استمع آيالك، وحيداً في خيمته، إلى أندرسون، وتحدث إليه بصوت خافت. وقد نسي الرجل الـ INUK فجأة بأنه عضو في القبيلة.

كان هناك المصباح!

وكان ثمة أيضاً احتمال عطايا لاحقة - فمن يدري أين سينتهي سخاء الضابط، إذا كانت المعلومات دقيقة؟

هذا من جانب، وهناك جانب آخر أيضاً.

هناك، أغاغوك والفتاة. الفتاة التي ذهب بها أغاغوك، والتي كان آيالك يرغب في أخذها إلى خيمته فيما مضى...

الفتاة الحسنة ذات الفخذين المكتنزتين، والجسم الثخين والوجه المستدير والبشرة الملساء... باغتها أيايالك، ذات يوم، عارية في الكوخ. ومدّ يديه ممسكاً بنهديها الصليين بحلمتيهما الطويلتين طول عقلة الإصبع. ولكنه أرغم على الخروج لأن إريوك ركفته بقدمها. غير أنه لم ينس ذلك أبداً.

أغاغوك، الخائن الذي هجر القرية! إنه واحد من عدة صيادين كانت القرية تعتمد عليهم في تأمين لحم الشتاء، هو من تخلى عن جماعته وهرب مع الفتاة المشتهاة!...

ستحلو رؤيته محجوزاً في شباك الضابط، مخفوراً، مشنوقاً ربما، لأن البيض يشنقون الآن الاسكيمو المرتكبين جرائم القتل.

- لديك مجرفة للحفر! قال أيايالك ببساطة.

- طبعاً.

- عليك باستخدامها.

كانت تلك مناورة، أن تفصح ولا تفصح، أسلوب من أساليب الاسكيمو؟

بصق أيايالك على الأرض، وتابع الحديث:

- أعطني المصباح. وإن كان لديك أكثر من هذا لتعطيني فسأقول لك أشياء أخرى.

ولكن عندما أخرج أندرسون موسى ذات أربع شفرات من جيبه، هزّ أيايالك رأسه قائلاً:

- كلا.

- لقد قلت لي توأ بأنك ستتكلم!

- كلا.

فأشار أندرسون إلى الموسيقى. كان ذلك أول طعام. سيأتي المصباح فيما بعد، إذا ما استحق الإفشاء ذلك.

- خذ... لقد وعدتني.

- ليس اليوم.

- لماذا؟

- غداً. ارجع غداً.

- ولكن لماذا غداً؟

لم يعرف أيالك لماذا. كان لديه إحساس غامض بأن وشايتيه لا ينبغي لها أن تتم دفعة واحدة. بل من الأفضل له أن يوازن بين إفشاء وآخر، وأن يسير خطوة خطوة كمن يسير متحسناً الطريق.

كان يخشى ولاسيما شيئاً واحداً: أن لاتجعله معلوماته الغزيرة موضع شبهة أيضاً. ماذا لو اعتزم الضابط مثلاً، اعتقاله بدلاً من أغاووك؟... لقد وازن أيالك، منذ زيارة أندرسون، بين إيجابيات الوشاية وسلبياتها. وعلى الرغم من أنه كان لا يزال متردداً، فقد رفض العرض.

- تعال غداً، قال أيالك بعينين ماكرتين. وإن علمت أكثر فسأبلغك به.

- ولكن الآن، ماذا تعرف؟

- لديك مجرفة، إذْهَبْ إذن واحفر! اذهب ونقّب.

كان هناك شيء مضمر أدركه الشرطي جيداً. فغادر أيالك بصمت عائداً إلى خيمة راموك.

كان الزعيم يبدو نائماً، وكذلك زوجته «المونتانية». فاستلقى أندرسون على سريره المعد من الطحلب الناشف ونام هو الآخر نوماً عميقاً هائناً لم يعرف له مثيلاً منذ وصوله إلى القرية.

لو علم أندرسون بأن راموك المرتاب والمحتال، قد راقبه، ثم تبعه حتى الخيمة التي استجوب فيها أيالك، ولو علم بأنه سمع حديثهما، فهل تُرى كان سينام هكذا بسلام؟

## إنه لرجل INU - OYOK

لقد نما تاياووت أسرع من طفل أبيض متغنج، من طفل المدن الذي يحرمونه من أدنى مبادرة حيوانية. كان يدب بسهولة تقريباً. كانت يده خفيفتين قادرتين على الإمساك بالأشياء. وكانت سيمياؤه نبيهة، وعيناها متألفتين.

كان يضيف أحياناً إلى الأصوات التي يصدرها من نخير ونقيق، مناداة شبه واضحة. سيتكلم مبكراً، ولكنه لا يختلف في هذا عن باقي أطفال الاسكيمو. لقد عهد إليه، منذ البداية، أمر الاعتياد على تلبية رغباته وتوفير حاجاته، وتعلم، باكراً، التدحرج مستعملاً ساقيه للزحف من هنا وهناك. كان لديه عالم جديد فوق الطحلب، موطن خاص به متحدّد معه اتحاداً ودياً. الحشرات، والنباتات النادرة التي شقت البساط الجديد، وخرير مياه النهر، وبريق الأنوار وانعكاساتها، كل هذا كان في مستوى مداركه.

كان قد تعلم كيف يتحاشى الضرب، أو كيف يتدحرج على يديه وقدميه وهو يصرخ خوفاً عند مشاهدة سمور مسكي يقفز خارج الأدغال في التوندرا. الطفل الأبيض قد يقضي عدة أشهر حتى يبلغ هذه المهارة. ضعف ما يمضيه تاياووت الذي وقف على قدميه لأول مرة لما بلغ عمرة ستة أشهر، في يوم كانت فيه شمس الصيف حارة، والرياح الدافئة تتسرب عميقاً إلى البيرمافروست Permafrost تحت الطحلب. وكانت النباتات الريانة قد نمت وسمت، والزهور تزين التوندرا.

كان أغاغوك يقف باحترام مشدوهاً أمام المولود الجديد، كتلة صغيرة حيوانية لاشكل لها تقريباً، دون صوت محدد، ودون ابتسامة، تأتمر بأمر كل شيء وكل واحد، وكان أغاغوك قد تابع نمو الطفل، مصعوقاً إزاء الولد الصغير الذي تعلم كيف يدب، وكيف يجري على أربع مثل صغير الثعلب. وكاد أغاغوك يفقد صوابه، عندما شاهد الطفل واقفاً يمسك بأحد أعمدة الخيمة ويصيح فرحاً.

فوثب صوب الطفل، ثم تناوله ورفع إلى حضنه وبدأ يجري ويصيح، على طريقة الاسكيمو للتعبير عن العواطف التي تعتلج في داخلهم. كان يجري جرياً دائرياً. مدفوعاً بفرح غريزي وحسب، يصيح دون كلام، صوت حيوان سعيد وعارف جميل. يمكن تشبيهه بكلب أفقدته مداعبة صاحبه الصواب.

وكانت إريوك واقفة أمام الخيمة تصيح هي الأخرى بالاندفاع الغريزي ذاته. كانت تصيح لرؤية فرح أغاغوك، تصيح لمعرفة أن الطفل قد أخذ يمشي خلال فترة قصيرة، كانت تصيح دونما سبب واضح: لأنها كانت على قيد الحياة، ولأن الشمس كانت دافئة، ولأن بعلها كان يصيح.

أمضى أغاغوك لحظات طويلة في تهدئة نفسه. وعندما ارتقى أخيراً فوق الطحلب إزاء الخيمة، كان يلهث مثل كلب منهك.

- إنه رجل، قال متأوهاً. انظري يا إريوك، إنه رجل.

ثم أوقف الطفل ثانية على قدميه، ممسكاً بيديه. فضحك تاياووت الواقف  
لماثرته الجديدة. جعله أغاغوك يتقدم. خطوة، ثم خطوتين، تعثر الطفل، تماسك،  
ثم نهض واقفاً في لحظة.

- إنه يمشي. صاح أغاغوك إعجاباً. إنه يمشي!

قرفصت إريوك قريباً من الصغير. وراحت تغني غناءً عذباً نابعاً من  
أعماقها. وتداعب بطرف أصابعها كتفه العارية.

كان الطفل يتشرب بأشعة الشمس منتشياً ويقهقهه، رأسه مائل إلى  
الخلف، صوته مختلج، جذعه متين وقصير قد تحدّب بسبب الجهد. ساقاه  
مقوستان ولكنهما صلبتان سميتان، عضلاته مشدودة نائمة من تحت البشرة.  
وكان قد بدأ يخطو خطوات متعثرة، إذ لم يكن يعرف كيف يضع قدمه على  
الأرض، ولكنه كان يتقدم قليلاً في كل مرة، أصابعه مشدودة إلى أصابع  
أغاغوك.

انقض طائر من السماء وجاء يحلق قريباً من الخيمة، ثم مال إلى ناحية  
الطفل ومسه بجناحه مساً خفيفاً.

فصاح تاياووت، وإحدى يديه ممدودة في الفراغ، والثانية تركت أصابع  
أغاغوك، ووجد نفسه فجأة دون سند، متأرجحاً في توازن مزعزع، ملتفتاً نحو  
الطائر الذي حلق بعيداً، ماداً إليه ذراعيه.

خلال لحظة بدت عمراً، ظل الطفل على ذلك النحو، صغير ال INUK  
شديد الكبرياء، في التوندرا اللامتناهية.

كان أغاغوك وإريوك مصعوقين إزاء المفاجأة، فكفا عن التنفس، وكأنهما  
توقفا عن الحياة، فلقد تلاشى كل شيء فيهما ليسكن جسد الطفل. لقد باتا  
مشيئة الطفل وتوازنه، ودوام نجاحه وكياسته.

بعدئذ وقع الطفل.

على الأرض في وضع جلوس مريح، اثر سقطة صماء، إلا أن فرحته  
كانت كبيرة، فشاهد أغاغوك دمعين تسيلان على وجنتي إريوك التي قالت:  
- لقد وقف. بمفرده! لقد كان واقفاً... كان يوسعه أن يمشي. لم يساعده  
أحد!

لم يجد أغاغوك سوى كلمة واحدة:

- INUK!

إنه رجل في نهاية المطاف.

## الشرك - NIGAK

لم يذهب أندرسون، على الفور، ليحفر هناك، إلى حيث تقوده ظنونه. لقد كانت وشاية أياليك واضحة، ولكن أندرسون اشمأز من الإسراع الفوري إلى التحقق من التلميح.

وكانت الحاجة ماسة إلى تهدئة شكوك القرية، وكان أندرسون يرغب، على نحو خاص، في أن يجعل راموك يشعر بالأمان على نفسه. فمن أجل تقدم تحرياته حقاً، كان ينبغي أن يثق العجوز بدهائه الشخصي كل الثقة وبهذا الشكل سيتعرض لزلّة. وكان أندرسون واثقاً من أن راموك سيكبو وستزل به القدم.

انتظر أندرسون أسبوعاً آخر. ولأن شيئاً لم يحدث، فقد قرر أن ينتظر ويتريث وكان الحذر يتناقص خلال هذا الوقت كله، وخطوط الدفاع تنهار شيئاً فشيئاً.



إذ بوسع غوروك أن يدخن غليونيه بسلام جالساً عند مدخل خيمته.  
وبوسع راموك أن يتجول مدنناً بغناء رتيب عجيب، من بين أسنانه.  
حياة نباتية، حياة الجمود والسكون. لقد تعلم أندرسون هذا السر الذي  
يكمن في الانصياع لكل ميل فطري إلى الكسل، إلى الارتخاء، وإخلاء البال،  
والكف عن التفكير والتأمل. إن السكون المكتسب هذا يعادل المعالجات كلها.  
فالحياة الخاملة تبطئ من سير الدم، وتريح المملكات. دون أن يهدأ اللاوعي مع  
ذلك.

وها هو ما تبقى يقظاً في داخل أندرسون. جلس وعيناه تحدقان في  
الفراخ. استسلم أندرسون لدفع شمس الصيف في التوندرا، دون إهمال لهذه  
الحاسة السادسة التي ستدعه متنبهاً تماماً بكامل ملكاته المفرطة الحساسية، بمجرد  
وقوع الحدث الكاشف.

ثم وقع أمر يثير الانتباه.

كان أندرسون قد عزم على تجنب أيايالك الذي كان يراقبه هو الآخر بعين  
حائرة حيناً وقلقة حيناً آخر.

كان الشرطي أندرسون يهتم اهتماماً شديداً بخيانة أيايالك. غير أنه كان  
يفضل أن يكشف سر موت براون، بنفسه. وكان يخشى تحديداً من أن تكون  
وشاية أيايالك خدعة من هذا الرجل الطموح، وأن يُرغم، أمام البرهان الذي يبدو  
دامغاً، على اقتياد إنسان بريء في الحقيقة، إلى المركز. وكانت تلك مجازفة لم  
يقدم عليها أندرسون.

كان بوسع أندرسون أن يقيم دليلاً، دون أن يكون بمقدوره - وهو  
الأجنبي المشتبه فيه هنا وسط الاسكيمو الذين يثورون ضد قانون البيض - إقامة  
دليل مضاد، دليل الدليل هذا الذي يجنبه إدانة إنسان بريء.

ولقد بات من المحقق الآن بأن هناك تواطؤاً بين غوروك وراموك. ومحقق  
أيضاً إن لم يكن راموك هو من قتل براون، فإنه يعرف بالمقابل كثيراً من الأمور  
تجعل من المنفعة بمكان مراقبة سلوكه. فضلاً عن ذلك، فقد لوحظ، منذ عدة

أيام، نشاط كبير عند خيمة راموك.

كان كانغواك قد سافر إلى المركز لمقايضة الجلود. وأحضر معه بندقيتين. واحدة لاستخدامه الشخصي، والثانية كان يعرضها للمقايضة. وكان يرغب في اقتناء جلدتين من جلود الدببة البيضاء التي قتلها كولرونا، وهو واحد من مسني القبيلة، في العام الماضي.

ذهب كولرونا حتى بلغ البحر الذي كان قد استحال جليداً في تلك الفترة. فعبر الماء المتجمد حتى وصل إلى خليج «فروبيشير» الواقع في أقصى الشمال. رحلة استغرقت شهرين قام بها كولرونا وحيداً مع كلابه. وهناك قتل أربعة دببة قطبية، ثم سلخها وجلب جلودها. قايض على اثنين مع براون لقاء ماء - الحياة، والملح، والسكر - اللذة الجديدة لدى الشعب البدائي - والطلقات من أجل بندقيته. وكان كانغواك يطمع في الجلدين الباقيين.

- هذه البندقية الأوتوماتيكية، مقابل جلدي الدببة اللذين في حوزتك!

فرفض كولرون الصفقة.

ومنذ ذلك الحين توسّع النقاش وتفاقم. ساهم فيه، بعد قليل، وثرثر اثنا عشر رجلاً في القرية. ثرثروا طوال النهار وناموا ليستأنفوا ذلك في اليوم التالي. كان أندرسون يصغي إلى مايقال بأذن غافلة. وكان كولرون وكانغواك يتبادلان شتائم بذيفة، وبسبب عنادهما المتبادل لم يتنازل أحدهما للآخر.

كان أندرسون يتسلّى في الواقع، فمن هذه الشتائم يتم الانتقال إلى أكثر المجاملات ضعة، وإلى النمايم الأكثر دناءة، والمآثر الأفضل انشاداً. كان كانغواك يريد تلك الجلود. وكولرونا يريد البندقية، ولكنه لايرغب في إعطائه مقابل ذلك سوى جلد دب واحد. كانت المسألة بسيطة: كان جلدُ دبٍ واحدٍ يساوي، على الأقل، ثلاث بنديات، غير أن كانغواك لم يتراجع عن موقفه، وكولرونا كذلك.

لقد سبر أندرسون جيداً طمع الاسكيمو الذي جعل كانغواك يقاوم

مقاومة شديدة. إذ أن جلود الدببة القطبية سلعة نادرة. وثمة في المركز التجاري أناس يعرضون دائماً المقايضة خارج تعاليم القانون. أناس يعطون إبريقين مليونين من ماء - الحياة، بل ثلاثة أباريق، لقاء جلد واحد من هذا الصنف. ذلك ما كان يغري كانغواك، ولأجل ذلك كان من الهام له أن يقتني الجلدين.

أما بالنسبة إلى كولرونا، فقد كان، وفق منطق الاسكيمو عموماً، يطلب سعراً مناسباً، معتبراً رغبته في البندقية رغبة طائشة وغير منطقية إذا ما أرغم من أجل امتلاكها، على التخلي عن هذا الكنز المؤلف من جلدي دين أبيضين. وكان كلاهما يعرفان كذلك المساومة معرفة جيدة، ويعرف ما يمكن الحصول عليه بفضل المساومة. وكان ذلك هو سبب المماحكة.

كاداً أن يتعاركا مرات عديدة، ولم يكن يُسمع في القرية كلها سوى هذا النقاش وكان كانغواك يلارم كرلرونا كظله من وسط القرية حتى الخيام.

أما راموك فقد كان يتحمل اللغظ على مضمض.

فاكتفى، في اليومين الأولين، بتدخين غليونه، جالساً أمام خيمته. كان يراقب الخلاف مصغياً بصمت إلى المساهمين يتناقشان في مزايا حججهما. كان يهز رأسه أحياناً، مبدئاً استحسانه لما يقال. ولاسيما عندما كان يتحدث كولرونا. وبعد أن سئم راموك النقاش أخيراً استدعى كانغواك إلى خيمته. فعزم أندرسون على أن لا يفوت شيئاً مما سيقال.

- لقد ضقت ذرعاً بكل هذه المناقشات! قال راموك. إنك لن تفوز

بالجلدين.

- سأفوز! إن كرلرونا عجوز معتوه.

- لن تفوز!

- لماذا؟

- إنه ليس معتوهاً بقدر ما تتصور. ثم لقد أعطى الأبيض ثلاثة أباريق من

ماء - الحياة، مقابل جلد دب واحد. فلماذا ينبغي على كرلرونا أن يعطيك

جلدين لقاء بندقية لانكاد تساوي أكثر من إبريق من ماء - الحياة؟

- أعرف، ولكنني سأفوز بهما على الرغم من ذلك.

- لن تفوز.

بعدما انصرف كانغواك، اقترب أندرسون من راموك.

لامجال الآن للاسترخاء ولا للخمول. لقد كان أندرسون متحفظاً تحفظاً كاملاً. فالخطوة الأولى قد تمت توأ.

- الأبيض الذي أعطى ثلاثة أباريق من ماء - الحياة، مقابل جلد دب قطبي

واحد، سأل الشرطي، هل كان إسمه براون؟

استعاد راموك هدوء أعصابه.

ولاشيء أكثر، ولم يظهر أي أثر ولا أي انفعال على وجهه المنتفخ ذي

العينين المغوليتين. لقد انمحت نظرتة، وخلت تماماً عيناه المتألفتان من أي ارتباك.

- لأفهم ماذا تريد أن تقول، دمدم راموك.

عبثاً حاول أندرسون الماكر أيضاً، سحب بعض الأشياء من الرجل. فقد

اعتصم راموك بالصمت بعد أن أدرك الخطأ الذي وقع فيه. وأضاع أندرسون

وقته سدى. غير أنه تأكد الآن من صحة ظنونه. لقد جاء المهرب الأبيض إلى

هنا. وكان ذلك أول دليل لا بد من إثباته.

كان براون يمارس التهريب في هذه القرية.

لم يكذب الرجل «المونتانيه» إذن. ولقد أحرق أحدهم هنا مهرب ماء -

الحياة.

- غداً، قال أندرسون، هل تعلم ماذا سأفعل؟

استدار راموك بنظرته الفارغة نحو أندرسون.

- غداً، سأحضر تحت خيمة غوروك الجديدة، وسنرى جيداً على ماذا

سأعثر هناك...

## الروح الشريرة - AGIORTOK

اكتشف أغاغوك آثار أقدام الذئب ذات صباح باكر في هذا الصيف.  
كان قد خرج، في الفجر، لرغبته في اصطيد بعض الأسماك في النهر.  
وكان تاياووت لايزال نائماً قريباً من والدته.

كان كل شيء ساكناً في التوندر، كان الهدوء وكان السلام.

رأى أغاغوك، فوق الطحلب الناشف أمام مدخل الخيمة، أثرين جد  
واضحين لبرئين أمامين لذئب. وسار الحيوان، بداهة، قريباً من النهر، حيث  
كان الطحلب مبللاً. كانت الآثار معتمة ولا تزال رطبة. ففرص أغاغوك  
ليتفحصها على نحو جيد.

كان واضحاً بأنه ذئب ضخيم وطويل. كانت الآثار واسعة والقوائم  
سليمة، والاصبعان الكبيرتان مفرشختين، وكانت نتوءات جلد الأصابع قد

تركت على الطحلب الرقيق أثراً أملس، وهذا ما كان يشير إلى أن الحيوان كان فتيماً.

ولكن كم كان يبدو هائلاً، وكم كانت خطواته واسعة!

على أنه لم يكن يجري لحظة تركه هذه الآثار. إنما كان يسير متمهلاً حذراً. إن قوة أثر القوائم الخلفية، والعمق البسيط لاصبع القائمة الأمامية الكبيرة، كان برهاناً دامغاً على ذلك.

ماذا جاء يفعل قريباً هكذا من الخيمة؟

لو كان ذئباً عجوزاً، أو وحيداً لكان الأمر مبرراً. أما هذا الحيوان الفتى؟

الذئب الفتى يصطاد عادة مع القطيع، حتى في التوندرا. فإن كان أغاغوك مصيباً دائماً، وإذا كان هذا الذئب هائلاً كما يتضح من خطواته، فلا بد والحال هذه أن يكون زعيم قطع، ملك رهط دون منازع!

ما الذي كان يفعله إذن، وحيداً شديد القرب من الخيمة؟ فلم يحدث قط أن اقترب ذئب على هذا النحو من مسكن مأهول. الذئب يأتي متشمماً على مقربة خطوتين من الناس النائمين. والثعلب يجازف إن كان ثمة غنيمة يختطفها على حين غرة. ولكن الذئب، أبداً! قد يهاجم خيمة، أو مأوى ليلة واحدة، ولكنه يظل على بعد معقول من خيمة مسكونة تنفوح من حولها رائحة الإنسان. فضلاً عن ذلك، فهو لا يأتي أبداً في فصل الصيف، عندما يكون الصيد وافراً، وهو لا يشكو جوعاً.

هكذا كان يفكر أغاغوك وهو يتفحص آثار قوائم الذئب، ثم راح يقتفي الأثر، مثل حيوان، على الأربع. وهناك حيث كان الطحلب أشد رطوبة، كان يصعب عليه تتبع الأثر، غير أن عينيه كانتا متمرستين، وكانت أصابعه تجس الأرض باحثة عن الانخفاض الناشئ عن ثقل الحيوان. وعلى هذا النحو استطاع أن يقتفي سير الذئب خلال عشرة دقائق. في مكان أبعد قليلاً، كان الذئب قد بدأ يجري. إذ كانت الآثار متباعدة.

كان الذئب قد جاء إلى أمام الخيمة، ثم دار دورة طويلة للذهاب إلى النهر. وهناك شرب الماء، ثم انصرف شمالاً. لم تكن هناك آثار سوى آثاره. كان وحيداً، تأكد أغاغوك من ذلك.

وحيداً، فتيماً، في تناول أيادي أناس نائمين؟

فانتاب أغاغوك قلق عميق، لأنه شاهد فوق الأجمة القريبة من النهر، حيث مهّد الذئب العقبات أمام طريقه للشرب، شاهد ويراً أبيض معلقاً بالأشواك. أبيض ناصعاً، دون حواش رمادية.

لم يكن ذاك الوبر إلا لهذا الحيوان، لأن ذئباً يمهد العقبات لايسير على دروب سارت عليه حيوانات أخرى.

ذئب أبيض ضخّم...

وكان أغاغوك واثقاً الآن من ضخامته. فلقد أكدت كثرة الآثار، تأكيداً جلياً على صحة ظنونه، ذئب أبيض ضخّم، ذئب فتي وجسور كفاية كي يأتي متشمماً خيمة مأهولة.

إلام يشير هذا اللغز؟

أيقظ أغاغوك إريوك وحكى لها عما عثر عليه توأ. فوافقت إريوك على أن الظاهرة، إن لم تكن لغزاً، فهي غير مألوفة على أي حال.

- ماذا ستفعل؟ سألت إريوك.

- سأنصب الفخاخ.

اعترضت إريوك.

- إنه ذئب فتي! وجسور. وواضح من سلوكه، نظراً إلى الإهتمام الذي أبداه في القيام بدورة كبيرة قبل الذهاب للشرب، إنه ذئب مراوغ.

هزّ أغاغوك رأسه مردداً:

- سأنصب الفخاخ. وقد لايجدي هذا نفعاً.

خرج تاياووت، على الأربع، من الخيمة. فراقبه أغاغوك متجهماً. كان قد سمع أغان، غناها كبار القبيلة عن مغامرات قديمة...

- الصغير... قالت إريوك.

- ماذا به، الصغير؟

لقد تظاهر بالسذاجة. ولكنه أدرك وغصّ النظر. بعيداً، بعيداً جداً في التوندرا كانت رثة تجري. ثم شاهدها أغاغوك تسقط فجأة. وهناك حيث سقطت، نقطة بيضاء - ولكن لاشيء، إحساس، رقة جفن - وكأنها تحركت. صاح أغاغوك:

- هناك، الذئب الأبيض! لقد قتل الآن رثة.

لقد كان ذلك عند الأفق، مسافة سير طويل، ولكن في التوندرا الشديدة التماثل، والتي تكاد تخلو من التحدبات، يمكن للمرء أن يتبين حركة. قلة فقط تملك عيوناً متمرسية مثل أغاغوك، بوسعها التمييز بين سكون سحابة، وسير إنسان، وجري رثة... وهذه النقطة البيضاء.

- الذئب، همس أغاغوك مصعوقاً. إنه يمكث قريباً من هنا.

- إنه يريد الصغير. يريده هو، وهذا ما أحس به. قالت إريوك.

ولمست صدرها مضيفة:

- أحس به هنا... تذكر القصص، يا أغاغوك...

كانوا يحكون أن الذئاب الوحيدة تحوم على هذا النحو، حول الأطفال الذين تختطفهم.

- كلا، يا إريوك، هذا مستحيل. إن الذئب لم ير تاياووت. ولا يعرف بأنه

موجود هنا.

- كيف تقول هذا؟ كان بوسعها أن يترصد من بعيد. هل راقبت التوندرا

أمس، أو في الأيام الأخرى؟

- كلا.



- لقد اشمتم رائحته. جاء إلى هنا مصادفة...

- جاء مصادفة، قريباً جداً من الخيمة؟ قاطعها أغاغوك.

- أرايت؟ إن هذا يؤكد صحة كلامي. لقد اشمتم رائحته. من بعيد ولكنه

اشتمه.

- كلا.

- لقد رآه. لقد تحين الفرصة. ولا يزال.

يقول البيض بأن رائحة الاسكيمو الزنخة تصطاد الذئب. ولكن إنساناً

صغيراً، INUK صغيراً، لاتفوح منه سوى رائحة لحمه الناعم...

لم يكن أغاغوك أكثر اطمئناناً من زوجته. ولئن كان ينبغي كلامها هكذا بحزم فلرغبته في تهدئتها. ثم دخل الخيمة وتناول بندقيته. وتأكد من وجود ست طلقات في المخزن، ثم من علامة التسديد التي ركزها على غصن قريب من النهر. انطلقت الرصاصة فطار الغصن منشطراً إلى جزئين. وجرب السلاح مرات عديدة مجهزاً ديك البندقية، وإذ تيقن من سلامة البندقية أسندها إلى الخيمة قائلاً:

- سأنتظر هذا الذئب.

- لن تنصب الفخاخ إذن؟

- لقد غيرت رأبي. إنها مضیعة للوقت.

وتناوبا في الحراسة طوال النهار. كانت إريوك تراقب الطفل وهو يلعب فوق الطحلب، وحين يتحتم عليها أن تؤدي عملاً داخل الخيمة، ينوب عنها أغاغوك.

وكان أغاغوك يذهب، في لحظات فراغه، كي يتفحص فخاخه المنصوبة للسمور المسكي على طول النهر، على مسافة قريبة من الخيمة. ولكنه ظل يراقب التوندرا بطرف عينيه.

أي حيوان هذا؟

والأسئلة ذاتها دائماً: أين هو القطيع؟ لماذا الوحدة؟ ذئب زعيم، ويهيم وحيداً؟ على أنه لم يكن جريحاً، آثاره تدل على ذلك. أسئلة عديدة دون إجابة، ومضى النهار دون أن يعود الذئب.

ثم أقبل الليل. وراح أغاغوك يحرس. حراسة معذبة ومتحفزة ومتوترة. بقي في الخيمة، ولكنه رفع الجلد الذي كان يسد المدخل - عادة - عالياً. ليكتشف، عند الاقتضاء، قدوم الذئب.

كانت السماء مزدانة بالنجوم، وكان القمر قد رسم قوساً خفيفة على الأفق. ولم يصدر عواء عن أي ذئب في التونдра، الأمر الذي بدا غريباً بحد ذاته، لأن القمر عادة ما يهيج عواها.

أيكون ذلك بسبب وجود هذا الذئب الذي أفرغ القطيع على هذا النحو؟ جزعاً، سهر أغاغوك. ثم غاب القمر، وانتصف الليل. ولم يبق سوى ضوء النجوم الباهت، وسارت الساعات بطيئة.

لم يضعف أغاغوك لحظة واحدة في حراسته حتى مطلع الفجر. وأمسى الضوء الخافت ورياً ومصفراً، فلقد أشرقت الشمس من خلف الأفق.

وحلّ النهار، وكان ترصد أغاغوك دون جدوى، هكذا كان أغاغوك يفكر على أية حال، وهو خارج لينشط ساقيه في الصباح المشرق.

ولكن عندما التحقت به إريوك ودار معها حول الخيمة فقد شاهدا خلف المسكن آثاراً لاتزال حديثة. حتى أن الذئب كان قد رفع جلود الخيمة بخطمه قليلاً من فوق الأعمدة، ومن الناحية التي ينام فيها تاياووت.

## الساحر - ANGATK'O

إن خيام القرية في التوندرا هي مخروطيات غريبة أشبه بقرى النمل مشيدة على نحو دائري، خلف كل واحدة منها ثمة خندق للقمامة وحفرة يقضون فيها حاجتهم وهم معلقون في حالة توازن صعب، بينما تجري الكلاب الطليقة دائماً بين سيقانهم.

في الدائرة، داخل نطاق الخيام، يلعب الأطفال ألعاب صيد الفقمة، أو الإيقاع بذئب جريح أو سلخ رنة. ألعاب مشابهة لحياة الغد، ضرب من ضروب البلوغ المبكر، تمارين من أجل حياة الشقاء التي تنتظرهم.

صياح وضوضاء وجري.

النساء جالسات أمام العتبات يمضغن الجلود، ويخطن المعاطف بإبر عاجية كبيرة، ويهرسن السمك المجفف. ويدخن اللحم أو يجففه ليصار إلى تقديده.

وهنا أو هناك توجد قِدر فوق النار حيث يسخن الدهن. وهو ما سيكون وقود الشتاء الذي سيحرق في المصباح الحجري - الحاجة التي لاغنى عنها في الأكواخ، والجسر الضيق والحساس بين الحياة والموت. الإنارة، الطبخ، كل شيء نابع من هذا المصباح، من نار الدهن المصفى، المحول زيتاً لايتجمد إلا في الشتاء، يحفظونه في مكان عال كتلة صلبة. محمية من السرقة. ومع القديد وجلود الرنة التي فصلوا منها سترات تُلبى الحاجات الضرورية الثلاث: الغذاء، والدفء والنور.

كان كانغواك يبدو مستسلماً، وكولرونا لايزال محتفظاً بجلود الدببة القطبية. وكان يبدو أن الهدوء قد عاد ليخيم على القرية. ولكن منذ أن أشاع راموك بأن شكاً يساور الشرطي، وبأنه عثر على دليل أكيد، فقد سكتوا في القرية بانتظار ما سيحدث.  
لقد تمَّ تحذير غوروك.

فرفض، في البداية، السماح لأندرسون بالدخول. ظل واقفاً هناك. جلمود صخر، حاجزاً منيعاً مثل قلعة. سدّ مدخل خيمته الجديدة، جالساً بعيداً عن الآخرين، في مكان لايرفضه العرف.

كان أندرسون يلح، بالأحرى يأمر:  
- دعني أدخل.

وظل غوروك ساكناً. وجهه خال من أي تعبير. بسمه هازئة في طرف شفته، بسمه خفية إلى درجة أن الأبيض - ربما - ما أحس باساءتها. كان الاسكيمو يشاهد تجمع الرجال.

أغوتاك، وسيكسيك، والعجوز نادلواريوك، وهالا، وتوغوغاك، وكانغواك وأياليك وأويلاك وهابيلوك، القبيلة كلها تقريباً.  
حدس أندرسون مايجري.

اقترب الرجال بصمت، ولكن شيئاً ما، ربما الرائحة الزنخة، نبّهه إلى وجود الرجال من خلفه.

فالتفت إلى الورااء.

كان نصف الدائرة يكاد ينغلق عليه.

وفي الأعلى كانت الشمس حارقة دائماً والجو ساكناً. ورطوبة التوندرنا تتصاعد من الأرض بخاراً فاسداً.

أفق مرتعش ومتذبذب ومبهم. والسهل مختفٍ تحت ستار من الضباب هناك، يغلق دائرة العالم مثلما انغلقت دائرة الرجال.

قدّر أندرسون الضربة.

فقد كان هنا وحيداً وشديد البعد عن مركز عمله. وعلى الرغم من أنه كان مزوّداً بصلاحياته، فقد كان تحت رحمة الاسكيمو.

- ماذا تريدون؟

نفش ريشه في برّته النظامية والزرقاء اللصوقة.

تجمّد الـ INUIT ومكثوا ثابتين في وضعيتهم.

- إنني أتناقش مع غوروك.

- ومعنا أيضاً، قال هالا.

كان هالا يبتسم بمفرده، ابتسامة هازئة خبيثة. ثم بصق على الطحلب. كان يحمل في يده مدية من صنع البيض ذات نصل طويل من الفولاذ الجيد، زرقاء مشحودة مثل موسى حلاقة.

كان الشرطي متردداً. كان بوسعه، على الأرجح مقاومتهم. ولكن هل كان سيبلغ هدفه حقاً. فالعثور، كما يقال، على عظام الميت تحت خيمة غوروك لا يدل على شيء. موت براون؟ إنه متأكد منه، حتى دون الحصول على دليل. ولكن اكتشاف بقايا جثة براون المحترقة تحت خيمة غوروك لا يعد تهمة له. كان أندرسون يدرك أن هذه الخيمة قد نصبت بعد القتل، وإن غوروك ما سكن هناك إلا بأوامر من راموك.

ولم يكن بوسع أندرسون أيضاً أن يلقي المسؤولية على راموك.  
فلم يفعل راموك شيئاً سوى ممارسة صلاحيات الزعيم، وبإمكانه دائماً أن  
يتظاهر بالسفاهة.

على أن أندرسون كان يعلم جيداً بأن العثور - فقط - على برهان دامغ  
على موت براون، بما في ذلك البرهان على القتل، لن ينفعه في العثور على  
القاتل. لقد تم الوصول إلى نهاية الطريق، الهدف، المرحلة الأخيرة، هي  
اكتشاف الجاني. فلو قاوم أندرسون، والحال هذه، رجال الاسكيمو المجتمعين  
أمامه لكان من شأن ذلك أن يثير استيائهم. وكاد أن يزعج أياك بالمناسبة  
ذاتها. يتعذر عليك أن تلعب دور الأقوى؟ لم يبق أمامك إذن سوى أن تلعب  
دور الأدهى.

وأن تعرف، بعدئذ إن كنت ستفوز في مقاومة الرجال. كومة عظام فوق  
التوندرنا وسهول القطب الثلجية، ستكون البقايا الوحيدة لرجال الشرطة  
المتهورين. يعدّ الهروب أحياناً «ثلثي المرحلة».

فاسترخى أندرسون، مسنداً مجرفته على الخيمة، ثم مرّر إبهاميه على  
حزامه قائلاً:

- إذا تطلب الأمر، فسأملك سنة في قريتك. وما أريد كشفه سأكتشفه  
فخفّ التوتر في نصف الدائرة المنذر.

وارتسمت ابتسامة خفية على وجوههم. لقد نال موقف الأبيض  
إعجابهم. هل أراد أن يحتال؟ هذه لعبة يعرفونها جيداً. لقد فكّوا الصف قليلاً.  
أعاد «هالا» مديته إلى غمدها المجهز على ساق السروال.

ابتسم أندرسون قائلاً:

- كنت تفكر في قتلي؟

- أجل، أجاب هالا بهدوء. كنت أفكر في ذلك.

- ولكنك لو فعلت ذلك، شرح الشرطي كان سيأتي الطائر الكبير. وكان

سيهبط قريباً من القرية. وكان سينزل منه رجال يحملون البنادق. كانوا سيدخلون خيامكم. ويأخذون لحكمكم المقدد، والزيت والشحم والأسماك. وكانوا سيضعونها كلها في الطائر الكبير. بعدئذ كانوا سينتظرونكم حتى تتكلموا. وإذا رفض أي منكم الإقرار بالجريمة في نهاية اليوم الثالث. كانوا سينصرفون آخذين معهم مؤونتكم.

- وإذا تكلمنا، قال هالا بصوت مضطرب بعض الشيء.

- كانوا سيعيدون لكم المؤونة، ولكنهم كانوا سيقتادون الجاني.

- إلى أين؟

- إلى مدينة البيض. كانوا سيحاكمونه، ثم يضعون حبلاً في عنقه ويشنقونه.

ضحك هالا ضحكاً هازئاً.

- بالنسبة إليّ، كنت سأقفز من الطائر الكبير إلى الأسفل.

- ولكنه يطير عالياً جداً. كنت ستموت.

- غير أنهم كانوا سيتغنون باسمي في القبائل كلها. حتى قبائل ظهر الأرض.

لم يعرف أندرسون بماذا يجيب على منطلق من هذا النوع. فعاد إلى خيمة راموك. كان الزعيم يراقب المشهد من بعيد، وعندما وصل أندرسون نظر إليه الاسكيمو نظرة ساخرة.

- هل رأيت ماذا فعلوا؟ سأل أندرسون.

- هزّ راموك رأسه مجيباً:

- لم أعد شاباً. كنت، فيما مضى، أرى من بعيد جداً. أما الآن فلم أعد كالسابق. ثم مدّ يده، ورفعها مقابل عينيه مضيئاً:

- لأأكد أرى يدي، إنني رجل عجوز.

شقّ على أندرسون أن يكتّم غضبه.

- أنت لست أكبر مني سنّاً! ولو كنت أملك نظراً مثل نظرك لكنت سعيداً. إنك ثعلب.

أوما راموك برأسه موافقاً بشيء من الخيلاء.  
- هذا صحيح.

- إن رجال قبيلتك متهورون. لقد هدّدوا الشرطي. لن أنسى ذلك. وحذار من أن يرسل زعيم البيض الأكبر فوجاً من الجند لمعاقتكم جميعاً. إنني أنبهك بأن صبري أوشك أن ينفد!  
فهز راموك كتفيه قائلاً:

- لأحد يمنعك من الإنصراف. أنت من يرغب في البقاء.  
- أجل، قال أندرسون حانقاً. وإن استدعى الأمر أن أمكث هنا سنة، فسأأمكث.

همس راموك بصوت رخيم:

- عندما يأتي الشتاء. سنبنني لك كوخاً، وسيهيك هالا ابنته. فهي تقول بأنها تحب مضاجعة البيض. لقد فعلتها عدة مرات في المركز التجاري. ستعجبها أيما إعجاب.

وستمضي شتاءً جميلاً.

في قمة الغضب الذي لم يستطع، لسوء الحظ، التعبير عنه، كان أندرسون أحمرّ ومحتقناً.

- ستري ما سأفعله بك يا راموك، قال أندرسون بعد أن فقد السيطرة على نفسه، ستري! لأعرف بعدد من الذي قتل براون، ولكنني أعرف أنه واحد من هنا. وسأكتشفه. وستدفع القبيلة كلها ثمن هذه الجريمة!

ظل راموك هادئاً.



- لأعرف إلا القليل من قوانين البيض. والقليل الذي أعرفه لا يشبه ماتقوله. إن كان ثمة جان، فسيعاقب هو وحده. أما قبيلتي فلا تستطيع أن تتهمها بشيء.

- بل بوسعي اتهامها بالتستر علي الجاني!

لم يفكر راموك بهذا الخيار فقال متلعثماً:

- ستعاقب الأم التي تريد حماية طفلها؟ والأب الذي يدافع عن ابنه؟

ثم استدرك بحيوية: «والزعيم الذي يزود عن قبيلته؟».

كانت النبرة التي اتخذها راموك نبرة جديدة. حُيل لأندرسون بأنها تنم عما يشبه الانفعال ممزوجاً بالتوتر.

في الخيمة صاحت زوجة راموك «المونتانيه» صيحة مخنوقة. ولكن الكلمة قيلت. وسمعتها أندرسون جيداً.

وقرر في الحال، دفع أياليك إلى الخيانة، واستغلال الرجل وشراء ذمته. فقد كان الإنتظار مغيظاً. ودهاء الـ INUIT الهادئ فعالاً. ولا بد، للحصول على نتائج سريعة، من الاعتماد على أياليك.

فمن يدري، ربما أبلغ الرجل عن المذنب.

## مطاردة الذئب - AMARSIOKGOK

لقد أعقب الهدوء الذي كان يتمتع به أغاغوك وإريوك، على ضفتي النهر،  
قلق شديد وذعر وألم.

الذئب الأبيض.

ففي حين اعتقد أغاغوك بأنه قد أنجز، خلال الليلة ذاتها، واجبه كاملاً  
بتشديد الحراسة المتيقظة، كان الحيوان قد اقترب وكاد يختطف تاياووت...

- ولكن لماذا تاياووت؟ لماذا الصغير؟

أمضت إريوك نهارها، بندقيتها في يدها أو على فخذهما أثناء العمل. لم  
تدع الطفل يلعب حيث لم يكن بوسعها مراقبته، ومراقبة التوندرا في الوقت  
ذاته.

كان بمقدور الذئب أن يثب من كل الاتجاهات.

دأب أغاغوك، من جانبه، على صيد السمك من النهر، وعلى المرور  
بفخاخه.

كان يعمل بضراوة غاضبة. سعد الضفة ثانية، حرر غنيمة من الفخ، ثم  
عاد إلى المياه الراكدة، واصطاد سمكة.

وكانت حركاته متقطعة دائماً وعنيفة. كان يكابد غضباً شديداً، غضباً  
يستبد به كلما أدرك بأنه أمام قوة لا تُقهر.

أهذا الذئب، قوة لا تُقهر؟

ذئب وحيد؟

على أن الحيوان يُقتل برصاصة واحدة!

ولأول مرة في تاريخ صيده، أحس أغاغوك بنفسه مهزوماً. كان شيء  
غامض يحدث في التوندرا. لقد انتهكت قوانين الطبيعة. ذئب فتي لا يكون أبداً  
وحيداً، أما الذئب الأبيض فكان كذلك. والذئب لا يأتي ليتشمم الناس  
المقيمين. أما هذا الذئب الأبيض فقد فعل ذلك.

في حين استنفد أغاغوك حواسه كلها: سمعه الحارق، ونظره القططي  
الثاقب وحاسة شمه التي كانت تميز، على بعد ثلاثمئة خطوة، الثعلب عن  
الذئب والسمور المسكي عن الفأر المسكي، وفي حين شدّد، وهو في كامل  
تيقظه، حراسته الليلية، جاء الذئب على مرمى ذراع، وكاد ينجح في اختطاف  
الصغير!

اختطافه نهائياً! فماذا كان بوسع جري أغاغوك البشري ذي القدمين  
والشديد البطء نسبة إلى حيوان سريع، أن يفعل إزاء هروب ذئب؟

إلى أي مصير أسود كان الذئب الأبيض سيقنات تاياووت؟

تاياووت الفرخ والغنى، الفرخ الأوحده، والغنى الأكبر. تاياووت، الذي  
من أجله كان أغاغوك سيتخلى عن جلد جسمه، ودم عروقه، وقوته وبقائه.

لم يكن الذئب الأبيض حيواناً من حيوانات التوندرا. ولا من حيوانات الطبيعة. إنما كان روحاً شريرة، جاءت لتتكد على أغاغوك حياته.

أمن أجل ذنب كان ال INUK قد اقترفه؟

ولكن أي ذنب؟

إنه لم يرتكب سوى عملٍ فيه التباس. عمل لم يعد حتى الآن، حقاً، عملاً شريراً. موت براون؟ ولكن الرجل حاول سرقة أغاغوك. لم يكن ذلك إلا انتقاماً عادياً، وثأراً استحسنته ضمير أناس الاسكيمو، استحساناً تاماً.

لماذا تستبسل الأرواح الشريرة ضده، لأنه خلّص، إجمالاً، العالم من مهرب شرير؟ لم يعاتبه أحد على فعلته. إذن - وكم من آلاف المرات سي طرح هذا السؤال نفسه - فما هو السبب في وجود هذه الروح الشريرة في السهل؟

ولماذا ترغب، خاصة وقبل كل شيء، في الهجوم على الصغير؟

فما عاد لدى أغاغوك أدنى شك في: أن الذئب الأبيض إنما يحوم حول تاياووت، وأن ما يريده هو الطفل. حدس غريب في قلب الاسكيمو لم يكن يكف عن التنبؤ بأن الذئب سينجح ذات يوم، وبأن تاياووت سيهلك.

وكانت تلك هي القوة التي كان أغاغوك يخشى أن لا يتغلب عليها أبداً.

الروح الشريرة L'agriortok متخذة شكل الذئب ستكون أقوى منه.

كان أغاغوك، عندما حل المساء، يتميز حنقاً. فقال لإريوك في أثناء

العشاء:

- سأقتل هذا الذئب، الليلة.

لو كان واثقاً حقاً من كلامه، لما قال أكثر من ذلك. ورأت المرأة تحيراً جلياً في نظرتها.

كان يتحدث بحزم، ويُظهر البسالة، ولكن الحيرة كانت تعظم في داخله، ومع الحيرة، الغضب. غضب عديم الجدوى، بل مؤذ ساعة المعركة.

ثم أقبل الليل.

وكانت الشمس ساكنة في الأفق. كان شريط ساطع واسع لا يختفي في ليالي الصيف كلها. كانت شمس منتصف الليل هذه تقص الأخيلة بدقة فوق السهل، وتنير كذلك، تاركة ظلاً خفيفاً شقيقاً في التوندرا. أما في السماء المقابلة للأفق الشرقي، فكانت النجوم تتلألأ في الظلمة.

قدّر أغاغوك حظوظه. وظل جالساً يفكر قريباً من النار.

- كيف ستقتل هذا الذئب؟ سألت إريوك أخيراً.

- إنه ليس كبقية الذئاب. سأخذ بعض التدابير.

ثم نهض وتناول، من كتلة على الأرض، جلد رثة. وفي مكان قريب من الخيمة كان ثمة كومة من قرون الرثة، أشبه بمدفن من حيث يمكن أخذ القرن النافع عند اللزوم.

وذهب أغاغوك إلى هناك وتناول قنزعة شبه سليمة.

كانت إريوك تراقبه واقفة أمام الخيمة.

- انتبهي إلى الصغير! صاح أغاغوك.

فدخلت إريوك مذعنة إلى الخيمة.

وضع أغاغوك الجلد على ظهره. وتمدد بطوله على الأرض. ثم اعتمر القنزعة. وثبتها جيداً بخيط متين.

مرتدياً زياً مضحكاً، تظاهر أغاغوك بمظهر رثة نائمة في الليل، في حين أنه تنكب، تحت الجلد، بندقيته التي كانت سبطانتها لاتكاد تلاحظ.

- إريوك!

كانت الظلمة قد ازدادت حلكة على مستوى الأرض. ومن الخيمة كان يشع وميض المصباح المحاط بالدخان.

- ضعي الطفل في حضنك، قال أغاغوك. لاتدعيه خلفك.

حملت المرأة تاياووت على وركها، واقتربت من الكتلة المعتمة وسط القرون المنصوبة التي كانت تخفي زوجها.

قال أغاغوك:

- لأستطيع رؤية كل شيء من هنا. فالخيمة تحجب عني مكاناً كافياً قد يأتي منه الذئب دون أن أشاهده. احرسني أنت في الداخل أيضاً. أرقدي الصغير قريباً من المدخل. ثم افتحي جلود الباب قليلاً، شقاً... راقبي التوندرا هناك حيث لأستطيع مراقبته. لديك بندقيتك، اطلقي النار إذا ما ظهر الذئب.

- أراقب طوال الليل؟

- أجل. وطوال ليال إذا ما استدعى الأمر ذلك.

كان ذلك شيئاً أخرق. فليس بوسعهما المراقبة على هذا النحو، نهراً بعد نهار، وليلاً بعد ليل. غير أنها طأطأت رأسها وعادت إلى الخيمة دون كلام. وانطفأ النور بعد مضي لحظات، فلم يبق سوى هدوء التوندرا، ورصد أغاغوك الثابت، وترقب إريوك داخل الخيمة.

وعلى السرير الطحليبي، كان الصغير ينام هادئاً مبتسماً في غفلته السعيدة.

## الجزارون - PILAYI

كان الجوهري في هذه الأصقاع العجيبة هو الخيلة.

شرط الحياة، وشرط البقاء. أن تواجه خيلة الحيوانات التي تجني منها كل شيء، بحياتك الإنسانية الخاصة، المنحطة عمداً إلى مستوى حيواني.

فبالنسبة إلى راموك، كما هو الأمر بالنسبة إلى أغاغوك في ترصده الذئب الأبيض هناك، ليس ثمة مخرج سوى الخيلة. إنه يمارسها أياماً كاملة، شهراً بعد شهر بحضور ضابط الشرطة المفرط الفضول، وأناسي قبيلته ومن فيها من شيوخها.

كانت القرية نائمة برمتها باستثناء أندرسون.

كان يتظاهر بالنوم، بل شخر. كان لا بد من أن يحس راموك بالإطمئنان. وعلى السرير الطحليبي، تكبكب أندرسون ينتظر ووجهه إلى كوة الخيمة.

لم يكن بحاجة قط إلى مقاومة النوم. كان يترصد وحواسه في حالة تأهب. حتى أن أدنى حركة صادرة من المرأة «المونتانية» كانت تثير أعصابه. كان الليل قد تعمق عندما تحرك راموك تحركاً خفيفاً، حركة لا تكاد تلاحظ في الخيمة، فتوقف أندرسون عن التنفس.

في الخارج حدثت حركة أخرى منسجمة، كما يقال، مع حركة راموك. وتأكدت ظنون أندرسون. فقد تشاور راموك، بصوت خافت، مع غوروك طوال مابعد الظهر. ولم يستطع رجل الدرك أن يفهم ما قيل، ولكن الطريقة المتوترة التي كان راموك يشرح فيها بعض المسائل في تلك اللحظة بالذات، وشكل غوروك المضطرب، كانا يشيران إلى دسياسة محتملة. إن الحدس هو ما دفعه إلى اتخاذ قرار بالسهرة. وفي انتظار أياليك كان أندرسون يراقب راموك مباشرة وعن كئيب، إذ كان يعيش وينام تحت سقفه.

لقد أدرك راموك جيداً، بأن عبارة النحس التي قالها، قد أثارت شكوك أندرسون، كان ذلك قليلاً، وكثيراً في آن واحد.

كان مرافق المهرب «المونتانية» قد تكلم في مركز الشرطة عن زيارة أغاغوك للقرية، أغاغوك الذي يسكن، ظاهراً، خارج القبيلة. ولكن «المونتانية» لم يعط أية إيضاحات، فهو ذاته يجهل هوية أغاغوك ومكان إقامته.

من جانب آخر لم يستطع أندرسون، منذ وصوله إلى القرية، أن يعرف شيئاً ذا أهمية عن أغاغوك، باستثناء أنه ابن راموك، وأنه يعيش في مكان ما في التوندرا. كان ينوي الذهاب إليه لاستجوابه. ولكن كان عليه قبل ذلك التأكد من اشتراك أغاغوك في العملية.

واتخذت كلمة النحس التي أفلتت من راموك مغزى معيناً، فأدرك أندرسون منذئذ بأنه يسير في الاتجاه السليم. على أن نوايا راموك في حماية ابنه إنما أوضحت نقاطاً كانت غامضة في ذهن ضابط الشرطة. وكان راموك يأمل بالمقابل في أن القبيلة ستحميه هو أيضاً. غير أن أندرسون الخبير باللاسكيمو كان يعرف بأنه ليس بالضرورة أن يكون في أعماق هذا الإحساس بالتضامن القبلي،



قبولاً بالحرم. إذ أن ال INUK نادراً ما يتمكن من التصرف وفق منطق مشابه. إنه يقتل مثلما يحب، مثلما يأكل، مثلما يتخلص من برغوث. ربما كانت غريزة الحماية هي التي سَيرت أعمال راموك. وبعبارة أكثر دقة، الحماية من خُبث البيض.

يقبل ال INUK بالقوة ويقرُّ بها، ويسلم بأن الأبيض مسيطر عليه، مادام الأبيض هو الأقوى.

ولكن اللعبة هي في أن يعيش حياته السلفية، في تحدٍ دائم للبيض. الخضوع للغرائز: السرقة، والنهب، والاعتصاب، والقتل، والبقاء مع ذلك حراً في القبيلة. رياضة الأيام كلها، وأعراف، ونمط حياة...

غير أن معاكسة رجل أبيض، شرطي علاوة على ذلك، مهما كانت المعاكسة مستساغة، فهي تحمل المخاطر في طياتها. سيزيل راموك، في هذه الليلة، البعض وفق طريقته.

بداية، بقايا براون المدفونة تحت موضع خيمة غوروك. لو اختفت هذه البقايا من هنا وقُبرت، قدر المستطاع، في مكان آخر، بعيداً في التوندرا، فأبي برهان دامغ سيبقى حينئذ لدى الشرطي على مرور أحد مهربي ماء - الحياة بهذه القرية؟

ثم أيايالك.

ولأن راموك أدرك مكيدة أيايالك، عندما باغته مع أندرسن وسبر نياته، فقد أذره دهاؤه بأنه من الأفضل له أن يفوز بصمت أيايالك.

مشارك الليل. في أثناء نوم ضابط الشركة، سيُنجز كل شيء. لا بد من تنفيذ اللعبة الخطرة تنفيذاً ماهراً.

حملق أندرسون محاولاً، دون جدوى، تمييز بعض الأشياء في هذه الخيمة المعتمة. كان يسمع تنفس «المونتانيه». لاحظ حركة قام بها راموك، ولا شيء أكثر. كان مستعداً أن يقدم أي شيء لرفع الجلد الذي كان يسد مدخل الخيمة. بحيث يكون بوسع شبه النور الصادر من شمس منتصف الليل، هذا الوشاح

الذهبي في الأفق، أن يقص ربما الظلال ويكشف الحركات... ما العمل؟  
النهوض؟ كان أندرسون متيقناً من أن راموك ليس نائماً.

ظل قلقاً، حائراً ساعات طويلة دون أن يقدم على أية حركة من شأنها أن تفسر بأنه اكتشف السر. لم يكن ثمة هفوة في الحيلة. وكان كل شيء يُفند على قدر كبير من الفطنة. كان انكشاف أمر راموك المبكر جداً، يعني من جهة أخرى، هجمة جماعية من القرية التي ينتابها ذعرٌ جنوني. فالاسكيمو هم إذن كائنات طارئة مفعمة بحنق لايقده شيء، ولاسيما إن كانت مجتمعة. مثل الحيوانات الخائفة، عادة أو غير المؤذية التي تصير خطيرة تحت وقع المفاجأة.

في القرية كان يسمع نباح كلب شارد، وأحياناً، في الأعلى، صوت طيور الشبّد<sup>(1)</sup>. وبعيداً جداً عواء متبادل بين ذئبين.

حشرة في الخارج، قريباً من الخيمة، كانت تصرّ من تحت الطحلب دون كلل.

«ألا تتعب هذه الحشرة؟» اغتاض أندرسون.

كان صوت الحشرة يملأ أذنيه، وتساعد حتى صار طاغياً. كان يغطي على كل شيء. وبسببه ما عاد أندرسون يسمع شيئاً. أكان ذلك بسبب رتابة الصوت؟ أم الإرهاق؟ انتفض أندرسون بغتة وأدرك بأنه ربما قد نام. وتردد جداً في النهوض والخروج من الخيمة. ربما أفسدت الفطنة الراسخة خطته.

انتشر، مع طلوع الفجر، نور خفيف بدّد حلقة الليل. وعندما استطاع أندرسون أن يميز الأشياء أخيراً داخل الخيمة، رأى راموك نائماً.

وعندما حلّ النهار، وأشرقت الشمس ثانية في السماء خرج أندرسون، وعثر على جثة أياليك المطعونة، في وسط القرية بالذات.

لو أنه اقتحم خيمة غوروك لشاهد الأرض المقلوبة حديثاً، والحفر الصبور خلال ليلة واحدة، واختفاء الدلائل الملموسة الأخيرة على مقتل مهرب أبيض ذات يوم، في هذه القرية.

(1) جنس طير من رتبة الجواثم يصطاد الحشرات ليلاً. (المنهل).

وظل السؤال الوحيد الخطير ذاته، يتردد طوال النهار في خيام القرية:

- من الذي قتل أيايالك؟ أنت؟ إذن أنت؟

دون توقف أبداً، منذ الصباح الباكر وحتى المساء، ومن خيمة لأخرى. لقد تم استجواب كل رجل، ولم يستطع أي منهم الذهاب إلى الصيد. واستجوبت النساء أيضاً، وكذا الأطفال.

جالساً على الطريقة الهندية، لاوياً ساقيه تحته، مستخدماً الأرضية الطحلبية مقعداً له، استنطق أندرسون الجميع.

دون جدوى.

ضد هذه اللامبالاة التي تنم أحياناً عن سخرية مزدرية، ضد هذه الوجوه المشرقية المغلقة، وهذه العيون الصمغية، والأجساد الثابتة - صخوراً يصطدم بها - ضد القبيلة بأسرها متضامنة من جديد، متكثلة فجأة، ملتحمة بوفاء عمره آلاف السنين، ضد كل ذلك ماذا بوسع المرء أن يفعل؟ كان أندرسون يشعر بأنه قد خسر الجولة.

إذ تباطأ، بسبب غطرسة سخيفة، في الموافقة على وشايات أيايالك، وخيانة هذا الرجل الوحيد، ربما لأنه كان يمقت استغلال الوشاية وحدها.

والآن، وإذ فضل أندرسون زهو تحقيق صبور على خيانة جلية، رأى نفسه مهزوماً. رجل واحد، رجل أبيض ذو قدرات محدودة بسبب البعد، والوحدة وعداء القبيلة الخطرة، رجل واحد لم يستطع أن يقوّض حاجز صمت رجال الاسكيمو المدبّر.

استجوب أندرسون الناس خلال يومين كاملين، آملاً طوال الوقت، في العثور على تردد في الأجوبة، أو زلّة لسان، أو تهرب في نظرة...

استجوب راموك على نحو خاص.

لم يعترف أحد منهم بملكيته للمدية التي قُتل بها أيايالك، ولا تعرّف عليها أحد.

لم ير أحد أيايالك، ولا سمعه.

تجاهل تام.

ولكن في كل نظرة علامة سخرية، وعلى كل ملمح وكل هيئة إحساس بالتفوق يكاد يكون جلياً.

القبيلة مجتمعة أمامه...

تهديد خفي، ثابت، وتوتر بلغ الذروة. كان أندرسون يجازف بحياته، كان يعرف ذلك. وكان يوسعهم قتله. حتى لو جاء رجال شرطة آخرون، فعلى ماذا كان بمقدورهم أن يرهنوا في مواجهة هذا الصمت القبلي؟

ومن سيكون المعاقب؟

وفجأة ظهر الحل منطقياً لأندرسون. سينصرف خائباً، يالأسف!

فلماذا عاش في تجمع الخيام هذا خلال ستة أشهر أو أكثر؟ ألقي يعود، على الرغم من ذلك، بخفي حنين إلى مركز الدرك؟ وفي مواجهة حيلته كانت حيلة أشد براعة أبدتها كل INUK، مدعوماً من القبيلة بأسرها.

موت براون - الشخصية القذرة مهما يكن من أمر - ما عاد يهم أندرسون بغته. فنهض واقفاً أمام الاسكيمو المجتمعين.

- سأذهب. ولكن سيأتي آخرون.

ابتسم راموك.

- وإذا لم تذهب؟

والآن بدأت الخدعة. جسداً لجسد تقريباً. أندرسون ضد راموك أمام القبيلة. أدنى تخاذل، أو أية لحظة ضعف أو عبارة طائشة، ولن يعود حياً إلى أهله.

- إذا لم أذهب، سيأتون مع ذلك.

ضحك راموك هازئاً.

واستغرق أندرسون في التأمل. انتقى الكلمات، جمّع العبارات في رأسه موازناً بين المعنى وبين القوة.

- سيأتي آخرون. ملء طائر كبير من السماء. عشرة رجال، اثنا عشر رجلاً، وهل تعرف ماذا سيفعلون؟

عاد راموك واتخذ هيئة رصينة. عيناه شاخصتان في عيني أندرسون الذي

قال:

- وفق قانون البيض: «كل من يتستر على جان فهو جان». أنتم جميعاً

إذن جناة. سيرسلون طائراً كبيراً يسعكم كلكم. وستنقلون إلى مدينة البيض. إلى السجن.

- جميعاً؟

- الرجال والنساء والأطفال.

- والشيوخ أيضاً؟

- والشيوخ أيضاً.

فكّر راموك.

- وإن ذهب؟

هزّ أندرسون كتفيه. لم يجرؤ على القول بأن القانون سيأخذ مجراه على

الرغم من ذلك. فهزّ الكتفين حركة لاتحمل كبير دلالة، ولاتلزمه بشيء.

بدا راموك راضياً.

- بوسعك أن تذهب.

- هلاً رافقني أحد الرجال؟ سأدفع مقابلاً للدليل.

- ألا تعرف طريقك؟

- الحمل ثقيل. لدي صرتان. لقد أتيت إلى هنا مع الكلاب. لأستطيع أن

أسحب الكيسين على الطحلب.

بسط راموك يده. حركة آمرة.

- لاتأخذ سوى الضروري. دع الباقي هنا.

- لماذا؟

- لأنني أريده.

على نحو جد مفاجئ أمسى راموك هو الأقوى، الشيء الذي أحس به جيداً.

لم يفكر أندرسون إلا بشيء واحد. عليه أن ينصرف. أن يهرب. تردد في الموافقة على الاقتراح، ولكنه عجز أن يفعل خلاف ذلك: سيهرب. ليفرّ بجلده. فلم يعد هو سيد الموقف هنا. لقد أقرّ راموك سلطانه.

- حسناً... سأجهز صرري.

بعد مضي بضع دقائق انصرف أندرسون، وحيداً راجلاً في التوندرا، صوب الجنوب حيث يقع مركز الدرك الذي يتبعه.

الجنوب. وسيكون مسير الشمس دليلاً له.

وفي الليل ستساعده النجوم.

كانت لديه مؤونة تكفيه ستة أيام، وبنديته والطلقات. ابتعد في التوندرا. تاركاً القرية خلفه، والقبيلة المجتمعة لرؤية انصرافه، وكان راموك واقفاً أمام جماعته حاملاً بنديته.

عندما سار أندرسون مسافة مائتي متر، تنكب راموك بنديته. انطلقت الرصاصة مسدّدة من عين ثاقبة صائبة. سقط أندرسون.

قام راموك بحركة صارخاً:

- تعالوا!

جرت القبيلة كلها، عصابةً مشوشةً، متجهة وهي تصرخ، صوب الرجل الساقط. كان أندرسون لا يزال حياً عندما بلغه أوائل ال INUIT وبينهم راموك.

كان أندرسون يئن مستلقياً على ظهره.

ضحك راموك ضحكة عريضة كشفت عن أسنانه الصفراء كلها، وكان يجري حول الشرطي الممدد. ثم أخرج مديّة، ومزّق ثياب أندرسون، وعزى جذعه حتى عضوه التناسلي وهو يردد:

- الرجل، الرجل، الرجل هو الأقوى...

كان يقول INUK قاصداً الرجل، ولم يكن يعني سوى الاسكيمو، إنه لم يتحدث عن الأبيض.

- الرجل هو الأقوى.

وبضربة مقلوبة من مديته بتر القضيب، فأطلق أندرسون صرخة مرعبة.

ثم ألقى راموك مع زمجرة فرحة، العضو للنساء المقرصات خلفه، اللواتي أخذن يعضن بأسنانهن الجميلة، اللحم الذي كان لا يزال يختلج دافئاً.

كان أندرسون يصرخ طوال الوقت محاولاً النهوض خابطاً الأرض بساقيه.

وجاء دور غوروك.

فانحنى هو أيضاً ومديته في يده. وشقّ جلد الخاصرة، وبلغ الكبد من تحت الأضلاع، في حين كان أندرسون يتابع صراخه المرعب.

وبأصابه، اقتلع غوروك الساحر، كبد الأبيض وأكله نيئاً، وهو مقرّص قريباً من ضحيته.

عند الفجر، حمل رجال القبيلة الجثة بعيداً خارج حدود الطرقات التي يسير عليها القادمون عادة.

ودفنوا أندرسون عميقاً جداً تحت الطحلب.

عميقاً بحيث لن يكون بوسع ذئب - ولا إنسان - أن ينبشه أبداً.

## AMARGOK - الذئب الأبيض

لن يطول الصيف سوى بضعة أسابيع.  
فما أن حلّ حتى أخذ يتراجع أمام برد الشمال. سيأتي الخريف القصير.  
ثم الشتاء.

وفي أثناء شمس منتصف الليل ستحل أيام شبه مظلمة، كامدة، رمادية،  
نادراً مشرقة، دائماً باردة، وأحياناً متوحشة كحشد من الضواري الجائعة.

وتميز ضوء النهار، منذ الآن، عن ضوء الليل. فالخزمة الذهبية في الأفق قد  
فقدت ألقتها، وصارت شعاعاً واهناً لا يكاد يضيء.

وكان نسيم النهار محملاً بالبرد، وبسقطات جليدية وألوان من  
الهجمات، والعواصف التي كانت تقلق الحيوان وتصفّر الطحلب.



ففقدت الأرض مرونتها وطبقاتها الرطبة الدافئة. وسرعان ما انضم جليد السطح إلى جليد القاع والتحما في الـ Permafrost لأشهر طويلة قادمة.

ولم يعد الطقس جيداً ولاسيما في الليل، يسمح للمرء بالاستلقاء على الأرض، والنوم هناك متألفاً مع التربة متمرغاً بالطحلب.

وصارت الرثة نادرة، وفروة السمور المسكي تزداد كثافة ونعومة.

رأى أغاغوك أرنباً في العشية. كان جانباها أبيضين تماماً. وكان ذلك هو التحسير<sup>(1)</sup>، وعلامة البرد القريب.

لقد انتهى زمن العيش الرغيد.

وارتسم في الأفق وقت الشقاء.

هكذا سار أغاغوك وسط الريح الباردة. خرج من الخيمة دون أن يتعقب أثراً معيناً، كان يمشي بلا تبصر راسماً دائرة كبيرة، معتمداً، اعتماداً كاملاً على عينيه وعلى غريزته التي اكتسبها من وجوده الحي في التوندرا.

كان بوسعه أن يتوقف وأن يحس، دون أن يلتفت أو أن يبذل أدنى جهد، بوجود الخيمة بعيداً من خلفه، وكائنين يسكنانها. حتى في العتمة، عندما كان الليل يهبط على السهل طارداً بقايا النهار قاهراً إياه، تاركاً وشاحاً واهياً من النور حتى وقتذاك، كان شيء ما، خوف داخلي، إيقاع جديد في الدم ينبه أغاغوك إلى ذلك الوجود.

وسيكون هذا الوجود ذاته، سلاحه الأمضى في هذه الليلة. وسيعرف في الوقت نفسه، شأنه شأن الذئب، اقتراب الخطر. فبقدر ما يحدث الحيوان من مسافة بعيدة، يدرك أغاغوك وجود الحيوان.

كان ذلك أمراً يسيراً ناجماً عن موهبة حسّية تراكمت منذ أجيال عديدة.

---

(1) التحسير: استبدال الريش عند الطير، وتغيير لون فرو الحيوانات نحو الأبيض شتاءً، ونحو الأسمر صيفاً.

غير أن أغاغوك لم يكن يعرف تفسير شغل هذه الآلية، ولا أين يقع في داخله هذا الإحساس الذي يندر، كان يتوقف مرات عديدة في التونдра، شاعراً بوجود حيوان، لم يكن بحاجة إلى أن يراه كي يتأكد ضمناً من وجوده قريباً منه.

ثم الترقب، والتأني. وكان الحيوان يظهر، فيأكل أغاغوك أياماً عديدة، أو يلبس أو يزيد من حجم صرة جلود الحيوانات المتوحشة لمقاومتها في المركز التجاري.

ومضى سائراً.

كم من الوقت سار لا يعرف. إنما كان يدرك وجهته فحسب، ويدرك أنه بسبب الطريق الذي اتخذه خارجاً من الخيمة، فلن تكون الوجهة خلفه مباشرة حيث العودة إلى إريوك والصغير، إنما على الأرجح شمالاً على الطريق الممتدة رأساً صوب النجم الكبير المتبختر في السماء.

ولكن لأثر للذئب الأبيض.

في الواقع، ولا أي ذئب.

إن كان ثمة قطيع يعوي في وقت مبكر، ثم ينبح، ولكنه سكت بعد ذلك. لقد انقضّ دون شك، على رنة ثم صرعها. وهو الآن يتغذى، ولن يستأنف صيده الصامت إلا في وقت متأخر، بعد غياب القمر.

والذئب الأبيض؟

هل كان يعوي هناك؟ وهل كان يصطاد مع الرهط؟

وإن كان يهيم وحيداً في التونдра، فأين يمكن العثور عليه؟ نقطة بيضاء وسط العتمة؟ شبح، ربما؟ لو كان لا يبدأ في مكان ما منتظراً لكان الأمر سهلاً. كان أغاغوك سيعرف مكانه، ويتجه نحوه مباشرة.

كان قد شحن بندقيته.

وكانت مديته ذات النصل الرفيع متدلّية على طول ساقه. ومديّة أخرى

ذات نصل عريض وقصير وثخين ثخناً مربعاً كانت مدسوسة في نطاقه. سواء بهذا السلاح أم بغيره، سيهلك الذئب الأبيض.

ساعة كاملة ثم أخرى. اختفى القمر، واشتد الظلام في التوندر، واقفاً، ساكناً، كان أغاغوك يتقصى المقبرة الرحبية. كان كل شيء ساكناً. ما من صوت حتى من حشرة.

انقباض في البطن نبته أغاغوك. لقد أحس بوجود حيوان قريب منه. لم يستطع تحديد الاتجاه بعد، ولا المسافة، ولكنه عرف بأنه ليس قندساً حتماً ولا سموراً، إنما هو حيوان بالغ الضخامة يراقبه.

سار، مقرصاً على مهل، بندقيته ملقمة شبه مسددة. كان بحاجة إلى الوقت. سيكون من السهل تحديد الاتجاهات وطول القفزة على الحيوان، ولكن كان عليه أن يكون لصق الأرض يعب الهواء بمنخره وينتظر ويستمع.

هبت ريح، مدوية فوق الطحلب ثم سكنت وتلاشت. عيناه على مستوى الأرض، نظر أغاغوك فيما حوله بإمعان.

باتجاه الخيمة، في ذلك المكان الذي كان ينتهي عنده خط الأفق، رأى أغاغوك ظلاً فوق ظل. لم يكن سوى انعكاس نور لايكاد يميز خيالاً.

حدق في نقطة الظل الذي بدا له تنوعاً فوق نجد الطحلب. ورأى الظل كذلك يتحرك وكأنه كان زاحفاً نحوه.

انتظر.

بعد مضي دقائق، كان ثابتاً.

ثمة رائحة في الهواء، إنها رائحة الذئب. والنقطة ماعدت داكنة بل شبه رمادية.

لم يكن، والحال هذه، سوى حيوان واحد بوسعه إبداع هذا المشهد. الذئب الأبيض الهائل؟ هو وحده القادر أن يكون نقطة شاحبة في العتمة.

كان أغاغوك ينتظر، مشدوداً إلى الأرض، متمسراً، بندقيته مصوبة، ينتظر

اقتراب الذئب أكثر. وصارت الرائحة بعد قليل، نفاذة حتى جعلته يشعر بالغثيان. ولم تعد نقطة، بل صارت هيئة مطابقة تماماً لذئب زاحف. ذئب يسعى، مترصداً غنيمته هو الآخر، إلى العثور ثانية على شبح أغاغوك المعصور الآن في الأرض، والذائب في الليل.

الإنسان في مواجهة الحيوان: مكيدتان متجابهتان.

إذا ما اقترب الذئب اقتراباً كافياً، سيطلق أغاغوك النار، وستصرع الرصاصة الحيوان.

وإن أخطأ الهدف؟

مسافة صوت، ثم مسافة رمية وأخيراً مئة خطوة فخمسين... وكاد الذئب أن يكون في متناول اليد. كان يتوجه صوب أغاغوك. مرمى ضيق يصعب تحديده في الظلمة.

الصق أغاغوك عينه على علامة التسديد. كان الذئب في مجال الرمية، قبالة شمس منتصف الليل في الأفق.

عشرة خطوات. الآن وإلا أبداً. كان كل شيء يتوقف على حركة، الضغط السريع على الزناد، فالنار ثم الرصاصة... ثانية واحدة بل أقل. مصير محدد. مصرع الذئب؟ مقتل الرجل؟

ضغط أغاغوك على الزناد.

أثارت الرصاصة دويماً منطلقاً من فوهة البندقية. ولكنها لم تقتل الذئب. خرمشته فقط. دار الذئب على الأرض، واهتدى إلى طريقه على مسافة عشر خطوات أبعد، ثم سرعان ما وقف على قوائمه.

كان أغاغوك واقفاً هو الآخر، مديته في قبضته.

وثب الذئب.

كتلة شبحية، كنيك كذفته السماء ليهوى على أغاغوك. فسقط الإنسان

والحيوان في العتمة. كان خطم الذئب مفتوحاً يسيل منه لعاب غضب شديد، وكان يعض، مزمجرأ زمجرة جهنمية، الكائن الذي كان يقاوم بين قوائمه مقاومة عنيفة.

كانت معركة مخيفة بين الاثنين، وتمرين مرعب. مع كل عضة شفق، كان صراخ الرجل يدوي مدوماً ويمزق سكون الليل. لقد أمسك الذئب الهائج بأغاغوك جارحاً إياه بضربات مخالبا هائلة، بعد ذلك انتهز الرجل للحظة المناسبة - عندما تكور الذئب لينقض عليه من جديد - وطوى ذراعه ليغرز المديّة في جلد الحيوان. فانسحب الذئب ولكن كي يثب ثانية على أغاغوك الصامد في وجه التنكيل.

مزقات لحم كبيرة كانت تتدلى من بين أنياب الذئب.

معركة مرعبة، ممزوجة بالصراخ والزمجرة، حيث كان الإنسان والحيوان، المتماثلان قوة وهيجاناً، يتناوبان السيطرة. وفجأة لمع نصل المديّة. وانطلقت القبضة مثل سهم وسقطت. مرة ثم أخرى وثالثة أيضاً.

أحس أغاغوك بمذاق الدم الحلو في فمه، مما ردّ القوة لأعصابه وذراعه. ممتطياً الآن الذئب الذي كان يهتاج نابحاً، كان أغاغوك يضرب بقوة الذراع كلها، وبكل القوة التي استعادها، بعد أن سكنت جميع آلامه.

ثم نهض ممرأ ذراعه فوق وجهه المخضب بالدم، مقدراً ما تبقى فيه من قوة.

كان الذئب الأبيض ممدداً، مبقور البطن، عند قدمي أغاغوك.

فكّ أغاغوك الحبل الذي كان يستخدمه نطاقاً. وعقد أحد طرفيه حول قائمتي الذئب الخلفيتين، وأكب على الحمل ساحباً إياه عبر التوندر.

عندما بلغ الخيمة، كانت إريوك، التي لاتزال صاحبة، تقف هناك مرتعشة. لم يكن صوتها سوى نواح خافت أشبه بالهمس.

- أغاغوك؟

قَوْم الرجل ظهره.

- تاي اووت؟... سأل أغاغوك.

- إنه بخير. فلم يأت الذئب إلى هنا.

أشار أغاغوك إلى الجثة.

- لقد قتله.

كانت إريوك تبكي بصمت ثم قالت:

- سأشعل المصباح، وأضمد جراحك.

وكانت ترى، حيثما ذهبت، دم أغاغوك بقعاً سوداء تكبر فوق الطحلب.

وكان معطفه ممزقاً إرباً إرباً. لقد اقتطع الذئب قطعاً كبيرة من لحم الفخذين

والظهر والكتفين. ولكن كان ثمة أكثر من ذلك لاحظته إريوك، عندما أثار

ضوء مصباح الخيمة، زوجها كاملاً.

فأخذت تبكي بكاءً مرّاً حزيناً مثل الموت، ورمت بنفسها على الأرض.

- ماخطبك؟ سأل أغاغوك. قولي ماخطبك؟

لم تستطع أن ترد بشيء، إنما رفعت رأسها مشيرة بإصبعها إلى وجهه.

حركة أراد أغاغوك أن يفهمها، فرفع يده إلى وجهه.

في موضع الأنف، لم يكن سوى ثغرة عميقة.

إذ اقتلع الذئب، بعضة واحدة، الأنف من وجه أغاغوك وجزءاً من

الوجنة. انثنى أغاغوك كما لو أنه كان يرغب في أن يلامس كتفي إريوك

ملامسة خفيفة، ولكن بدلاً من هذه الملاطفة، أحسّت إريوك بجسد زوجها

يسقط كتلة إلى جانبها على الأرض. مهزوماً أمام الإرهاق والألم انهار أغاغوك

مغمياً عليه.

كانت قائمتا الذئب الخلفيتين ترتعشان بعدّ في الخارج ارتعاشة متشنجة،

على الرغم من عينيهِ الكابيتين ولسانه المتدلى من شدقه.

مرّ طائر - سُبَد بصوته الكئيب في السماء. وشرع، في الأفق، قطع ذئاب  
في العواء.

أفاق تاياووت متباكياً تحت نور الخيمة.

- لقد مات الزعيم، همست إريوك.

وشعرت بالزهو فجأة ثم أضافت:

- زعيم الذئاب كافة. جميع ذئاب الأرض وظهرها، وبعلي، أبو تاياووت،

هو من قتله.

## الجرح - IKI

كانت إريوك تجلس القرفصاء في الخيمة وتعتني بزوجها.

وعندما صار الطقس أكثر برودة. دسّت إريوك تاياووت تحت معطفها، على طول ظهرها. مشدوداً بسيرٍ يمر من تحت إلبتيه كان تاياووت في وضعية جيدة. وعندما كان يحتاج إلى الهواء كان يتسلّق حتى «ياقة» معطف أمه ويخرج رأسه. وإذا جاع، ما كان عليه إلا أن ينسل من تحت ذراع إريوك من جهة خصرها، ثم يبحث بعدئذ عن الثدي السخي. وكان يصرخ، إن ظل جائعاً بعد الرضاعة، فتضع إريوك قطعاً من السمك النيء في فمه يلوكها طويلاً، ولعابه يسيل فوق رقبة أمه.

كان أغاغوك مستلقياً على أحد الجلود، يتعذب بصمت منذ ثلاثة أيام. وكانت إريوك تضع كل صباح على الجروح الضاربة إلى البنفسجي شريحة سميكة من شحم الدببة، أخذته من عجائز القرية واحتفظت به لهذا الغرض.



كانت تخرج كل يوم إلى عتبة الخيمة حيث لانزال جثة الذئب، لتأخذ من شدقه الفاغر قليلاً من لعابه اللزج، ثم كانت ترسم على الشحم إشارات غريبة، متممة في الوقت ذاته، بكلمات لم يفهمها أغاغوك. كلمات عجيبة، ذات إيقاع جديد.

وكان ذلك يذكره، هو المنتمي إلى سلالات التوندرا، بأن إريوك تنحدر من أولئك القادمين قبلها، من شعوب ظهر الأرض، على الرغم من أنها لاتعرف شيئاً عنهم باستثناء ماحكّت لها أمها عندما كانت طفلة.

كانت إريوك عندما تعود إلى الخيمة، تجلس قريباً من أغاغوك وتدهن جروحه بهذا الشحم الذي أمسى الآن سحرياً، مستخدمة في ذلك نصلاً من العلاج مجهزاً من أنياب الفقمة. وبهذا المشروط، كانت تضغط على الجسم الدهين والثغرة اللدنة في عمق الألم، في أصغر ثنية من ثنايا اللحم المتورم المرصوص.

لم ينبس أغاغوك بينت شفة. كان ينظر إليها. ولاشيء في عينيه سوى مقاومة الألم.

تسليمه الوحيد بالوجع تجلى ذات مرة في ارتعاشة العضلات عندما مسّ النصل العاجي عظام الوجنتين العارية، وبقايا الغضروف هناك حيث كان يجب أن يكون الأنف.

الجروح كلها، والسحجات كلها قد دُهنّت، جروح الوجه الأكثر خطورة، والجروح الأخرى في الكتفين والذراعين والفخذين...

بعد ذلك، نامت إريوك والصغير، مستلقين قريباً من المريض. وأغمض أغاغوك، بعد أن سكن الألم مؤقتاً، عينيه أيضاً.

واستعاد ذكريات حياته، وعاش سنواتها من جديد.

سوف يموت، ولكنه كان يرغب في الحياة. كان يحفّز عضلاته ويتكور ضد ذكرياته بغية طرد الموت. كان يتذكر اليوم الذي عرض فيه على إريوك لتذهب معه للعيش وحدهما في مكان آخر.

لم يحدد المكان. إنما قال في مكان آخر دون أن يذكر اسمه. ولكنه أشار إلى السهل في اتجاه الجنوب. حركة ما وراء النظر، أبعد من الأفق، هناك، كان يقول ستبدأ الحياة. سينصب خيمة، وفي أثناء الشتاء كوخاً واسعاً ومريحاً. هناك ستحلو حياتهما معاً. لحم للمؤونة، وجلود للكسوة، وأخرى للسقايسة، سيكونان في أمان.

عندما كان يتحدث عن البُعد، كان يشير غالباً إلى القرية والناس من حولهما، وكانت إريوك سعيدة بذلك. إذ كانت ترغب في الرحيل أيضاً وهجرة أولئك الناس. لأنها لم تذق طعم الفرح الحقيقي أبداً وسط هذه العشيرة.

- سأتبعك قالت إريوك.

كلمة تساوي الوعود كلها.

وبدأ أغاغوك العمل. فجمع ممتلكاته، وأحصاها. الأسلحة أولاً، ثم الذخيرة. بعدئذ المعاطف والجلود المحفوظة لديه، وبعض الأدوات. وأخذت إريوك على عاتقها صناعة كل ما كان ينقصهما.

سيقتل الحيوانات ويحصل منها على العظام اللازمة. كانت تلك لوازم الأدوات اليومية، المنزلية إضافة إليها كانت مديتان أو ثلاث مدى معدنية من صنع البيض. وكلاب حديدي، وخطافات تمت مقايضتها في المركز التجاري بالفراء، وصنارات (ملء كيس)، نصفها من بقايا العظام المصقولة طويلاً والمقساة بعد ذلك فوق النار، والنصف الآخر من المعدن القادم من البيض ومن مقايضتهم.

كان ذلك يبدو ثروة كبيرة، أما بالنسبة إلى أغاغوك فأكثر مما كانا يحتاجانه. ثم، وبدلاً من المصباح الحجري الذي كان يستخدم موقداً للطهي، ومدفأة للأكواخ الباردة، ومصدراً وحيداً للإنارة خلال أشهر طوال، بدلاً من هذا المصباح ذي الشكل المتناقل منذ آلاف السنين، ألم يكن لدى أغاغوك موقداً معدني اشتراه من رجل أبيض. موقداً كان بوسعه أن يلقمه بالشمع أو بالزيت،

وفي سنوات الرخاء، بالكيروسين؟ موقد، ذو فتيلة، أسود لامع، ينشر حرارة  
ويسخن بها أغاغوك يديه...

أجل، كان ذلك أكثر مما كانا يحتاجانه. أكثر أيضاً بكثير مما كان لدى  
أي INUK من القرية. خيلاء الإنسان، وزهو الممتلكات المفتخر بها، ثروة  
أغاغوك التي ساعدته على الفوز بإيريوك.

- انظري، كان يقول لإريوك مشيراً إلى الموقد والمصباح، لن تبردي أبداً،  
وسيكون كل شيء أمامك جلياً أثناء أعمال الليل الطويل.

سنة أشهر من الظل الخفيف، حيث تكمن الشمس خلف الأفق. شرق  
شاحب ذهبي تقريباً، وسمت أزرق ميت في الشمال، والليل معتم مثقوب  
بالنجوم. ودائماً هناك النجم الدليل...

دائماً أبعد، النجم... لا يدرك... مشوش مبهم في السديم البعيد... كم  
كان قاسياً أن يتذكر أغاغوك مع ذلك النبض المعذب للغاية، الذي كان يدق  
صدغيه!

كانت الجروح كلها قد تفتحت الآن لتتلاءم جسم أغاغوك بألم لم يعرفه  
قط، بألم مبرح مستمر...

كان يفتح عينيه، لي شاهد غيلاناً مكشّرة تسير رتلاً فوق جلود الخيمة.  
وكان يسمع صرخاتهم الوحشية الموزونة بلحن جهنمي. كان يحس بحيوانات  
تتشبّهه، وبأسلحة تنغرز في جسمه وبرصاصات تخترق جلده.

وكان الطقس حاراً إلى درجة مرعبة في موطن الكابوس الجديد هذا. لم  
تكن هناك سوى حبة رمل تجرفها الرياح فوق السهل الواسع. دون دفاع، كان  
أغاغوك يرى ذئاباً كبيرة بحجم خيام الزعيم تنقضّ عليه. ثم فقرة هائلة مثل  
حوت تضرب بزعانها جروح جسمه ضربات عنيفة، موججة الوجع - مسببة  
انجاس الدم. فكان يصيح حينذاك، مثل حيوان، في هذيانه.

إلا أن الصراخ المرعب الذي كان يحس به صادراً من أعماقه كان  
يستحيل أنيناً واهناً بين شفتيه. واستيقظت إريوك على سماع أنات أغاغوك،

ورأته ينام نوماً شديداً قلق، فلم تزعجه أبداً، وظلت تنظر إلى وجه زوجها الجديد، إلى ذلك الجرح الخفيف...

لن يصبح جميلاً أبداً، كما كان فيما مضى ذا بشرة ناعمة، هذا الوجه الذي أحبته مبكراً منذ اللحظات الأولى، بعد البلوغ، عندما شعرت بالجوع تجاه الرجل.

كان عمرها يومذاك أحد عشر عاماً. كانت بدنية، تراقب كل مساء انتفاخ نهديهما المستديرين الصليين والقاسيين كحجر القناديل.

عندما جاءها الطمث أول مرة، هرعت إلى امرأة من الاسكيمو في الخيمة المجاورة. ولكن ما قالت لها المرأة هناك، كانت إريوك تعرفه قبلاً.

في ذلك الوقت تحديداً رأت إريوك ابن الزعيم راموك ثانياً، ولكن كان يبدو لها بأنها رأته بعيون جديدة.

ابتسم لها أغاغوك فأحست على حين غفلة بالقشعريرة تسري في كامل جسمها، إحساس طارئ يبعث اللذة في النفس. بعد مضي ثلاث سنوات على ذلك دعاها أغاغوك لتلتحق به.

عندما وافقت على عرضه، شعرت بفرح، غريب حينذاك، يتغلغل إلى أعماقها، لاشيء مما مضى، إنما شيء لامثيل له حتى الآن، فتنة خفية كانت تبعث الدفء في جسدها والقلق في روحها، وتدفعها إلى أن تحلم طوال ساعات عاطلة عن العمل في الكوخ خلال الشتاء، أو جالسة ساعات طويلة أمام الخيمة في الصيف، متأملة التوندرا، هذا النجد الواسع حيث كانت تتخيل حياتها، والخيمة الجديدة، والكوخ، وبعلمها الباسل المقدم، والأطفال الذين ستنجبهم منه.

كان ذلك سراً شديداً البساطة مكرراً مرات عديدة. لم تكن تفكر إلا في ذلك الشيء وإنجازته، إنجازها من أجل الرجل الذي كانت تحب والذي اختارها زوجة له، وإنجازته أيضاً من أجل الأطفال الذين ستلدهم. وتعاقت الأيام... خالية من أية معجزة، إن لم نقل وجود أغاغوك، المعجزة بحد ذاتها، وإرواء كل

غليل.

عندما اصطحبها إلى الخيمة لم تقل شيئاً، ابتسامته فحسب ظهرت على وجهها، وعندما تأبط ذراعها لاشيء سوى تلك الابتسامه، ثم تأوهات جسدها الذي كان يعطي بقدر ما يأخذ.

لم يبق حلم إلا وتحقق! المعجزات التي كانت موعودة بها قد صارت بين يديها.

فلم يكن أغاغوك يأتي خالي الوفاض. كان يفكر بالمستقبل وبناء حياة الغد. لقد قايض الجلود بالمواد النافعة. وكان لديه صندوق مليء بالسلاح والعتاد. ولئن أقبل الشتاء قاسياً فبوسعه، على الرغم من ذلك، أن يصطاد ويؤمن معاشه. كان يمتلك بندقيات وطلقات وسكاكين وفخاخاً... كان لا بد أن تكون التوندرنا مقفرة تماماً والحيوانات مشتتة ونادرة ليخلو كوخ أغاغوك من الحاجات الضرورية!

ولكن هاهي إريوك تشعر بنفسها فجأة لاتملك شيئاً.

فبدلاً من أغاغوك الذي كان، فيما مضى، حلمها ومعجزتها، كانت ترى ذلك الكائن الجديد، المشوه، الذي لم تعد تعرفه. مقرضة قريباً من أغاغوك، مدّت إريوك يدها، لامسة الجرح الحي لمساً خفيفاً. وكان أغاغوك يئن في نومه من جديد.

- إنه لايزال هنا، همست إريوك.

وصار الإدراك يشملها ببطء. سينحل اللغز. كان لايزال يصعب عليها التعرف إلى أغاغوك، لأن الذي أمامها لم يعد أغاغوك. هذا الوجه... ما هذا، رجل؟ نصف جثة، شبح...

وأن أغاغوك مرة أخرى، فلوى شيء ما أحشاء إريوك، يذ، قوة.

- إنه لايزال هنا، ردّدت إريوك.

كان لا بد لها من تحقيق المعجزة: التعرف إلى الرجل، استعادته. وسماع

صوته ثانية، سماع ما كان يقول، وما سيقوله إن ظل حياً، وإعادة تذكر الحركات... التعرف إلى أغاغوك ثانية على الرغم من دمامة الوجه المشوه، ورؤيته شبيهاً دائماً بالذي كانه، على الرغم من القناع البشع.  
التعرف إليه...

وغامرت إريوك بلمسه ثانية، فاثنت عليه، ملزمة نفسها على تقبيل جذر الجرح في الوجنتين، هناك من حيث اقتطع اللحم.  
أصدر أغاغوك أنيناً آخر، وفتح عينيه اللتين أمستا غائرتين في محجرهما.  
- إريوك؟

حينئذ أدركت إريوك بأنها ستتمكن من نسيان القسمات المشوهة، ومن تذكر الرجل فقط. فارتمت في حضن أغاغوك، معانقة إياه، باحثة لديه عن ملاذ لحزنها الشديد، ثم صاحت بصوت أجش:  
- أغاغوك... أغاغوك، هذا أنت!

## الكوخ الجليدي - IDLU

سقط الثلج، متكوماً بسرعة على الأرض. هيمنة الشتاء العاجلة. في البدء كانت ريح خفيفة، تتلاعب بالثلج فوق ال Permafrost، ثلج تراكم الآن فوق سطح الأرض. ثم حل، ذات صباح، نهار رمادي شبيه بليل الشتاء، جالباً معه من الشمال ندفاً من الثلج كانت تتزويج بغزارة، متراصة أكثر فأكثر، وقرابة منتصف النهار هبت عاصفة ثلجية.

كانت الريح تدوي فوق السهل، وكان الثلج يتكدس في منحدرات أصغر التلال. وستصير التوندرا، منذ هذه الليلة، سهلاً قطبياً جامداً وأبيض.

كانت إريوك قد استبدلت، في الخيمة، شحم الموقد بالكيروسين لتزيد النار سعيراً. وسدت المنافذ، وثبتت الجزء الأسفل من الجلود بالأحجار المنتقاة من الجدول. وكانت تنتظر، بإذعان، نهاية العاصفة، وقد قرفصت قريباً من

المصطبة التي كان أغاغوك يرتاح فوقها، لاتفعل شيئاً سوى إرضاع الطفل المدسوس تحت معطفها، وتغيير الموقد عند اللزوم.

كان دفء طيب يعم المسكن. فذبّ نعاس لذيذ في أوصالهم، جعلهم لايحسون بالعاصفة الهائجة في الخارج، ولابدوي الرياح، ورشقات الثلج المرتطم بأعمدة الخيمة.

في صباح اليوم التالي اختفت التوندرا. في هذا اليوم بالذات شيدت إريوك بيديها كوخاً يحل محل الخيمة.

شاهدت، ذات لحظة، أغاغوك خارجاً من باب الخيمة فأسرعت إليه، وساعدته على الرجوع إلى الداخل قائلة:

- إنني أعمر الكوخ من أجلك أنت ومن أجلي وأجل الصغير. هيا، إننا لن نحتاج إلى شيء. تعافى من وجعك، فأنا لأطلب أكثر من ذلك.

وكان أغاغوك أضعف من أن يقاوم، فانقاد لها: قدمت إريوك له شريحة كبيرة من اللحم قائلة:

- خذ، وتناول هذه، فلا بد من تعويض الدم الذي فقدته..

ثم عادت إلى شغلها.

كان البناء جاهزاً في المساء. شيّدته إريوك أعلى من المألوف. «كوخ الزعيم، همست إريوك بفرح. كوخ الروح الخيّرة. من أجل أغاغوك...».

كان الكوخ يسع سكنى لسته أشخاص، مع مكان كاف للحركة بسهولة. كانت المصاطب الجليدية معدّة بعناية، ومتجمدة. كانت واسعة وعالية كما ينبغي لها أن تكون.

ظلت إريوك ساعة تصقل الجدران حتى جعلتها تبدو كالمرآة. ونجرت فتحة التهوية كما يجب على شكل مخروطي فائق الدقة والترتيب. وقريباً من فوق نفق المدخل فتحت كوة في أعلى الحائط طويلة كفاية، بعمق شبرين، وعلو أربعة أشبار. كانت قد وضعت على الجليد في ذلك المكان، عندما كانت تعمر الكوخ، عظمين طويلين ومتينين. فصار العظمان بيرزان الآن من زوايا الفتحة



الفوقية. وعلقت هناك جلد ذئب قد تمّ تفصيله على شكل مستطيل، وتكشيطه من الداخل وتنظيفه من وبره. وبذلك حصلت إريوك على غلمية حيث تضع اللحم الغض. أما القديد فسيعلق في أعلى الكوخ، هناك حيث وضعت إريوك على الجليد، العديد من المحاجن العاجية، وأضلع الفقمة المجهزة بأناة.

وفي وسط الكوخ أعدت مايشبه فُشقية قليلة العمق ولكنها مصقولة وقاسية. ووضعت هناك أداة من الأدوات المعدنية النادرة التي كان أغاغوك يمتلكها، وهي صينية من الحديد الرقيق قايضها سابقاً في المركز التجاري.

وهناك ستضع إريوك فيا بعد، الموقد، مصدر دفئهم وماعون حياتهم الضروري. والشحم من أجل هذا الموقد، والزيت والكيروسين للحالات الطارئة، كل تلك الأشياء ستعلق أيضاً في أعلى الكوخ، مثل اللحم المجفف، وفي أوعية جلدية أو معدنية.

كانت إريوك قد كوّمت، في بداية عملها، الثلج في علبتين خشبيتين كانتا داخل الخيمة وكبسته بيديها حتى ذاب إلى النصف، ثم حملت القالبين إلى الخارج ودعتهما تحت البرد الشديد لتحصل بالنتيجة في نهاية النهار، على لوحين من الجليد متينين، متساويين في الشكل للمقاس المطلوب تماماً. ثم وضعتهما فوق المصطبة الجليدية بمثابة مسندين للمقعد. وعليهما ستستند إريوك أثناء أشغالها الطويلة في الشتاء: مضغ الجلود، والخيطة الصبورة، وتنف الوبر في العديد من الحالات، وفي حالات أخرى تجهيز الوبر: الغسيل والحلاجة والتنظيف، والتقويم...

ثم وضعت إريوك جلدتين من جلود الرنة فوق المصطبة الجليدية في مقابل مكان العمل. سيكون ذلك سرير أغاغوك.

بعدئذ ذهبت لتحضر زوجها، حاملة إياه تقريباً، داخلة به عبر نفق المدخل. عمل سريع وجبار أنجز على إيقاع أنات الرجل. وكان تاياووت يصرخ من تحت المعطف مذعوراً من هذه الجهود التي كانت تؤرجحه وترجرجه على حين غرة.

عندما صار أغاغوك داخل الكوخ، مدّته إريوك على جلود الرنة، ثم أشعلت الموقد في الوسط فانتشر الدفء سريعاً في أرجاء المسكن.

دمدمت إريوك وهمست فقط مشجعة زوجها، مواسية إياه، معتذرة منه لضرورة ممارستها القوة معه. ثم مالت عليه قائلة بحنان بالغ:

- ستظل وحيداً هنا. إذ ينبغي عليّ تقويض الخيمة.

وأضمت هناك ساعتين. وعندما انتهى العمل كان الضروري قد صار داخل الكوخ، جُلبت جلود التغليف لتضاف إلى الجلود الأخرى التي كانت تغطي أغاغوك، وأصبحت المصطبة الجليدية مكاناً دافئاً وممتعاً ومريحاً أيضاً، وكان كل جلد منشوراً على الجدار معلقاً عليه يستخدم مسنداً.

أخذ الماء ينضح من الجدران، فعبق الكوخ بحرارة زنخة، علامة العيش الرغيد.

ثم حزمت إريوك أوتاد الخيمة في ربطة وضعتها على الثلج. ففي الربيع أثناء ذوبان الثلوج ستجدها لاتزال هناك. وعلقت الأسلحة في الكوخ. ووضعت صناديق الطلقات هناك حيث كانت المصطبة الجليدية تتصل بنفق المدخل.

خصصت الكوة لحفظ اللحم «الطازج» وفي أعلى الكوخ علّقت قطع اللحم المقدد. لن يكفيهم هذا اللحم حتماً لمؤونة الشتاء، سيحتاجون - ربما - إلى اللحم وكذلك إلى الدهن، غير أن إريوك أكدت بأنها ستعالج الأمر عند اللزوم.

لاشك أن صيد الفقمة كان مثمراً. ولكنها رأت، بعد كل تقدير، بأن دهن هذه الحيوانات ولحمها المقدد لن يشكلا تمويناً كافياً لشتاء طويل. من جانب آخر، فقد كان الفصل الحار قصيراً على نحو ملفت للنظر. السفر صوب الماء الكبير، والوقت الذي ضيعه أغاغوك في مطاردة الذئب الأبيض - وقبل ذلك الساعات الضائعة التي أمضاها متأملاً إبنه فحسب، ساعات ممتعة وجميلة ولكنها لم تزود نملية الطعام بشيء - كل ذلك تسبب في أن يلوح خطر المجاعة.

علاوة على ذلك، فإن جاء هذا الشتاء قارساً كالذي سبقه، يمنع كل صيد، فإن الأمل في اللحم «الطازج» سيكون أملاً واهياً.

فقررت إريوك بغتة الذهاب للصيد اعتباراً من الغد. إذ ستكون الحيوانات مذعورة على الثلج الجديد. وستأتي حيوانات مهاجرة من كل الأجناس تقريباً، ولكنها ستظل أقل موهبة فطرية من الحيوانات الأخرى، الأمر الذي يسهل صيدها. وستستغل إريوك اضطراب تلك الحيوانات. ولقد لاحظت إريوك منذ الأمس رنات تجري هنا وهناك وسط العاصفة.

إن قتل رنتين أو ثلاث رنات سيكفل المؤونة. على أن شحم الرنة لا يعادل دهن الفقمة، وكانت إريوك تحلم بالحيتان التي ستؤمن لهم الدفء والنور لشتاء طويل. ولكن في حال عدم توفر الدهن الجيد أو الزيت في الأشهر الأخيرة من الشتاء القادم، فسيكون شحم الرنة أفضل من لاشيء.

كانت إريوك مرهقة، عندما استلقت للنوم في هذا المساء. ولكن عينيها كانتا تلمعان، وكانت تحس بحرارة في بطنها لم تحس به منذ زمن طويل. ففي بطنها، وعلى وجنتيها: فرح محرّض. لأن أغاغوك ظل مستنداً على مرفقه، قبل النوم، يتفحص مطولاً الكوخ الذي شيدته إريوك. ثم تمدد ثانية ليقول في رقة بالغة:

- إنك امرأة صالحة يا إريوك.

## الرنة - TUT.U

وظلت إريوك منهمكة في العمل خلال الأيام الثلاثة التي تلت بناء الكوخ الجديد. فكانت تعهد، خلافاً لكل التقاليد، بتاياووت إلى أبيه وتتركهما وحيدين في الكوخ، لأن ذلك كان ضرورياً، ولأنه لم يكن أمامها مخرج آخر بغية إنجاز المشروع الذي كانت بصدده.

كانت إريوك، بندقيتها في يدها، تسعى في طلب اللحم الطازج. الحظ الأخير لمدة طويلة من أجل البقاء في الشتاء. فقريباً لن تظل سوى الحيوانات المشتتة فوق السهل الثلجي، رنة تائهة، نصف متجمدة، بعض الذئاب. وربما بعض الثعالب، وسمور مسكي يبحث عن ثقب في جليد النهر، أو حتى غرير. ولكن لاشيء من قبيل صيد الصيف المثمر. والحيوانات لن تكون في متناول الطلقة.

إنه الشقاء، وزمن الرياح العاتية الطويل، والسهل المقفر...

اكتشفت إريوك أثر أقدام رنة منذ الساعات الأولى لخروجها إلى الصيد. كان البرد كتلة تضغط على سطح الأرض تستنزف حياة الكائنات كلها. كان يُرى نور باهت في الجنوب، أما الشمال فكان معتماً. فهناك كان ليل الأشهر الستة، ليل القطب اللانهائي المرعب. دون أية رياح، البرد فحسب، حضور جبار، برد مائل إلى الزرقة يشل الطاقة كلها ويبعث على نعاس ويبل وسبات قاتل.

كانت إريوك، رأسها يعج بسراب بديع الألوان، وبغناء كانت تجهل عذوبته حتى الآن، تهيم على وجهها فوق السهل. كانت تصارع هذا البرد، غير أن صوتاً مندرأً في لاشعورها، كان ينبهها بضرورة الجري سريعاً، والحركة سريعاً، والهروب سريعاً صوب الكوخ، صوب بر الأمان في المسكن الدافئ. ومع ذلك، اللحم؟

إريوك، من قاومت، قبل قليل الموت الذي كان يهدد أغاغوك، ومن شيدت، توأ كوخاً لايني مثله إلا القليل من الرجال، تستسلم للبرد؟ لقد طردت الأوهام.

وخبطت بذراعيها، ولكن في حالة صحوة كاملة، ثم ألقت نظرة من حولها على السهل حيث كان حيوان يهيم دون شك. فلاحظت، حينئذ آثار رنة قريباً منها.

ثم راحت تتفحص الأثر، مقرفصة، محاولة تذكر كل أقوال زوجها، وعلم تعقب الآثار والصيد الحاذق وعوائد الحيوانات. كان الأثر يسير متعرجاً، تتقاطع قوائمه الأمامية. وكان واضحاً أن الحيوان قد ارتقى، في أحد الأمكنة، على ركبتيه ثم نهض. كانت الصورة جلية، حيوان بين الحياة والموت، مذعور من هذا البرد الذي قهره، مشرف على الخضوع أمام القدرة الخارقة.

ولم تكن مخطئة. فعلى مرمى طلقة رأت إريوك ربوة من ثلج كومتته الريح. كان الأثر قد بلغ الربوة التي أدركت إريوك بأنها ستجد الرنة خلفها. فركضت، بينما جزمتهما الواسعة تنغرز في الأرض. ورأت، بعدما التفت

حول الكتيب لا رنة واحدة خلفه فحسب، إنما رنة أنثى هائلة جندلها البرد، وذكر رنة يحمم ويحوم حولها قلقاً.

راقبت إريوك المناورة لحظة دون حراك. ثم تنكبت بندقيتها، وبرصاصة مسددة إلى ما بين العينين قتلت الذكر. ثم أجهزت، على الأنثى نصف المتجمدة. وعادت سعيدة سعادة لم تشهدها قط في حياتها، عادة مسرعة إلى الكوخ في طلب الكلاب والحيال من أجل سحب الجنيتين.

لقد أنقذت أغاغوك. ففي غضون أقل من ساعتين، أمنت بجهدا هي، ومهارتها الشخصية، لحم الشتاء. مع اللحم المعلق في الكوخ ستمون الرنتان البقاء تمويناً وافرأ. وحشت إريوك الخطى.

إذ ربما انقضت الذئاب على الجنيتين اللتين ماتزالان دافنتين والتهمتها. كانت إريوك تركز الآن، وتسوط الكلاب وتحضها لتجري بأقصى طاقتها. لم تأت الذئاب. فشدت إريوك الجنيتين أولاً الواحدة إلى الأخرى، شداً متيناً، ثم أوثقتهما بطقم الكلاب. وجهزت الكلاب على شكل مروحي لتوزيع الجهد، وتعلقت هي نفسها بطرف الحبل، وكان الحبل الجلدي الطويل المار بطقم الكلاب تحت إبطيها. وعلى هذا النحو جرّت المرأة والكلاب، وهي لاهثة، الرنتين الميتتين حتى الكوخ.

كانت إريوك تحس بقواها وقد خارت من التعب، على أن العمل لم ينجز بعد. فقد كان نفق المر شديد الضيق بحيث لم تستطع إريوك أن تنسل بالحيوانين، عبره إلى الدفء في الداخل لتعمل بسلام وهدوء في تقصيهما. ولم تستطع كذلك أن تدع البرد يجمد الجنيتين إلى درجة يستحيل بعدها عملية السلخ والتقصيب. فلم يبق أمامها سوى أن تستجمع قواها. وبما أنها لم تستطع الاعتماد على مساعدة أغاغوك، فقد توجب عليها إنجاز العمل الملح وحدها.

دخلت إلى الكوخ. فرأت أغاغوك نائماً والصغير في حضنه. كان الموقد مشتعلاً خيراً اشتعال والدفء يعم المكان. فأكلت إريوك بسرعة، قطعاً من الشحم أخذتها من المؤونة، وشربت جرعة كبيرة من الماء الذي كان يغلي فوق الموقد. وبعد أن استعادت قليلاً قوتها تناولت المدية العاجية وإحدى المديتين

المعدنيتين.

وشرعت، بالخارج، في سلخ الرنتين. كان الجلد ثميناً. ولن يكون اقتناء الكثير منها فائضاً أبداً. ولاسيما جلد الأنتى هذا ذو الوبر الناعم الذي طالما رغبت فيه إريوك.

كان البرد يجمد الجثتين على مهل، فضاغت إريوك جهدها. لم تفكر بشيء سوى إنجاز ذلك العمل. كانت تقطع وتُجرى نازعة الجلد بإيقاع لم تصدق هي ذاتها بأنها قادرة عليه.

بعد نصف ساعة كانت إريوك قد أتمت سلخ الأنتى كاملاً والذكر حتى نصفه. وعندما قطعت إريوك من فوق الرقبة، آخر مساحة من الجلد، كانت الجثتان قد صارتا شبه متجمدتين. وكان على إريوك استغلال كل لحظة.

بمساعدة فأس، هذه المرة، وبأكبر مدية معدنية، قصبت إريوك الرنتين إلى أربعة أجزاء. في الأول إلى نصفين من فوق إلى الضلع الأخير. وبضربة قوية من النصل نزعت الأحشاء ورمتها للكلاب. ثم وضعت الكبد والقلب والكليتين جانباً. والشيء ذاته عملته مع الرئة الثانية. بعدئذ جزأت المؤخرة إلى قسمين، وشقّت العمود الفقري وعظام الحوض بضربة فأس. أربع حصص من اللحم تجمّد الدم فيها، صارت الآن متكومة قريباً من الجلدين المسلوخين.

وبالفأس أيضاً شطرت الرأسين والجذعين، ثم فتحت القفص الصدري من فوق، وقسمت الجزء الأمامي لكل رئة كما الجزء الخلفي إلى قسمين.

فصار بوسعها الآن تمرير بقايا الرنتين إلى داخل النفق، وإنهاء العمل في الكوخ.

كان الوقت مناسباً، لأن اللحم كان شبه متجلد، والجلود تجمّدت في كومة لاشكل لها تيبست أجزاؤها شيئاً فشيئاً. دفعت إريوك، بأناة، حصص اللحم إلى داخل الكوخ حصة حصة، ثم كدستها فوق المصطبة الجليدية قريباً من المدخل.

كان ينتظرها عمل أيام عديدة، عمل دأبت عليه بمجرد أن أدخلت كل شيء إلى الكوخ. كانت الكلاب تتنافس مزمجرة، في الخارج، على الأحشاء

التي كان البخار لايزال يتصاعد منها.  
استيقظ أغاغوك. وراح يتأمل، دون حراك، الصيد العجائبي، ورأت إريوك  
بأن عيني زوجها قد اتسعتا إعجاباً.  
- مهما كان الشتاء قاسياً، سنظل على قيد الحياة، قالت إريوك. فلدينا  
اللحم والشحم.

بعدئذ شرعت تعمل.

إن ما أنجزته حتى الآن لم يكن إلا عملاً تمهيدياً يقوم به الرجال عادة.  
الآن سيبدأ عمل النساء، العمل الذي تعرفه إريوك وكانت تقوم به خلال  
طفولتها كلها.

فأخذت كل حصة من اللحم، وبمديّة ذات نصل حاد قطعت اللحم إلى  
شرائح نازعة الشحم منها. واحتفظت بالعظام الكبيرة والمتينة لاستخدامها  
أدوات فيما بعد.

ولم تتوقف عن العمل إلا ساعة إعداد الطعام قرابة المساء، فشوت اللحم  
الطازح فوق لهب الموقد لتعطيه للصغير. وفي أثناء التقصيب تناولت هي  
وأغاغوك اللحم النيء، المنشط المذهل والمزيل للتعب، والذي يعيد الدم لأغاغوك  
ويريح المعدة من اللحم المدخن.

ظلت إريوك تعمل حتى ساعة متأخرة من الليل. كان أغاغوك قد نام منذ  
فترة طويلة، في حين أن أصابع المرأة الماهرة استمرت تقطع شرائح اللحم  
وتكدسها فوق المصطبة الجليدية.

وكان الكوخ، الكبير مع ذلك، مزدحماً بحصص اللحم التي لم تقطع  
بعد، وبالعظام المتراكمة في كومتين ستذهب إحداها للكلاب، والثانية  
للحفظ. وعقب المسكن برائحة شرائح اللحم، ورائحة الجلود التي ذاب الجليد  
عنها سريعاً.

وعندما تخدرت أصابع إريوك تخديراً شديداً، وتوجعت عضلات كتفيها  
وجعاً مبرحاً، نهضت منشقة يديها بمعطفها وذهبت لتنام آخذة تايابوت إلى  
حضانها لينام في حرارة جسمها.



## عاد إلى الحياة - Umayok

مرّ شهر على الحادث، غير أن الايقاع العادي في الكوخ لم يعد إلى سابق عهده إلا بعد مضي عشرة أيام على صيد المرأة السعيد.

كان أغاغوك ينهض الآن ويدور بخطوات مترنحة حول النار. ثم سرعان ما يحس بالإرهاق فيعود للاستلقاء ثانية.

لقد اعتادت إريوك، طوال الوقت الذي أحاطت فيه أغاغوك بعناية صبورة، اعتادت شيئاً فشيئاً على وجه أغاغوك الجديد، فتلاشى وهو في طور الشفاء، خوفها السابق من فقدانه.

سيعيش، وسيكون سيدها من جديد...

لكن شكاً ساور قلب المرأة الاسكيمو. فالرجل الشديد الإباء، الذي ضربها ذات يوم لأنها بكّت، والذي لم يعرف كيف يواسيها، هذا الرجل بالذات هل سيحسن العيش مع عاهته؟ ماذا عساها أن تفعل لتبعث في الرجل

الذي كانت تحب عزيمة العيش سيداً مطلقاً للخيمة والكوخ والتوندر؟ وبرزت في داخلها غريزة، كانت تملئ عليها الحركات التي تقوم بها والكلمات التي تقولها لإقناع أغاغوك بقدرته الثابتة.

وجلست، ذات مساء، قريباً منه ثم قالت:

- إنك لأقوى رجل.

وكان وميض في عينيها، وعلى وجهها ابتسامة، فحنَّ أغاغوك، ثم هزَّ رأسه حزيناً وقال:

- ليتني...

وقام بحركة تنم عن العجز. كان يتألم، وكانت هي تحس بذلك. ولكن كيف ينبغي التصرف والحال هذه؟

كانت إريوك تعرف إشارات الطاعة أكثر من الإشارات الأخرى. ولكن أغاغوك مدَّ يده ودسها تحت معطف إريوك حتى لامس بطنها، فرغبت إريوك في البكاء، لأنهما فهما بعضهما بعضاً جيداً دون التفوه بكلمة.

- ألا يوجد شيء هنا؟ سأل أغاغوك.

- كلا... مادام الصغير يرضع من صدري... هو الأمر كذلك.

تنهد أغاغوك وأدار رأسه.

- تستطيع... همست إريوك بنبرة خجولة.

كان تاياووت يتخفق، والموقد يهسّ هسيساً ناعماً. وفي الخارج كان الليل ساكناً دون ريح، حتى الكلاب كانت ساكنة، نائمة دون شك، في جحورها الثلجية.

- تستطيع... همست إريوك بنبرة خجولة.

لم يدرك أغاغوك شيئاً.

فسحبت إريوك، بحركات رقيقة، جلد الرثة الذي كان أغاغوك يتدثر به. ورأت حينئذ كم نحف الرجل. وتعرّت هي الأخرى، ثم اعتلت أغاغوك،

وشرعت، ببطء وورع، تنتزع، متنهدة متأوهة كما لو أنها تسكي، من زوجها ما قبل النشوة أولاً ثم بلوغ النشوة. ولأنها كانت شديدة الرقة والمثابرة كذلك، ولأنها عملت في إيقاع متأن وعذب، فقد استغرقت هي الأخرى في عالم مليء بالذكريات حيث كانت الرغبات والاختفاقات القرية العهد، تتدافع في داخلها على نحو جعلها تندesh من بلوغها النشوة في اللحظة ذاتها التي بلغ هو فيها نشوته. ثم ارتمت مرتعشة إلى جانبه، لتسمع طويلاً تنفس الرجل الصافر، وصوت الإنهاك شبه الكامل، وما كان يقوله لاهثاً:

- قريباً سأقف على قدمي. سأخرج، سأذهب للصيد. فلا بد من فراء للمقايضة...

وكانت تلك هي المرة الأولى، بعد الحادث، التي يعبر فيها أغاغوك عن أمل.

فرغبت إريوك التي اطمأنت اطمئناً شديداً، في البكاء ثانية. لم تكن تدري لماذا، فوجه أغاغوك الذي فقد ملامحه، مع هذه الثغرة الفاغرة حيث ظهر جلد جديد كثير التجاعيد أمغر، ما عاد يثير نفورها أبداً. وتسلسل مذك، فرح هادئ إلى استسلامها وخوفها الذي صارعته طوال أيام دون أن تعترف به، فرح مثل رغبة في العطاء طالما راودتها دون أن تجد فرصة لتليبتها حتى الآن. كانت تنظر إلى أغاغوك النائم، وتستطيع أن تدرك، دون خوف، إمكانية استمرار الحياة معه.

لا شيء يشغل بالها بعد الآن، لا الأسنان المكشوفة، ولا الأذن اليسرى المبتورة، ولا الثغرة المجوفة في مكان الأنف. فهذا القبح الذي سيكون حاضراً دائماً حتى يأتي الموت وينقذه منه، سيصير محتملاً لأنها وجدت، أخيراً، الرجل شديد الحنان مرة أخرى حتى وهو في قمة آلامه.

لقد ظل أغاغوك أعلى ما تملكه إريوك. أعلى حتى من تياووت الذي أنجبته منه. وسيظل هذا، مع ذلك سرها هي، لأن الطفل بالنسبة إلى أغاغوك كان أعلى من المرأة كلها، وعليها أن لاتنسى ذلك أبداً.

## الطائرة - Tigmierpak

عندما ذاب الثلج، وصارت التوندرا مرة أخرى مخضرة ومزهرة هنا وهناك، وعندما حلّت الخيام محل الأكواخ، هبط الطائر الكبير التابع للبيض على سطح الأرض المستوية قريباً من القرية.

وسمع راموك هدير المحركين.

فنبّه الرجال. وعندما حطّت الطائرة، وسارت حتى مركز الخيام، كان راموك قد بلغ المركز على رأس قبيلته ينتظر، كالعادة، بوجه مغلق.

نزل أربعة من رجال الشرطة من الطائرة. ومعهم اثنان آخران لم يستطع راموك تحديد هويتهما. كانا في ثياب البيض بهيئة عجز راموك عن معرفتها. أهما، حكماً على مظهرهما، مسؤولان مهمان وأكبر مسؤولية حتى من رجال الشرطة؟

سته رجال.

راقب راموك وصولهم برباطة جأش.

لقد دُفن أندرسون بعيداً. ولن يعنّ لهم تنقيب التونдра كلها. وبخلاف ذلك كيف يمكنهم اكتشاف ما حدث؟

والخائن الوحيد الخطير أياً ليك لم يعد في هذه الدنيا. لقد نجا راموك، وكان يشعر بالأمان.

كان أحد رجال الشرطة يحمل على ذراعه أكثر من شريطين. كان راموك يعرف بأن ذلك يعني: أن صاحب الشريطين سيتحدث باسم الآخرين. وسيصدر الأوامر.

- راموك؟

عرفوه من بعيد إذن؟ فارتسمت ابتسامة عريضة طفولية على وجه راموك. ألقى نظرة على رجاله فرأهم يراقبونه باحترام شديد، بمن فيهم الساحر غوروك الذي سأل:

- أهو معروف لديكم إسم راموك؟

كان ضابط الشرطة أمامهم. خلفه رجاله، وبجانبه ولكن على انفراد، الأبيضان في معطفين لمّاعين.

- اسم راموك معروف لدينا، أجاب الضابط.

وفرّق كعبيه ناظراً إلى راموك من علي ثم قال:

- أنا سكوت. نرغب في التحدث إليك.

- هل أنت الرئيس؟ سأل راموك.

- نعم، أنا رئيس الناس الذين معي هنا.

وأشار إلى رجاله البيض هناك.

فحكّ راموك ذقنه. كان يبدو قلقاً. فالأبيضان ليسا إذن مسؤولين كبيرين. ولكن من عساهما أن يكونا؟

- مادمت رئيساً، قال راموك أخيراً، بوسعك التحدث إذن مع الزعيم، على أن يظل الآخرون هناك.

وحدد بدقة:

- ورجالي مثلما رجالك.

كان ضابط الشرطة سكوت، أرفع رتبة حتى من أندرسون. بل من مراقبيه. كان شاباً ذا عينين ثاقبتين، داكنتين، وشفتين دقيقتين. كان يتحدث بطلاقة بلغة الاسكيمو، وكان يبدو أنه يعرف العادات ويقدم نفسه كما يجب. ارتبك راموك. وخاف، لكنه أخفى ذلك جيداً عن الأنظار. انحنى، إنما ليس إلى درجة يمكن وصفها بانحناءة إذلال. ودعا الضابط بإشارة قائلًا:

- هيا بنا إلى خيمتي.

تبعه سكوت، وسارا حتى بلغا مسكن الزعيم.

احتل الاسكيمو، في الداخل، مكاناً فوق أحد الجلود وانتظر. جلس سكوت قبالة الزعيم، ولكن ليس أقل هيبة ولاهيمنة. عيناه شاخصتان في عيني راموك الذي أدار رأسه أخيراً.

- في العام الفائت، قال الضابط، أرسلنا ضابطاً من الشرطة باسم أندرسون إلى هنا. ونعرف بأنه قد بلغ هذا المكان لأن طائرة شاهدته وهي تمر من فوق قريتكم. ونعرف بأنه لم يعد إلى الجنوب فأين هو؟

قطب راموك جبينه.

- ومن أين لي أن أعرف ذلك؟

فتوتر سكوت.

- فاعلم يا راموك زعيم القبيلة، بأن أندرسون قد جاء إلى هنا ليحقق في موت واحد من المهريين البيض. نكاد نكون على يقين بأن المهرب الأبيض قد قُتل هنا، وأنكم، علاوة على ذلك، قد قتلتم أندرسون. إنني أعطي قبيلتك مهلة حتى الغد لتسلمنا المذنب.

أحس راموك بالغضب يعصف به. غضب بارد، غضب زعيم مُهان.

- إنني في بلادي. قال راموك.

- وبعد؟ من يسن القانون؟

- أنت.

- إذن عليك الانصياع لقانوني.

- انصاع لما أشاء.

ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وأضاف بنبرة جافة:

- اسمع، كم هو عددكم؟ ستة؟... نحن خمسون.

نهض سكوت. ابتسم هو الآخر، ناظراً إلى راموك من عليائه.

- هل تعتقد بأنك ستفوز؟ ستأتي طائرات أخرى، الواحدة تلو الثانية. وإن استدعى الأمر أن يأتي مئة رجل، فسيأتي مئة، وسوف تُبادون. ولكن مهما كان عددكم، وإن حدث فرضاً وانتصرتم فأين ستبادلون الجلود، ومن أين ستأخذون الطلقات، والبنادق الجديدة، والزيت من أجل المصاييح؟ وحبال شباككم؟ أنت تعلم بأنكم ماعدتم تعرفون حياكة الشباك من السيور الجلدية، فمن أين ستأخذون الحبال المَقْطَرنة؟

طاطاً راموك رأسه ولم يقل شيئاً.

- ستجهز نساؤكم الطعام لنا هذا المساء. على أننا سننام في الطائر الكبير، في منجى من رصاصاتكم. وإذا ما اقترب أحدٌ منكم فسيُقتل. على المذنب أن يسلم نفسه غداً صباحاً.

رفع راموك رأسه ببطء قائلاً:

- وإذا لم يسلم نفسه؟

- لدي ستة رجال، والطلقات، ومتسع من الوقت... هل تعرف من هما

الأبيضان الآحران؟ في الثياب المدنية؟

- كلا.

- إنهما عالمان. ساحران كبيران. لقد أحضرا معهما علماً سحرية، ونظارات لقراءة الماضي، واستكشاف الغيب. سيبحثان في كل مكان بالقربة. وإذا كان دم إنسان قد سال في أحد الأمكنة فسيعرفانه على الفور. حتى أن بوسعهما تحديد صاحب الدم، والأوردة التي سار فيها الدم. سيعثران على بقايا إنسان محترق، وسيعرفان إن كان ذلك واحداً من البيض أو من ال INUIT. سينقبان التوندرتا يساعدهما في ذلك رجالي من الشرطة، وسيجدان بغتة بقايا جثة مخفية. سينبشان الطحلب وبإمكانهما أن يحددا أيضاً من أية بندقية خرجت الرصاصة التي قتلت أندرسون. ويوم وساعة إطلاق هذه الرصاصة. لست بحاجة إلى اعترافات المذنب. وعندما ينهي ساحراي عملهما سأعرف ما يكفي لاقتياد الجاني معنا.

ثم انحنى قليلاً، انحناءً أبوية مضيئاً:

- أنت تعرف ياراموك أن البيض أناس مقتدرون وحاذقون. لديهم ضروب من سحر عظيم. يتحدثون عبر المسافات، يطيرون في الجو، يثبتون وجوهكم على الورق. إنهم يعرفون كل شيء، ويكشفون كل غيب. والشيء الذي لا يكشفونه، يكشفه لهم سحرتهم. فهل تعتقد حقاً بأنك تستطيع أن تغلبنا؟ بعد أن تناول البيض العشاء في هذا المساء، وبعد أن انسحبوا إلى الطائر الكبير للنوم فيه، استدعى راموك شيوخ القبيلة إلى الاجتماع في خيمته.

تحدث راموك عما قاله سكوت، وعندما أنهى حديثه همس بصوت قلق:

- لم يبق أمامنا إلا شيء واحد نفعله.

فلم ينس أحد منهم بينت شقة. كان ضوء المصباح المشبع بالدخان ينير الوجوه المزينة المعلقة ذات العيون الضائعة في محاجرها الضيقة والمعقدة.

- لا بد من تسليم أغاغوك، قال راموك.

- إنبك؟ سأل غوروك.

- نعم.



- تسليمه إلى البيض؟

- نعم. هو أو أنا. وكوني زعيماً، فلي الحق في أن أنقذ حياتي.

عندما انصرفوا، ظل غوروك، فقال له راموك:

- اذهب حالاً وأحضر «زوادتك». واحمل من طرفي، هذه البندقية إلى أغاغوك. أعتقد أنه سيحب هذه الهدية. وعندما تعود سأبلغ الشرطة عنه.

ومدّ إلى غوروك السلاح الذي استخدمه في قتل أندرسون.

- أفي الغد عليك أن تسلم مذنباً؟

- سأدعهم ينتظرون عودتك. سأجد الذرائع. اذهب دون ضجة، تحول بعيداً عن الطريق المباشر ذهاباً وإياباً. لا أريدهم أن يعرفوا بأنك ذهبت إلى هناك.

عندما انصرف غوروك، لم يلحظ أحد بمن فيهم الشرطة النائمون في الطائفة، اختفاءه.

سار غوروك الجزء الباقي من الليل، ولم يبلغ خيمة أغاغوك إلا في نهاية اليوم التالي. كان لا يكاد يقف على قدميه لفرط ما ركض حاملاً البندقية الثانية فوق كتفيه، البندقية التي أرسلها راموك هدية لأغاغوك، عبثاً كان بوده التخلص منه.

وكانت إريوك هي من استقبلته.

كانت وحيدة. فلقد ذهب أغاغوك، في العشية، صوب الجنوب قائلاً بأنه قد رأى طيوراً كبيرة قادمة من هناك. كان عليه أن يغيب مدة يومين.

لم تقل إريوك شيئاً من ذلك لغوروك. كانت تنظر إلى الرجل ببرود واقفة أمام الخيمة، سادة المدخل.

- جئت حاملاً هدية، قال غوروك.

ظلت إريوك ساكنة. وساكنة أيضاً. فمدّ لها غوروك البندقية.

- ما هذا؟ سألت إريوك. من الذي أرسل هذه البندقية؟

- راموك.

- لماذا؟

- قال بأنه لم يفعل سوى القليل من أجل أغاغوك. وبأنه لم يأت إلى هنا أبداً ليرى كيف تعيشون. وإذا يستميحكم عندي بعدكم بزيارة قريبة. وفي انتظار ذلك تقبلي هذه الهدية لأغاغوك...

- إنها بندقية قديمة.

- أجل، وهي عزيزة جداً عند راموك، وهاهو لذلك يقدمها لابنه.

ارتابت إريوك، لم تكن تحب غوروك. ولا راموك. وتنبأت بأن الأمر ليس إلا خدعة من هذه الرجلين. فدفعت البندقية عنها قائلة:

- أغاغوك ليس هنا.

- هل سيعود؟

ترددت لحظة، ثم رأيت من المناسب أن تضيف:

- ربما في وقت متأخر... لأدري.

فالتمعت عينا غوروك، إلا أن إريوك ضحكت هازئة وقالت:

- أعرف أنا أيضاً كيف أقتل.

ومدّت يدها خلفها تنبش في الخيمة، ثم أخرجت بندقيتها معلنة:

- إنني مسلحة مثل رجل.

هزّ غوروك كتفيه، إن امرأة لا تستحق المخاطر. جلد دب أبيض، ثلاث فقمات مصطادة تواء، ربما تستحق، أمّا امرأة؟...

فرمى بندقية راموك على الأرض قائلاً:

- لقد جلبت الهدية. وليس لدي بعد ما أفعله هنا.

- وأنا لأستطيع تقبلها.

- يجب عليك ذلك.

وأدار ظهره إلى المرأة، وسار مسرعاً باتجاه النهر. فرأته إريوك يلج الماء ويتخبط فيه سعياً للإمساك بسمكة. ثم خرج ظافراً يمك بسمكة (تروثة) دسمة الجوانب سمينة، استطاع أن يقبض عليها في الماء ثم صاح:

- لاحظي، فأنا لم أطلب منك حتى إطعامي!

جالساً على الضفة الموحلة، شرع يلتهم السمكة النيئة، ماسحاً بظاهر يده دم السمكة وأحشاءها التي كانت تلتخ ذقنه. وعندما شبع، نهض وسار حتى بلغ مكاناً كان الطحلب فيه أنشف ثم استلقى هناك قائلاً:

- سأنام هنا. وبعد أن ارتاح سأعود إلى القرية.

راقبته إريوك طويلاً، ثم دخلت الخيمة.

وعندما فرغت من الأكل، وأشبعت الطفل أيضاً، خرجت لترى غوروك لا يزال مستلقياً في المكان ذاته. كان ساكناً ويبدو نائماً.

فارتمت إريوك على المصطبة، ولكنها بقيت جالسة مستندة إلى عمود من أعمدة الخيمة. كانت واضحة بندقيتها، عرضاً، على ركبتيها.

ونام تاياووت، وساد السكون في الخيمة وفي التونдра. وصعد القمر متذبذباً في السمت ثم مال ببطء نحو الغروب. وعندما غاب، تألقت النجوم.

فنهضت إريوك وراحت تنظر في الخارج. كان غوروك قد ذهب. وعندما تأكدت، في وقت جد متأخر، من أن غوروك قد عاد إلى القرية، نامت هي الأخرى، ولكن جالسة دائماً والبندقية في يدها.

أفاقت عند الفجر. لم يبق أي أثر لغوروك، سوى هذا السلاح الذي تركه خلفه، والذي كانت إريوك تتأمله بعين قلقة.

لم تصدق قصة راموك هذه. إذ لم يكن من طبعه إرسال مبعوثين محملين

بالعطايا على هذا النحو. ثم إن كان راموك هو من أوفد غوروك حقاً، فثمة دافع آخر شجعه على ذلك، ولكن أي دافع؟

واستمرت إريوك تفكر طوال اليوم بهذه الزيارة، وبهذه البندقية المرسلة إلى أغاغوك بصورة غريبة. وانتظرت عودة زوجها بفارغ الصبر، لتدعه يدلي برأيه الخاص، ويتخذ القرار الذي يراه مناسباً. وأمضت كذلك ساعات طويلة تراقب التوندرا، مترصدة ظهور خيال قصير وسمين هناك في الأفق الجنوبي.

## الهدية المستلمة - AITUSIAK

رجع غوروك إلى القرية دون أن يراه رجال الشرطة.  
وسار خلف الخيام، ليلاً ثم انسل، مثل لص إلى خيمته. وفي الطائرة كان رجال الشرطة نائمين.

لم يحصل راموك على المهلة بسهولة. إنما توجب عليه أن يلح ويعد.  
فارتبط بكلامه ارتباطاً شديداً.

- تريد المذنب، قال راموك لسكوت، حسناً، سيكون ذلك، غير أن الأمر ليس سهلاً.

- لماذا؟ مادمت تعرفه، فما عليك إلا أن تشير بإصبعك.

كشّر راموك، وقتل يديه. كان يلعب دوراً من أخطر الأدوار في حياته  
زعيماً للقبيلة. إذا لم يكن هناك شيء يقنع سكوت، فستكون نهاية راموك.

لابد، قبل كل شيء من منع هؤلاء السحرة البيض من التنقيب في ضواحي القرية. فلم يعد اكتشاف جثة أندرسون ينطوي على خطر كبير، بعد أن حمل غوروك البندقية إلى أغاغوك. لأبأس، إن تمّ التمثيل بالجثة. فعلى سكوت أن يعرف عادات الاسكيمو معرفة كافية ليدرك المشهد... سيتهم راموك وغوروك والقرية بأسرها بالتهام كبد الرجل وخصيه...

كان لابد، أولاً من انتظار عودة غوروك.

بعدئذ، ختم راموك، سيوجه رجال الشرطة اهتمامهم إلى هناك، قريباً من النهر، حيث يعيش أغاغوك...

- لماذا لاتسلمني المذنب حالاً؟ كان سكوت يسأل بإلحاح.

- لأستطيع، امهلني يوماً أو يومين آخرين، وسيكون البلاغ في حوزتك. أقسم لك. فأنا الزعيم هنا، ولا أكذب قط.

لم تبتد على سكوت آثار الانفعال.

- يومان، وثلاثة أيام، بوسعك أن تمط اللعبة هكذا لسنة كاملة. أعطني سبباً!...

- ستقتنع بالسبب، عندما سأقول لك من القاتل، ستقتنع تماماً.

ثم استغرق راموك في الصمت. كان متشبثاً برأيه، ولم تُجد معه نفعاً كل تعنيف سكوت ووعيده.

عندما عاد سكوت إلى الطائرة، كرر لرجاله فحسب أقوال راموك مستنقجاً:

- لقد وعدني بتسليمه. أما حالياً فعدا استخدام هذه الأساليب التي تثير نفوري، ليس بوسعي أن أفعل أي شيء آخر.

وانتظروا.

في صباح اليوم الرابع، ذهب سكوت مرة أخرى إلى خيمة راموك.

- الآن، هيا تحدث. قال سكوت.

كان غوروك، الذي عاد بعد سير حثيث، ينام في خيمته.

- أنا مستعد، أذعن راموك. لقد توجب علي التفكير بالأمر مطولاً. وإن كنت سأبلغك به فلرغبتي في احترام قوانينك. إنني أريد العيش بسلام مع البيض.

- من الذي قتل براون؟ ومن الذي قتل أندرسون؟

- أعرف من قتل براون.

- وأندرسون؟

- لأعرف.

- أنت تكذب.

- إن من قتل براون، قال راموك على عجل، هو أغاغوك.

- أين خيمته؟

- مهلاً، قال راموك، دعني أشرح لك، وستفهم. إن أغاغوك لا يعيش هنا.

وأشار صوب الجنوب.

- هناك... مسافة يوم من السير... وأكثر قليلاً، هناك يوجد نهر. يعيش

أغاغوك هناك وحيداً مع زوجته.

- سنذهب إليه.

- فكّرت، وانتظرت. لم أكن أعرف كيف أقول لك ذلك.

- لماذا؟

- إن أغاغوك هذا هو ابني.

فساد الخيمة صمت عميق. كان سكوت يحرق، وقد جحظت عيناه،

في راموك. لم يصدق حقيقة بأن راموك سيبلغ عن مذنب. ولأول مرّة خلال

تجربته كلها في القطب يرى واحداً من الاسكيمو يغدر بجماعته غدراً شائناً.  
والأكثر غرابة أيضاً هو أن يغدر بابنه!

- أريد سلام البيض، دمدم راموك، مطأطيء الرأس. واحترام قوانينهم. لقد  
كانت لدي أسباب مقنعة لأطلب منك مهلة...

- هذا واضح.

- عندما انصرف أندرسون للذهاب إلى أغاغوك...

- هل قلت لأندرسون بأن ابنك هو من قتل براون؟

- نعم. وذهب ليعتقله. ولم نره ثانية.

- تابع.

- بعد ذهاب أندرسون، جاء أغاغوك إلى هنا وترك بندقية في خيمتي.  
وعندما تحدثت عن سحرتك الذين بوسعهم تحديد البندقية التي خرجت منها  
الرصاص، حينذاك أدركت... إن أغاغوك شاب وسيم. ويعرف علوماً أكثر  
مني. كما أنه يعرف عادات البيض والكثير من أسرارهم، لقد ترك البندقية ليعثر  
عليها في خيمتي، ويتم اتهامي. كان يريد التضحية بي من أجل إنقاذ نفسه!  
لذلك فلقد أرسلت غوروك ليعيد البندقية إلى أغاغوك. فهو لم يعد ابني.

- لقد قلت بأنه قتل براون أيضاً؟

- نعم. وبإمكانني، إن رغبت، إحضار الشهود لك. القبيلة كلها ستقول  
لك بأن أغاغوك قد أحرق براون في خيمته.

روى سكوت، في الطائرة، ما سمعه توأ من راموك.

- إنها قصة متقنة إتقاناً بالغاً، حيث يسهل تصديقها دونما تحفظ. قال  
سكوت ذلك مختتماً به حديثه، من جانب آخر...

كيف يمكن التأكد من صحة أقوال راموك، دون الذهاب بحثاً عن  
أغاغوك؟ فمع هؤلاء الاسكيمو لاتستطيع التنبؤ أبداً بالمفاجآت التي تنتظرك.



لقد تعلّم سكوت، منذ أن تسلّم قيادة الشرطة في هذه الأقاليم، بأن هذه الكائنات البدائية تتصرف بأخلاق غريبة بغية تسويغ ارتكاب أعمال إن لم نقل جنائية، فهي على الأقل مخالفة للقوانين لدى الشعوب الأكثر تحضراً. وراموك الذي أبلغ عن ابنه، ربما لم يقل الحقيقة، لأسباب لا يعرفها أحد سواه حالياً. من جانب آخر، ماذا لو كان كلامه صحيحاً؟ سيذهبون إذن، بحثاً عن أغاغوك...

## الهدية المعتادة - TUNI'YUT

عاد أغاغوك من الجنوب حاملاً معه ثمانية سمورا مسكياً، وثلاثة ثعالب، وجلد ذئب مكشط وأكثر من اثنين من تلك الطيور الكبيرة التي أغرته بالذهاب إلى تلك الأنحاء.

ورأى في مكان أبعد مروجاً مكسوة بالأدغال، ودروباً كثيرة الحصى، لو سار يومين آخرين، أجزم أغاغوك، لشاهد الشجر.

- نحن إذن قرييون جداً من بلاد البيض؟ سألت إريوك.

- نعم. وبإمكاننا أن نذهب إلى هناك ذات يوم، لنشاهد أية بلاد هي...

- كي نعيش فيها؟

- أبداً.

فبدت المرأة مطمئنة ثم قالت:

- إنني أحب جداً هذه الأصقاع التي نعيش فيها. وحسبي هذا.

عندما تحدثت إريوك عن زيارة غوروك، وأطلعت أغاغوك على الهدية المرسله من راموك، أخذ أغاغوك يفكر بجزء، ظهر ذلك في طريقة تفحصه البنديقية. لم يكن أغاغوك يثق بوالده أبداً. كان يعرفه جسعاً وماكراً. وإذا كان قد هجر القرية، فلأنه لم يعد يستطيع أن يقبل براموك زعيماً. كان راموك والده، فليكن، وهو مدين له - وفق مقتضيات التقاليد على الأقل - بالإحترام والطاعة. ولكن إن كان قد تركه، فلأنه كان يخشى تحديداً من أن ينصاع لأوامر راموك الخطيرة، ويخدم مصالحه الشخصية.

لم يكن ذلك عقلاً بالنسبة إلى روحه البدائية. لقد ترك القرية منقاداً للغريزة أكثر مما لعاطفة متعقلة. وأحرق براون لأن براون قد خدعه، أحرقه ليأخذ العدل مجراه. وليس يباعث شخصي.

لقد رغب أغاغوك، قبل لقائه ببراون بوقت طويل، في الذهاب بعيداً كي يبدأ حياة جديدة. أراد أن يكون بعيداً عن راموك وعن روحه الشريرة التي كان يخشاها، وعن غوروك وشعوذاته الصبيانية غالباً، وعن آيالك والكثيرين غيرهم. أراد أن يكون وحيداً، وفي أمان.

وهاهو راموك يرسل إليه اليوم هذه البنديقية.

لم يقتنع أغاغوك بالأسباب التي قالها غوروك لإريوك. فلماذا تفضّل راموك بإرسال هذه الهدية له؟ إلا إذا كان المقصود هو مكيدة خطيرة من زعيم القبيلة...

تفحص أغاغوك البنديقية مطولاً.

هل تُرى تخفي خيانة؟ وكانت أول فكرة خطرت على باله هي أن راموك يريد التخلص منه لسبب غامض. لقد توقع راموك بأن أغاغوك لن يسرع إلى أي عمل آخر مثل تجريب البنديقية التي ربما تنفجر. فألصق أغاغوك عينه بالسبطانة،

متفحصاً جوفها. ثم بدأ يلعب مع ديك البندقية، وفكّ الأخمص وحزّر الماغم. وضغط على الزناد، وحرك آلية الرش، غير أنه لم يكتشف أي شيء يبعث على القلق. ولكن من يعرف دهاء راموك؟ ومدى قحته؟

فكّر أغاغوك لحظة في أن يجرب السلاح فعلاً، ولكنه عدل من ذلك. فإذا كانت البندقية هنا، الشيء الذي أراد راموك، فلماذا يدع أغاغوك نفسه يقع في المصيدة؟

- ماذا ستفعل، سألت إريوك جالسة على الأرض قبالة الخيمة.

وزنّ أغاغوك البندقية مقطّباً جبينه. ماذا عساه أن يفعل في الواقع؟ فكر بالقاء البندقية في النهر. ولكن ذلك بدا له غاية في السذاجة.

- أعتقد، قال أغاغوك ببطء، بأنني سأذهب لأعيد البندقية إلى راموك.

ولكن إريوك صاحت:

- كلا، كلا، لاتذهب إلى هناك! إنه الفخ الذي نصبه لك، يريدك أن تذهب إليه!

إلا أن أغاغوك كان قد اتخذ القرار. وكان عليها أن تعرف ذلك. على أية حال، فلقد أراد أغاغوك إبعاد هذه البندقية التي لم يكن يعرف فيما إذا ما كانت هدية أم حيلة مؤذية ابتدعها راموك والساحر غوروك.

- سأذهب إلى القرية. سأذهب حالاً.

- وستلتقي براموك؟

تردد أغاغوك لحظة.

- كلا... أظن بأنني لن ألتقي به. سأخفي السلاح في خيمته ثم أعود...

- سيشاهدك.

- سأصل في الليل. ولن يلاحظ أحد زيارتي.

وانطلق بعد مضي دقائق، دون أن يأخذ معه سوى بندقيته إضافة إلى

السلاح الذي سيعيده إلى راموك، وبعضاً من اللحم المجفف وقربة ماء صغيرة،  
سياًكل بزهد، وسيسير دون توقف وبسرعة.

- احترس من غوروك، قالت إريوك. فهو لم ينصرف من هنا إلا منذ وقت  
قليل. سيكون أمامك.

- سأترصد، قال أغاغوك. وإن اقتضى الأمر سأحيد عن الطريق، وإن  
وصلت قبله سيكون ذلك أفضل.

ولكنه كان يعلم بأن غوروك مثناء سريع. أما كانوا يقولون بأن الساحر  
يتلقى، أحياناً، المدد من الأرواح التي تنقله لمسافات طويلة في لمح البصر؟  
سار أغاغوك إذن باتجاه القرية، وقد تلاشى خوفه فجأة من غوروك ومن  
الأرواح ومن أولئك الناس الذين هناك، لشدة ما كان متعجلاً في التخلص من  
هذه البندقية المكتنفة بالأسرار.

ورأى أغاغوك، بعد أن بلغ القرية، طائر البيض الكبير رابضاً فوق التوندرا  
قريباً من الخيام، وأدرك بأن أمراً هاماً قد حدث. واستطاع مع ذلك التسلل إلى  
خيمة راموك، دون أن يلفت الانتباه، وإخفاء البندقية هناك.

كان أغاغوك، بعد أن أتم السفر وعاد إلى خيمته، واثقاً من أن وجود  
البيض هذا المقترن بهدية راموك لا يبشر بالخير أبداً.

## الشرطي - POKIAKTALIK

في اليوم التالي من عودة أغاغوك هبطت الطائرة في التوندرا قريباً من خيمته، ونزل المسافرون منها. سكوت أولاً، يتبعه شرطيان آخران، ثم راموك فغوروك وتوغوغاك.

ورأى أغاغوك أولئك الرجال يتقدمون نحوه، ثم توقفوا فجأة وكأنهم حائرون. سار راموك بخطوتين إلى الأمام لكأتما يتفحص أغاغوك. لم يقل شيئاً، إنما صدرت من أعماقه ما يشبه دمدمة، ضرب من الاستفهام. ثم التفت نحو غوروك الذي بدا له مشدوهاً هو الآخر.

كان الشرطي الذي بدا لأغاغوك رئيساً أضخم من الآخرين وأطول، كان ينتظر متأنياً بعين مُنقَّبة.

لم يفهم أغاغوك. فكيف يمكنه أن يعرف، دون وجود مرآة في الخيمة، بأن وجهه المشوه لم يفزع الزوار فحسب، بل عقّد أمورهم أيما تعقيداً؟

كانت إريوك واقفة بعيداً، تحدّق في الموكب الغريب. وإذ لاحظت حيرة راموك الجليلة أدركت فجأة بأن هؤلاء الرجال لم يتعرفوا إلى أغاغوك.

لم تكن تعرف سبب مجيئهم، ولكنها، من جانب آخر، كانت تعرف بأن حضور راموك وغوروك معهم هو نذير شؤم وتذكرت بغتة سفرهما - هي وأغاغوك - إلى صيد الفقمة. فعلى الرغم من وجود تاياووت - مفخرة أغاغوك - معهما، إلا أن أغاغوك لم يرغب في المرور بالقرية. إنما فضّل القيام بدورة كبيرة كي يتجنبها.

لم تعلق إريوك، يومذاك، أية أهمية على ذلك السلوك، ولم تشغل بالها به كثيراً. غير أن وجود البوليس هنا وكذلك INUIT القرية برئاسة زعيمهم كان ينذر بمأساة. فربطت إريوك، بحس فطري، الحداثين بعضهما ببعض.

إضافة إلى ذلك، تذكرت إريوك سراً آخر قام به أغاغوك إلى قريته، في المدة الأولى من إقامتهما قريباً من النهر. ألم يعد، يومذاك، مع صرة الجلود التي كان قد أخذها للمقايضة عند رجل أبيض؟ ألم يرجع عبوساً ومتدمراً ولايطاق؟ لماذا؟

ما الذي حصل؟

إن سير الأحداث بطيء في القطب. فالدورة تحتاج أحياناً إلى فصول عديدة كي تكتمل. من الممكن أن قدوم الشرطة له علاقة بإقامة أغاغوك في قريته منذ شهر خلت.

ونفضت إريوك في الحال عازمة على كل شيء. فلم يكن ذلك سوى مكيدة من راموك، ودسيمة شريرة من تدييره. آه! كانت إريوك مستعدة لتقديم كل شيء مقابل أن يوح لها أغاغوك بقصة تلك الرحلة... واليوم كيف بوسعها أن تقاوم على نحو أفضل!

كانت المجموعة لانتزال واقفة أمامهما، دون أن يجرؤ أحد منها على الكلام. ثم قام رئيس الشرطة بحركة، غير أن راموك سبقه بأن أمال رأسه إلى الأمام محدقاً في أغاغوك سائلاً:

- أين هو.. أغاغوك؟ أهو أنت؟

مرر أغاغوك يده بيضاء على وجهه، وأدرك فجأة بأن شكله قد تغير. فسكن روعه. وتراجع الخوف الذي استبد به لحظة مشاهدة رجال الشرطة ينزلون من الطائرة، تراجع الخوف قليلاً، وكفّ عن الضغط على صدره. فاستعاد أنفاسه. ولكن قبل أن يجيب كانت إريوك قد تقدمت قائلة للرجال:

- أغاغوك... ماذا تريدون منه؟

كان سكوت يتأمل المشهد بفضول. لم يكن قد أعد نفسه لرؤية نصف المسخ هذا. ثم ألم يقترّ راموك، تلقائياً، بأن أغاغوك شاب فتنيّ ووسيم؟ - لقد تمّ قتل مهرب أبيض باسم براون، قال سكوت بيضاء لإريوك. وقتل أيضاً واحد من ضباطنا واسمه أندرسون. نعتقد أن الجاني هو أغاغوك. ونحن بصدد البحث عنه. لقد قالوا لنا بأنه يسكن هنا.

فتملّك إريوك شعور من العزاء كبير. وأمسى كل شيء أسهل على حين غفلة. إنها ذاتها - امرأة من الاسكيمو - لم تكن حديثة العهد بالمكائد، حتى وإن كانت تشمئز غالباً من ممارستها.

إن ما شجّع إريوك هو وجه راموك المتحير، وكذلك وجها غوروك وتوغوغاك المرتبكان. فاقتربت من أغاغوك وتأبطت ذراعه وتشد بأصابعها عليه شداً قوياً.

- كنا نعرف واحداً اسمه أغاغوك، قالت إريوك بهدوء لسكوت.

- كنا نعرف واحداً اسمه أغاغوك، كرر أغاغوك خلفها.

حتى صوته كان قد تغير، وصار أصم. وكانت الكلمات لاتكاد تكون واضحة وهي تخرج عبر اللحم الممزق.

تخيّر سكوت. فما الذي يحدث؟ لاشيء حتماً مما توقعه. ولم يساعده موقف راموك.

كان الزعيم العجوز يحدق في الرجل الواقف أمامه، متفحصاً إياه



باهتمام، باحثاً عن شيء ما في وجهه وحركاته.  
- أين هو أغاغوك الذي عرفتموه؟ سأل سكوت.

هزت إريوك كتفيها مجيبة:

- لأعرف.

والتفتت نحو زوجها ثم أضافت:

- أنت، هل تعرف؟

فجاء دور أغاغوك ليعبر عن كامل لامبالاته.

- كلا.

عاد الشرطيان اللذان أشار إليهما سكوت بالذهاب لتفتيش الخيمة، عادا حاملين ثلاث بنادق. فتناولها سكوت، ومدّ واحدة منها لراموك الذي تفحصها.

تردد راموك قليلاً، وكأنه يتفكر. ثم هزّ رأسه معيداً السلاح لسكوت قائلاً:

- كلا، ليست هذه هي البندقية.

فقدّم له سكوت الثانية ثم الثالثة.

- وهاتان؟

ولكن راموك لم يفحصهما حتى. فالسلاح الأخير الذي عُرض عليه كان جديداً تقريباً، ذا عيار قوي وصناعة حديثة.

- كلا.

واستولى الذعر على الزعيم العجوز. فلم تكن بندقيته موجودة بين البندقيات الثلاث. وتلفت حوله، كما لو أنه يبحث عن شيء آخر.

- حسناً! قال سكوت.

- بندقيتي... أين هي؟ سأل راموك.

- أليست واحدة من تلك؟

فأشار راموك بالنفي وقال غاضباً:

- لم يفتش رجالك الخيمة.

ولكنه شعر بأن لافائدة من ذلك. إن غوروك لم يخدعه. فلم ترض إريوك بالإحتفاظ بالهدية، أو أن أغاغوك هو بالأحرى من رفضها... سواء كان هذا أم ذاك فالنتيجة واحدة، مادام أن سكوت قد قَدَّم له بنادق مختلفة.

- لم يفتش رجالك الخيمة تفتيشاً جيداً! كرر راموك. إن بندقيتي ليست

هنا!

- بندقيتك؟

- أقصد... تلك التي أرسلتها إلى أغاغوك.

لقد نفذ صبر سكوت. فسأل الشرطين:

- هل بحثتم في كل مكان؟

كان سؤاله دون مغزى. فقد كان الشرطيان خبيرين في مهنتهما. ولانتطوي التوندرا على الكثير من المخائئ خارج الخيمة. وإذا انتهى أحد الرجال من البحث بين الأدغال الصغيرة قرب النهر صاح:

- لا يوجد شيء هنا.

بقي التعرف...

تقدم سكوت يتفحص أغاغوك عن كئيب، ثم قال:

- هذه الجروح حديثة العهد إلى حد ما.

- لم يهتز الاسكيمو. وظلت إريوك هادئة هي الأخرى. فما كان يقوله الضابط لم يعد خطيراً، الآن بعد أن سمعتُ ماقاله راموك عن «بندقيته» التي أرسلها إلى أغاغوك. كانت تعرف قساوة راموك مع ذلك، وبرهن لها مشهد

البندقية على أنه قد دبر كل شيء، على الأرجح، بالاتفاق مع غوروك. ماذا سيفعل الآن؟

قرر سكوت فجأة بأنه قد ضيع الوقت كثيراً. فكشف الأوراق قائلاً لأغاغوك:

- إن راموك الذي يدعي بأنه والد أغاغوك، قد قادنا إلى خيمتك، مؤكداً بأن أغاغوك قد قتل الرجلين الأبيضين. يؤيده في ذلك غوروك والآخر توغوغاك. أريد أن أعرف أين أغاغوك؟  
ثم استدار نحو راموك يسأله:

- هل تستطيع التحقق من هوية هذا الرجل؟ هل هو أغاغوك؟

كان زعيم القبيلة قد انسحب قليلاً يناقش على انفراد وبصوت خافت غوروك وتوغوغاك. أكان الثلاثة يفكرون في وسيلة لإعادة سكوت ورجاله خائبين، ودون عواقب وخيمة لرجال القبيلة أو لأغاغوك.

لم ينو راموك التضحية بحياته من أجل ابنه، وما كان ليتردد في إلقاء مسؤولية الجريمتين على أغاغوك. وإذا ماتدبر الأمر بخلاف ذلك؟ لم تعد البندقية المشبوهة موجودة هنا. علاوة على ذلك، فلقد بات التحقق الأكيد من هوية أغاغوك مستحيلًا. على أي حال وفقاً لقانون البيض. كان راموك واثقاً من أن الاسكيمو الواقف أمامه إنما هو ابنه، أما والحالة هذه فلا يستطيع أحد بمن فيهم غوروك التأكيد على ذلك.

تقدّم نحو سكوت الذي سأل:

- حسناً، هل هذا الرجل هو أغاغوك؟

- لم يعد أغاغوك موجوداً، أجابت إريوك بصوت بهيم. لأعرف ما الذي صاره أغاغوك، ولكنني أعرف بأنه لم يعد موجوداً. لقد ترك قريته. وهذا كاف لجعله يتوقف عن الوجود. فهل يوسعك أنت إدراك أمر مثل هذا؟

ورمقت سكوت بنظرة هادئة ولكن مليئة بالتحدي.

لقد تنبأ سكوت، منذ اللحظة التي شاهد فيها وجه الرجل المشوه، ورباطة جأشه، وطريقة وقوفه، مرفوع الرأس، أمامه تنبأ بأن الجولة ستكون صعبة. وهذه المرأة؟ الهادئة هي الأخرى والحاذقة. كانت تتحداه، ولكن بأسلوبها غير المكروه لدى الشرطة.

كان سكوت مذهولاً من أن إريوك استطاعت توضيح فكرتها والتحدث بصوت عال، كما يقول ال INUIT، دون أن يسكتها زوجها. إن هذا ليس أبداً من عوائد الاسكيمو. فالمرأة لا تملك أي حق في النقاش. ولا تستطيع قط الإجابة بدلاً عن زوجها. أما هذه المرأة فقد فعلتها. ولم يعارضها زوجها، ولا حتى راموك؟

- أريدك، قال سكوت للمرأة، أن تعرفي جيداً مايلي: لقد ذهب أغاغوك إلى قريته منذ أشهر عديدة. كان ذاهباً لمبادلة الفراء عند مهرب أبيض. أراد الرجل أن يغش أغاغوك. فقتله أغاغوك. والرجل «المونتانيه» - مرافق المهرب - هو من أبلغ عن أغاغوك.

- أتصدق واحداً من «المونتانيه»؟ سألت إريوك باصقة على الأرض. واحداً مقملاً؟

- لأصدق أحداً ولا شيئاً، إنني أحقق، أجاب سكوت. اسمعي الباقي جيداً. في تلك الليلة أضرم أغاغوك النار بالمهرب براون، فمات الرجل. بعد مدة ذهب ضابط من الشرطة باسم أندرسون إلى القرية ذاتها، فقتله أغاغوك أيضاً.

واستدار بغتة نحو راموك يسأله بنبرة حاسمة:

- أهذا هو أغاغوك؟

فنظر راموك إلى ابنه يسأله:

- هل أنت أغاغوك؟

رفع سكوت ذراعيه إلى السماء.

- لاتعرفه إذن؟ قال الضابط.

- لأعرفه.

وألقى سكوت السؤال ذاته على غوروك وكذلك على توغوفاك وحصل من الاثنين على إجابة مماثلة لإجابة راموك.

- إذن، استنتج الضابط، فأنتم لاتستطيعون تحديد هوية الرجل الذي أمامكم؟

- يبدو لي، قال راموك متردداً، ان إبني أغاغوك كان أطول وأضخم... كلا، أعتقد أن هذا ليس ابني.

- للمرة الأخيرة يا امرأة، قال سكوت، هل ستقولين لي أين هو أغاغوك؟ كورت إريوك شفيتها، وهزت رأسها ببطء.

- لقد اعترفت قبل قليل، تابع سكوت، بأنك كنت تعرفين أغاغوك، ولكنك لاتدرين أين هو؟ هل هذا معقول؟

- أجل...

- إن كنت تعرفينه، فبإمكانك العثور عليه ثانية.

- أعتقد ذلك؟

- أنا من يسألك.

- لأعرف. لقد قلت لك. هجر أغاغوك قريته. وكفّ عن أن يبقى أغاغوك لم يعد ابن القبيلة، لم يعد ابن راموك. إنه لم يعد موجوداً.

شيء ما كان يقول لسكوت، على الرغم من الشك المتأصل فيه، بأن المشوه هو الرجل المطلوب حتماً. ولكن إذا كانت تشويهاً الاسكيمو قد وقعت له إثر حادث قريب العهد، وهو تخمين صحيح، فقد صار التحقق من الهوية صعباً. ولم يحذره أحد من القرية.

كيف تظن بأن التحقق من الهوية سيكون ممكناً؟ وهذا هو السبب الذي جعل المرأة تتحدث بثقة بالنفس كاملة.

كان بوسع الحديث أن يستمر ساعات طوال. فالنبرة التي كانت تتحدث بها المرأة، والعناد المرسوم على وجه راموك ومرافقيه، كانا يؤكدان على ذلك. وسكوت المعتاد على هذه الطريقة في النقاش أدرك الآن عدم جدوى الحديث. كان كل واحد من المساهمين قد اختار الجواب المناسب له، ولا يترجع عنه. كانت الرحلة مُخَفِّقَةً.

والبندقية التي تحدث عنها راموك كانت مفقودة، ولم يستطع أحد، أو لم يرغب في التحقق من هوية الاسكيمو ذي الوجه المشوه. وليس ثمة ما يستدعي البقاء أكثر في هذا المكان.

فرفع سكوت المهزوم مؤقتاً، يده قائلاً:

- هيا بنا نعد إلى القرية.

أقلعت الطائرة بعد دقائق تحمل الشرطة والاسكيمو إلى قرية الخيام.

وبقيا، وحيدين في التوندرا، كما هو قدرهما، أغاغوك وإريوك واقفين جنباً إلى جنب، والمرأة - بدا ذلك فجأة - أطول من الرجل وأقوى، ومفعمة بنصر صامت.

## المرأة - A'NGNAMARIK

فرغت إريوك، فيما بعد، من إعداد الطعام ونادت أغاغوك الذي لم يرد عليها. لقد ألفتها جالساً قريباً من النهر متكدرأً.

- ألن تأكل؟

ظل ساكناً، مستغرقاً، طوال الوقت، في تأمل الأفق الجنوبي.

- لقد انصرفوا، قالت إريوك، ولن يرجعوا.

سكون.

كانت إريوك تحزر ما يدور في خلد زوجها.

- لقد تكلمتُ، قالت برقة، ربما بصوت أعلى مما ينبغي وكثيراً جداً. كان

ذلك ضرورياً.

وكانت كبرياء الرجل هي ما تعذبه. كانت إريوك تعرف ذلك جيداً.

لكن ألم تبذل إريوك كل ما بوسعها، همّها الوحيد هو إنقاذه؟ كانت تدافع عن حياته هو، وفي الوقت ذاته عن حياتها، وعما امتلكته هنا وكان أثرها.

- يقال، وفق تقاليد ال INUIT، تابعت إريوك حديثها، أن المرأة لا تملك حقّ التفكير ولاحقّ الكلام. من المحتمل أنني لست كباقي النساء. فلدي ما أقوله، وإن كنت أفكر فلأنني لأستطيع الامتناع عن ذلك.

ثم أضافت بصوت خافت:

- أنا لم أكذب.

فأدار أغاغوك رأسه نحوها، ناظراً إليها بيروء.

- لم أكذب، ردّدت إريوك. لقد أحببت أغاغوك حباً شديداً، عندما كان يعيش في قريته. لقد غادر القرية واصطحبني معه. ومنذ ذلك الوقت تغير أغاغوك. وأنجب تاياروت... وليس هذا فحسب. لقد تغيّر. ويصعب عليّ أن أقول لماذا حدث ذلك وكيف... فأغاغوك، كما تعرف، ما كان سيسمح لي فيما مضى، بأن أتحدث إليه مثلما أتحدث إليك اليوم. كان سيضربني، أعتقد... كانت إريوك جالسة القرفصاء قريباً من زوجها. كانت ترسم برأس إصبعها خربشات فوق الطحلب الناشف.

- لقد جاء هؤلاء الناس إلى هنا، بحثاً عن أغاغوك. كانوا يبحثون عن أغاغوك آخر، عمّن كان يعيش في القرية... إنه لم يعد موجوداً، أغاغوك الآخر... أنت تحمل اسمه، ولكن بوسعك أن تحمل اسماً آخر، وسيكون ذلك منصفاً، لأنك لم تعد أغاغوك نفسه...

حدق فيها أغاغوك بعينين قلقتين.

- إن من أحبه، قالت إريوك فجأة، هو أغاغوك اليوم، هو من بإمكانه أن يحمل اسماً آخر... كانوا سيزجونك في السجن، بعدئذ كانوا سيسنقونك.... لم أكن أرغب في أن يقتادوك، وإن كنت قاتل الأبيضين.

- لم أقتل أندرسون، ضابط الشرطة.



- ولكنك قتلت الآخر... من كان يُسمى براون.

فخفض أغاغوك رأسه.

- أما قتلت براون؟ ألحت إريوك.

أمضى أغاغوك وقتاً طويلاً قبل أن يعترف. كانت إريوك تنتظره بصبر وقلق أيضاً.

- نعم، أجاب أغاغوك.

كانا يتأملان مياه النهر. وكان ذلك بمثابة تهرب، محاولة بدت لهما فجأة ضرورية. كان لا بد من الصمت، من وقتٍ للحساب والتفكير. لقد أقرَّ أغاغوك بجريته. إضافة إلى ذلك، فقد قبل بفكرة ان فعلته ربما كانت جناية. لقد دهش هو ذاته من ذلك. وانددهش أيضاً من إحساس انتابه شبيه بالندم، إحساس لم يألفه سابقاً. غير أنه لم يجد أية كلمات يبلغ بها إريوك عما يختلج في داخله. من جانبها حزرت المرأة بأنه من الأفضل الانتظار، دون إضافة أي شيء.

- من أين ينبع هذا النهر؟ سألت إريوك فجأة. وأين يصب؟

فأشار أغاغوك إلى ناحية الشرق راسماً المجرى حتى الأفق الغربي مروراً بقدميهما، وأجاب:

- ينبع من حيث تشرق الشمس، ويمضي حتى هناك، حيث يختفي...

- من قال لك هذا؟

- لقد سرت والمجرى بعيداً جداً، لأعرف من أين تنبع المياه وأين تصب.

كان ذلك على الأغلب جدولاً أكثر مما كان نهراً، وسيلاً أيضاً في بعض الأحيان، عندما كانت أحجار القاع تسد المجرى.

لم تكن الأحجار موجودة في مجرى المياه فحسب، بل على الضفة كذلك متشابكة فوق الطحلب، بعرض مئة خطوة على طول النهر من المنبع حتى المصب. كان حجراً أخضر مخططاً على نحو غريب. كان شيوخ قبيلة أغاغوك وغيرها يزعمون بأنه يمكن استخدام هذا الحجر علاجاً للعديد من

الأمراض. وكان السحرة ينحتون هذا الحجر، سابقاً، ويصنعون منه تماثيل غريبة ذات تأثير ضار.

وبعدما قلّ عدد السحرة من قبيلة لأخرى يوماً بعد يوم، تقوم الشبيبة لتكرس وقتها طوال أيام البطالة في فصل الشتاء لتنحت هي الأخرى أجساماً عجيبة من هذا الحجر، أو أشياء مفيدة محفورة ومنقوشة بمهارة: أسنة الرماح، والأواني، ومصاييح الأكواخ والأدوات والمنحوتات التي سرعان ما درجت، شأنها في ذلك شأن التماثيل المصنوعة من العاج أو العظام أو القرون، وذلك لكثرة تنوعها.

وفي وقت لاحق، قام عدد من ال INUIT الأكثر جسارة وموهبة حقيقية بنحت أشكال لافائدة منها أبداً في حياة الأكواخ، أشكال تصف مسير الاسكيمو، وتعكس معيشته ومواقفه في الحياة وصيده. لقد رأى أغاغوك تلك الأشكال المصنوعة من أحجار النهر الخضراء ذاتها، وقد تمّ نحتها بأناة ثم صقلها وجليها. وكان البيض من سكان المدينة يتخاطفون التماثيل الصغيرة ويدفعون فيها أثمناً باهظة. وفي القبائل كانوا يضحكون من أولئك الناس الذين يرغبون رغبة شديدة في اقتناء أشياء عديمة الفائدة. ويقولون عن نحاتي تلك الأشكال بأنهم لا يملكون السيطرة على أفكارهم ISUMANE AYORLUGO.

كان أغاغوك، جالساً، في ذلك اليوم، مع إريوك، محاولاً إبعاد المأساة التي وقعت قبل قليل، عن روحه، كان يفكر: بوسعه أيضاً أن يحمل الأحجار ذات يوم إلى الكوخ، وينصرف للعمل فيها طوال فترة هبوب عواصف الجليد العاتية. وأحب فجأة هذا الحلم الذي شغل باله، وصرفه عن الندم وعن ما جرى قبل ساعات قليلة. واستطاع أن يلوذ بهذا المشروع متأملاً ومفكراً فيه ملياً. فقد انتقى، بدقة، الصخرة التي سيحملها إلى الداخل لنحتها؟

سيصمم تماثلاً لتاياووت من هذا الحجر. سينحت وجهه، وجسمه سيصممه عارياً قوي العضلات، مائل الجذع إلى الأمام، مرفوع اليدين يحاول الإمساك... كان العمل قد تجهز في رأسه، فيما بعد، وعندما سيغدو تاياووت رجلاً، ستبقى صورة من طفولته.

هكذا كان أغاغوك يلوذ بالفرار من همه، ناسياً، إريوك الجالسة إلى جانبه، جاهلاً بأنها كانت تبحث هي الأخرى عن ملاذ، تاركة العنان لروحها أن تهيم، محدّقة النظر إلى تبدل الموج المتحرك، والدمومات التي كانت تصوغ نوعاً من تطريز أبدي، على الأحجار البارزة عقبات في النهر.

بقيا ساكنين هادئين طوال ساعة. كان تاياووت يلعب في التوندرا ويركض مهاجماً حشرات أكثر منه مهارة.

كانت تلك لحظة وئام عميق في حياتهما، وئام كاد يبلغ الصفاء. وكان أغاغوك يصوغ، طوال الوقت وبوضوح أكثر فأكثر، حلمه في إبداع صورة تاياووت ذات يوم، صورة خالدة تنقل لعشرات العقود القادمة ما كابدته هو وإريوك من انفعال بغية انجاب طفل. وكان إريوك تحلم، هي الأخرى، بالمستقبل، ربما بأسلوب أقل جلاءً إنما أكثر قوة في داخلها. بمستقبل لن يكون له مثيل. كانت تعرف ذلك. لم يبق شيء من الماضي. فلقد استطاعا في عزلتهما وانفصالهما عن حياة القبيلة، نسيان العادات البالية ومحاربتها أحياناً. كانت إريوك تملك منطقاً وحكمة لا يملكهما إلا القليل من نساء سلالتها، يجعلانها تحلم في المستقبل بسنوات عديدة إلى الأمام. لقد راقبت أغاغوك، ورأته يتخلص، خفية، من سطوة القبيلة. وبعد أن ابتعد عن القبيلة، لم يكتف بالعزلة، إنما شرع يرفض، بالتدرج، نفوذ جماعته. كان يعيش وحيداً هنا، ويشعر بنفسه سعيداً، وكانت إريوك تعرف ذلك.

وتعرف أيضاً - وكان ذلك دون شك من أهم الأشياء - إنه إذا كان أغاغوك قد قتل إنساناً ذات يوم، فإنه لن يفعل ذلك مستقبلاً على الأرجح. إن القتل بالنسبة إلى الاسكيمو الذي يتسم بأخلاق خاصة، على عكس القوانين التي سنّها البيض، إن القتل - من أجل الجماعة - يمكن أن يكون عملاً جدياً منطقي، عملاً لنتيجة متوقعة، لن يلومه أحد عليه في الأكواخ ولا في القبائل، ومع ذلك فقد كانت إريوك تشمئز من هذه الموافقة على جريمة القتل باعتبارها عملاً طبيعياً. لم تستحسن القتل أبداً. هل كانت مختلفة، في هذه المواقف، عن بني جنسها؟ كان ثمة تطور إنساني يتجلى في داخل إريوك، لم تستطع

الإفصاح عنه، ولا حاولت تفسيره. كان اشتزازها شيئاً حياً قبلت به، ولكن لم يخطر ببالها أن تستغرب الإحساس بهذا الإشمئزاز.

لقد حزرت تحيّر أغاغوك، وانزعاجه من الاعتراف بجريمته. ألا يشعر هو الآخر الآن بالندم؟

ذلك هو الحلم الذي كان يراود إيريك وهي جالسة إلى جانب أغاغوك، محدقة النظر إلى موج النهر. الحلم بحياة جديدة، حياتهما المنعزلة، ومشاريعهما الخاصة المقسمة أبدأ. كان ذلك كثيراً. ولكنها استطاعت أن تحلم بأكثر من ذلك. استطاعت أن تحلم بتأكيد دقيق على أن أغاغوك لن يقتل بعد الآن أبدأ، ولن يقتاد من قبل البيض. لقد تمّ إنقاذ الحياة مرة، والسلام للسنوات القادمة كلها.

انتفض أغاغوك عند سماع صوتها.

- أريد أن أعرف... قالت إيريك...

نظر أغاغوك إليها بعين نقية، ونصف ابتسامة مرسومة على وجهه. لقد أفاق من حلم جميل. ما كان يرغب في الانفصال عنه بعد. فقد صار يمسك الآن بين يديه الصبورتين، كما بدا ذلك، هذه الصورة التي سوف يتدعها لتاياووت، والتي ستكون بقدر ما هي أول عمل، ستكون تصوره عن الطفل في بطن المرأة، عمله هو، إبداعه.

- أريد أن أعرف، كررت إيريك، أنت قلت براون... ولكن إذا رأيته اليوم أمامك مرة أخرى... أو واحداً آخر مشابهاً له يحاول أن يغشك، كيف ستتصرف؟

هزّ أغاغوك كتفيه. كان لسؤال إيريك وقع ثقيل. الحياة، الصيد، الصراع اليومي مع التوندرا، تلك هي العلوم التي في متناول إدراكه. أما التفكير على هذا النحو؟ لا التكهن بالحدث فقط، بل البت مسبقاً في أمر حياة، فهذا سؤال يفوق طاقته.

كان يرغب في الإجابة عنه بصدق. وكان يحس بحاجة إلى تسكين

روعها خاصة. ولكن كيف يسعه أن يقول لها بأنه لن يقتل أبداً، في حين أنه، عندما يتذكر المشهد مع براون والغضب الذي انتابه اثر ذلك، وتعطشه الشديد للانتقام، غير واثق أبداً من أن يتمالك نفسه؟...

وضعت إريوك يدها على ذراع زوجها، منتظرة جوابه بلهفة وقلق.  
- هل ستفعل ذلك؟ هذا ما أريد أن أعرفه على نحو خاص. وأظن أن لاشيء آخر سيرضيني سوى جوابك عن هذا السؤال.

فعرف أغاغوك فجأة أن بوسعه الإجابة. فقد كان سلام التوندرا مخيماً عليهما. وكانت السماء صافية، ومياه النهر عند قدميهما. وكان تاياووت يلعب هناك شبه عار، في ذلك اليوم الدافئ، ويتدحرج على الطحلب، مصدرأ أحياناً - الصوت الوحيد في السهل الرحيب - صيحات فرح خفي.

وأدرك أغاغوك بأن حياته إنما هي كذلك، وأي تبديل في سلام هذه الحياة وصفائها لن يكون إلا كارثة. من دون كثير كلام إنما بوعي دقيق بالقرارات التي سيتخذها. لقد أحس بالسلام، وثمنه غالباً على حين غرة. بإمكانه أن يفقد كل شيء، فلمَ المجازفة؟

- لن أقتل ثانية. ردّ أغاغوك جازماً.

فقررت إريوك، بتعقل، أن لاتسأله أكثر. وأدركت أيضاً أن أية حركة رقيقة ستكون فائضة إزاء فرح أغاغوك الشديد.

ثم نهضت قائلة:

- هيا، هيا نأكل، إنني جائعة، وأنت أيضاً.

## إحباط الخطة - SA.LAUYOK

استغرق راموك في التفكير، على متن الطائرة التي كانت تقلهم عائدين إلى القرية. لقد تمنى أن يكون بوسعه الجلوس قريباً من غوروك والنقاش معه، على انفراد، حول ما حدث. وأن يستعلم من الساحر، قبل كل شيء، لماذا لم تكن البندقية في المكان المتفق عليه في اللحظة المناسبة. إلا أن سكوت أجلس زعيم القرية إلى جانبه، وأجلس الساحر غوروك في مقعد الطائرة الخلفي مع بقية رجال الشرطة.

إن أكثر ما كان يثير قلق والد أغاغوك، هو الانتقام الذي يمكن لابنه أن يبتكره بعد هذه الزيارة. لقد كان سكوت، الضابط، صريحاً للغاية. فلقد أعلن لأغاغوك بأن راموك هو من أبلغ عنه. كما أن مشهد البندقية لم يخدع به أغاغوك. أوليس من شأن هذا وذاك أن يحرضاً أغاغوك على الانتقام سواء كان ضد القرية أو ضد أبيه.

وإذا كان لابد الآن من النظر في عقاب مجرم باسم الجماعة، أو لَيْسَ من الأفضل إتمام ذلك، وإقناع سكوت بأن المشوه إنما كان أغاغوك ذاته؟ لأن راموك كان واثقاً من ذلك، ولم يشك في ذلك ابداً. وإن تردد، وإن خاف من التعرف إلى أغاغوك، فلأنه كان يعرف قانون البيض. ويدرك أنه عندما - يؤخذ أغاغوك والوشاة إلى مدن البيض للمثول أمام المسؤولين الكبار، فسُيطلب حينذاك التحقق الكامل من الهوية، وكان يعرف بأن هذا سيكون مستحيلاً أبداً، نظراً إلى التشوه القريب العهد. كل ذلك كان يتزاحم في رأس راموك. متطلبات البيض بل والأكثر من ذلك هو غضب أغاغوك الذي سيرى نفسه مسحوباً حتى المدن الجنوبية مثل حيوان أسير. وفضّل راموك الكف عن الاهتمام بذلك في تلك اللحظة. إضافة إلى أنه رأى طريقة يخلص بها ذاته من المسألة دون أن يشرك فيها أياً كان، لانفسه ولأحداً من القبيلة ولاحتى ابنه.

غير أن ذلك كله لن يمنع غضب أغاغوك على الأرجح. ومن يدري إلى أين ستقوده مثل هذه الأفكار الآن. لقد بدا لراموك قراره، أكثر منطقية ذات لحظة، أما الآن وإذ ترعزعت ثقته بهذا القرار، فقد مال بعزم، بينما كانت الطائرة في الجو، على سكوت وأعلن له فجأة:

- إنني الآن متأكد. أتذكر معطفه، وحذاءه. والمدية التي على ساق بنطاله، إنها هدية قدّمْتُها له...

- عن ماذا تتحدث؟

- عن أغاغوك، هناك. إنه هو. أنا متأكد الآن.

- ولكنك هناك، لم تكن متأكداً.

- أجل، أعرف. إنها المفاجأة، على ما أعتقد.

- لقد قلت لي بأنه كان وسيماً...

- إن الجروح على وجهه حديثة العهد.

- ولكنك لاتعرف إن كان هو أغاغوك.

- إنه أغاغوك.

- أما أنا فلا أستطيع أن أكون على يقين الآن من ذلك. وأناس قبيلتك، بمن فيهم ساحرك، ليس بوسعهم التأكيد على ذلك.

لم يجرؤ سكوت على أن يعلن لراموك، بأنه أيضاً كان شبه واثق تقريباً من أنه قد عثر على أغاغوك. غير أنه استشعر نوعاً من دسيسة، واكتنه نيات راموك الماكرة، وتجرده من الأخلاق كلية. فهل يشي رجل بابنه، إلا إذا كان في منتهى الضعة؟ كان ذلك استنتاجاً لم يفت سكوت.

وتوقع سكوت أيضاً صعوبات التحقق الأكيد من هوية أغاغوك. سيوكلون محامياً للدفاع عن أغاغوك إذا مثل أمام القضاء. وسيواتي الحظ هذا المحامي ببتريئة المتهم. فبدا اعتقال أغاغوك إذن عبثاً وجوراً ربما. واتخذ سكوت قراره سريعاً، بعد أن شاهد المشوه الذي لم يتجرأ أحد على التحقق من هويته. إن راموك أو غوروك أو غيرهما قد شارك في هذه الجرائم. ومن المحتمل أن لا يكون لأغاغوك أية علاقة بها. وكان من الأسهل إذن هو متابعة التحقيق في القرية. وإذا بدا التوصل إلى نتائج مرضية مستحيلاً، فستكون العودة حينها إلى المدينة، وحفظ ملف القضية.

لقد افترض سكوت بأن دم أندرسون سيدعو إلى الثأر، وكان الأسوأ هو أن لا يعاقب رجال الاسكيمو على هذه الجريمة. أسوأ على أي حال من أجل تسيير إداري جيد لهذه الأقاليم في المستقبل. وكان لابد كذلك من الحصول على برهان دامغ. ولم يكن ذلك سهلاً ولا ممكناً. بالإضافة إلى ذلك فإن أغاغوك أو أي شخص آخر كائناً من كان يُشتبه فيه - سيحاكم وفق القانون الإنجليزي...

بالحيلة قد يتم بلوغ بعض النتائج. إلا أن سكوت لم يعول على ذلك كثيراً.

- لو أنك تعرفت حقاً إلى أغاغوك عندما كنا هناك، كنت سأميل ربما إلى تصديقك، قال سكوت لراموك. إلا أن تحققك من هويته قد جاء متأخراً جداً. زد على ذلك، قصتك، فأنا لم أعد أصدقها كثيراً.



انقبض صدر راموك. فلقد اتخذ الأمر مجرى لم يكن يتوقعه. ولن يكون اللجوء إلى الحيلة سهلاً أيضاً، كما كان يعتقد وحاول الاستعانة، يائساً، بالتفاصيل المحتملة، معتمداً فجأة على غوروك وقال:

- سيقم ساحري غوروك طقساً دينياً في القرية، وستعطيك الأرواح ذاتها، الأدلة على أن أغاغوك هو الجاني، وعلى أنه هو الجريح الذي رأيته... ظل صوت سكوت عادياً وبارداً.

- ولكن سحرتي أقوى من ساحرك غوروك. وسألجأ إليهم من أجل معرفة الحقيقة.

كانت الطائرة ترسم دائرة كبيرة، مقللة ارتفاعها استعداداً للهبوط. وكانت القرية تلوح في الأسفل هادئة في الظاهر، طوقاً من الخيام حول ساحة. كان بالإمكان تمييز الكلاب المذعورة من الطائرة وهدير محركها، وهي تركض هنا وهناك في التونдра. ثم قطع الطيار الغاز، فهبطت الطائرة سريعاً نحو الأرض.

كان راموك يفكر بأن سحرة البيض أقوى من أي سحرة آخرين عرفهم، إنهم سحرة قد مُنحوا مقدرة لامثيل لها! وهذا لا يعني بأن راموك يؤمن بالشعوذة إيماناً راسخاً، لأنه كشف حيل غوروك منذ مدة طويلة. ولكنه كان يقرّ بأن حيل البيض تفوق حيل ال INUIT تفوقاً كبيراً، وبأنها تبدو في أغلب الأحيان، خارقة. وهي في كل الأحوال شديدة الخطورة.

لم يسارع أهل القرية إلى ملاقة الطائرة. إنما مكثوا قريباً من الخيام أو في داخلها، جامدين وكئيبين ومكرويين. على أن أحداً منهم لم يكن يعرف، مع ذلك، بأن الشوط الأصعب من الجولة لم يبدأ بعد، وأن راموك هو من سيجازف الآن بحياته، سكوت وحده كان يعرف ذلك.

راموك، وربما غوروك؟

لم يضيع سكوت لحظة واحدة. إذ لم يكن قد بقي من النهار إلا بضع ساعات، فدعا إلى اجتماع.

- أريد أن تجتمع القبيلة كلها أمامي هنا.

وماهي إلا لحظات حتى فرغت الخيام من ساكنيها، وتجمعت القرية بأسرها أمام ضابط الشرطة ورجاله.

- لم آت إلى هنا دون هدف. قال سكوت. ولا أنوي قضاء ستة أشهر في هذه القرية. لقد قدمتم لي بياناً كاذباً، ييانكم عن أغاغوك مثلاً.

علا صوت بالاحتجاج، إلا أن سكوت تظاهر بعدم سماعه. والتفت نحو راموك.

- لقد أعطيت كل واحد منكم عشر فرص ليدلني على المذنب الحقيقي، وكان ذلك سيؤخذ بعين الاعتبار لمصلحتكم. إذ أن الجريمة المعلن عنها هي أقل عقاباً في أغلب الأحيان. ولكنكم تبقونني هنا وترسلونني في الاتجاه الخطأ. لقد تصرفتم بطريقة ستكلفكم غالباً لدى كبار المسؤولين البيض، الذين يريدون معرفة من قتل براون وأندرسون. كنت أفضل اعترافاً، ولكن مادتمت مصرين على أن تكذبوا عليّ...

- لأحد هنا يكذب عليك. صاح راموك.

- ولا أحد هنا يقول لي الحقيقة، ردّ سكوت بهدوء. وهذا ما يضعني في موقف مزعج. يالأسف. وبما أنكم ترغبون في أن يكون الأمر كذلك، فإن سحرتي يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا.

خيم الصمت، ولم يرفع أحد صوته. فلقد شمل رجال الاسكيمو سكوت عميق. وسأل راموك، الميت رعباً، نفسه عن قصد سكوت من وراء ذلك.

- أريد أن أمنحكم، مع ذلك، فرصة أخيرة.

ثم اقترب من راموك وتأبط ذراعه قائلاً:

- أريد سماع ما بوسعك أن تقوله لي عن مسألة موت براون وأندرسون.

أريد أن تقول ذلك أمام الناس جميعاً.

خمسون وجهاً كئيباً، ذات عيون منطفئة، وقسمات منغولية بارزة، أكثر

من أي وقت مضى، تحت الشمس وعرق النهار، وطبقة دهنية فوق البشرة شبه السمراء... امرأة، عجوز دميمة على نحو مرعب، ذات أسنان تالفة، بصقت على الأرض باتجاه راموك. وعندما صرخ راموك في وجهها مهدداً، بدأت تنوح خائفة ثم هربت صوب خيمتها.

وضحك صياد شاب ضحكاً هازئاً، ولكن صوته ظل لحظة صوتاً وحيداً معلقاً فوق الجميع. لم يشاطره الضحك أحد فانسحب بدوره ليلبد خلف الحشد.

راموك وحده كان يظهر رباطة جأش، عرفها سكوت متصنعة لأنه كان لا يزال متأبطاً ذراع الاسكيمو، ويشعر به كم يرتجف.

- احك، قال سكوت. فنحن نسمعك.

فصرخ الزعيم فجأة:

- إنه فخ، ألا ترى أن هذا فخ؟

وبما أن صوتاً واحداً لم يرتفع تأييداً له، فقد هزّ راموك كتفيه، وحرر ذراعه، بحركة عنيفة من قبضة سكوت.

- احك!

- إنه أغاغوك! صرخ راموك. إنه هو... لقد جاء إلى هنا وقتل براون. ثم قتل أندرسون. وكل واحد من القرية سيقول لك الكلام ذاته.

- من رآه؟ أنت؟ الآخرون؟

كان راموك يبحث عن تأييد، منتقلاً بنظره إلى جماعته الواحد بعد الآخر. لاشيء. هل سيدعونه يقاوم وحيداً؟...

- لم أره، ولكنني أعرف.

- أين جثة براون؟

- لقد أحرقتها في الخيمة كما قلت لك. وكما قال لك «المونتانيه» أيضاً.

- ألم يبق شيء منها؟

- لا شيء.

- وجثة أندرسون؟

- لأعرف.

تحرك الحشد. من بعيد تأوهت امرأة. فدار سكوت على عقبيه، ولكنه لم يستطع أن يكشف مصدر الصوت.

- لأعرف، قال راموك، وكيف لي معرفة ذلك؟ فلم أكن هناك. ولا أحد منا كان هناك.

- قلت بأنه دفن في التوندر...

- قلت دون أن أعرف ذلك. إنما أعتقد أن الأمر هو هكذا. أغاغوك وحده بوسعه الإجابة عن هذا السؤال.

- دائماً أغاغوك... على أنك ذاتك لم تستطع أن تسلمني إياه!

- إنه ال INUK الذي هناك، ذو الوجه المأكول! إنه هو! أقول لك هذا وأنت لاتريد أن تصدقني. إنه يرتدي معطف أغاغوك ونعله، لقد تعرفت عليهما من جديد... ويحمل مدية أغاغوك. ماذا تريد أكثر من ذلك؟

- لأأريد سوى أدلة. ولاسيما جثة أندرسون... إنني أعرف أنه في حال العثور عليها، سيتضح الباقي... إذن سأعثر عليها.

ورأى تأثير عبارته. ماذا، سيعثر على الجثة؟ كان من السهل قراءة فكرة راموك. ألم يتكلم، هو الشرطي، عن السحرة الذين سيطلب منهم اسم الجاني؟ رجاله الذين هم في ثياب مختلفة، والصناديق الموجودة في الطائر الكبير، والأدوات الغامضة التي جلبها رجاله معهم...

وسحر البيض القوي الذي لا يستطيع غوروك ولاراموك مقاومته بشيء

يذكر!

وقبيلة الأنذال هذه، ومجموعة الصامتين هؤلاء الذين لم يصدر عنهم صوت مساند واحداً! لماذا لم يقفوا إلى جانب زعيمهم؟ هل نسوا بأنهم كانوا ملزمين بذلك؟

- اسمعوني، صاح راموك في رجاله. سأقول لغوروك بأن يسأط عليكم سحره الشرير! من هو زعيمكم؟

كانوا يترددون، وكان ذلك جلياً. وحدثت ململة، فكان بعض الرجال يتناقشون بصوت خافت. وفضّلت امرأة الابتعاد عن الحشد، إلا أن سكوت ناداها بحزم:

- أنتِ، التي هناك، تعالي إلى هنا!

فأذعنت المرأة على نحو مثير للشفقة.

لم يعد راموك يتمالك نفسه غضباً. لم يكن يطلب سوى شيء واحد: أن تبقى القبيلة متماسكة، تستجيب له. كان يرغم نفسه على التصديق، ويعتقد بأنه إذا كان قد قتل أندرسون، فقد قتله من أجل حماية الجميع، لأن أندرسون هدّد بالعودة مع رجال شرطة آخرين. ثم إنه لم يفكر، في تلك اللحظة، بموت براون فقط، بل وبيقية الجرائم التي ظلت دون عقاب: القتل، والنهب، والسراقات البسيطة... فالقبيلة بأسرها إذن كانت مذنبه! وكان يجب أن يموت أندرسون! فمن أجل أولئك الرجال الذين أمامه قتل راموك ضابط الشرطة! والآن، لا يأتي أحد منهم للدفاع عنه، ولا أحد منهم يقول شيئاً، كلمة، عبارة، دليلاً كاذباً يُرسل إليه سكوت ورجاله من جديد. وبالإضافة إلى ذلك لا بد من تحمل مسؤولية موت أندرسون وأيالك..»

وإزداد الوضع سوءاً، وكان راموك يشعر بذلك جيداً. فالأسلوب الذي يتحدث به سكوت ونبرة صوته ونظرته قد أربع، العجوز، فهو ضالة ضابط الشرطة، وهو من يريد الضابط أن يشنقه. ولم يرفع أي INUK صوته دفاعاً عنه؟...

وإذا كان سكوت يريده، وإذا بذل سحرته قصارى جهدهم فما الذي سيحدث؟ ثم توجه راموك يائساً إلى القبيلة:

- ولكن قولوا أي شيء! إنكم ترون جيداً بأن عليكم إنقاذي!

فاستدار سكوت نحوه ببطء. وهو يتسم.

كانت نبرة راموك بليغة، وكان صياحه ضرباً من الإعلان. فقد كان الرجل يحس بنفسه مطوقاً. وابتهج سكوت في قرارة نفسه. مستخدماً أبسط قواعد علم النفس، نجح سكوت مرة أخرى في بث الهلع في قلب الزعيم العجوز، وسدّ الباب في وجهه. فشرع الرجل ينهار انهياراً سريعاً.

- اعتقد، قال سكوت بنبرة أمست الآن هازئة، بأننا نضيع وقتنا جميعاً. لم أكن أرغب في إرجاء سفري. أما والحالة هذه، ولأن أحداً لم يعترف فسأبقى هنا. وسيبدأ سحرتي بالمهمة. سيرفون كيف يعثرون على بقايا جثة براون.

- لم يبق منها شيء، قال راموك بمرارة. لقد أجاد أغاغوك في إحراقها كلية. لم يبق منها شيء.

- يبقى دائماً شيء ما من الجثة، قال سكوت بهدوء. حتى الشيء الخفي عليكم، سيراه سحرتي. سينبش الضباط، الخيام كلها، والقرية كلها، والطحلب في هذا المكان وفي بقية الأمكنة حيث كانت القرية سابقاً. سينبشون كل مكان. وما سيعثرون عليه، سيحضرونه إلى سحرتي... بعدئذ سيكون سهلاً...

كان راموك يرتعد، ولكنه كان يقاوم هذا الخوف، كان يقف ويدها ملصقتان بجسمه يكرّ على أسنانه. كان يعرف علم البيض وفعالته. ما الذي قاله سكوت هنا؟ بأنه سيجعل ضباطه ينبشون؟ هنا وفي الأماكن السابقة للقرية؟ فليكن، وليعثروا على بقايا جثة براون، إن ذلك لم يقلق راموك. لقد كان فعلاً مطمئن البال هنا أيضاً. أما بالنسبة إلى جثة أيليك؟ فهي لم تدفن بعيداً جداً. وبخصوص بقايا أندرسون فلن يتاح ذلك بسهولة، لأنها قد نقلت إلى مكان بعيد عن القرية ودفنت عميقاً تحت الطحالب، إذ تطلب الأمر ساعتين

من العمل في يوم الجريمة لحفر حفرة لا تبلغها الذئاب ولا البشر... ولذلك كان راموك يشعر بالإطمئنان كلما فكّر ببقايا أندرسون. فلا سكوت ولا السحرة الذين معه يستطيعون العثور عليها. ثم هل سينقبون مساحة التوندرا الشاسعة؟ على أن فصل شتاء قد مضى على ذلك. وهذا ما قسى الطحلب وأثقله. فأى أثر قد بقي من حفرة نُقبت قبل سنة؟ إذا كان غوروك ذاته أو راموك سيعجزان، على الأغلب، عن العثور على المكان. فكيف ستفعل الشرطة ذلك؟

بادئ ذي بدء، تمّ تفتيش الخيام كما قال سكوت، تفتيشاً متأنياً منتظماً. وكل اكتشاف مشتبه فيه يُجلب إلى سكوت وأحياناً إلى رجاله. فكانت تدرس الأهمية المحتملة لكل شيء مكتشف في إطار التحقيق. وأخيراً يتم استعباده. لقد فعلوا الشيء ذاته مع الأباريق الفارغة التي كانت تحوي ماء - الحياة. وأشياء أخرى كانت على ما يبدو، سكاكين وأدوات وأحذية... يعيش الاسكيمو إجمالاً في زهد، على أية حال، فيما يخص الممتلكات المادية. فليعثروا في خيمته على عدد من السكاكين أكثر مما ينبغي، وعلى عدد أكثر من الأحذية، ومن الأدوات، وبوسعهم والحال هذه أن يفترضوا، بصواب، بأنها أشياء مسروقة من مكان ما.. ولكن إن كانت تنتمي إلى منكوب ما؟ إن هذا لا يعدّ دليلاً، إلا إذا تمّ التحقق تحقّقاً قاطعاً من هوية كل مادة، وانتماء ملكيتها إلى قاتل. وهذه حالة نادراً ما تؤخذ دليلاً في التحقيق. كان راموك يعرف ذلك، حتى عندما كان يحاول التأكيد على هوية أغاغوك بهذه الوسائل، ولم يستطع الآن مقاومة القلق الذي ينتابه بسبب التفتيش الدقيق الذي يتم من خيمة لأخرى.

على أن البنادق صودرت كلها، وألصقت بكل واحدة منها بطاقة كتب عليها اسم صاحبها. وهكذا حملوا مئات الأسلحة إلى الطائرة للسحرة الذين كوّموها هناك. كان راموك يعرف أن فحص البنادق المحتمل هذا سيكون أخطر مافي الأمر. ولكن لتحديد السلاح الذي قتل أندرسون، كان لابد كذلك من العثور على الجثة. وكان راموك مطمئناً من هذه الناحية. لأنهم لن يعثروا على جثة أندرسون أبداً، أما فيما يخص البندقية فإن أغاغوك هو مالکها الآن، فليكن، وإن لم تكن هناك، إلا أن راموك لم يكن لديه أدنى شك في غوروك،

فمن المحتمل جداً أن أغاغوك قد أخفاها من باب الحيلة. وعلى هذا النحو كان راموك ذاته سيتصرف دون شك. لن يستطيع رجال الشرطة إذن استنتاج أي شيء من فحص الأسلحة التي أخذت إلى الطائر الكبير. لقد عرف راموك، في المدينة، بأن السحرة البيض استطاعوا، بمساعدة آلاتهم السرية، تحديد البندقية التي انطلقت منها الرصاصة. فلم يبق إذن على اكتشاف الجاني إلا خطوة واحدة! ولكن كان لا بد أيضاً من وجود جثة، الشيء الممكن الوحيد الذي يجعل من سكوت الأقوى، وبناء عليه فلم يقلق راموك في شأن ذلك. هاه! كان راموك أمكر من رجاله الشرطة، وكان يدرك ذلك جيداً، فكفّ عن الارتجاف!

وظهرت ابتسامة عريضة على وجهه، ثم وضع يديه في جيبه ناظراً إلى سكوت نظرة متحدية.

ولكن في هذه اللحظة بالذات، رأى راموك واحداً من رجال الشرطة خارجاً من خيمته، يحمل بين يديه شيئاً عرفه راموك تمام المعرفة! كانت بالضبط البندقية التي قتلت أندرسون. كانت بالضبط البندقية التي أرسلت بواسطة غوروك إلى أغاغوك.

وانتابه الذعر فأسرع يجري ويصرخ باتجاه الشرطي.

- ما هذه البندقية؟ إنها ليست بندقيتي!.

كان من الأفضل له أن يسكت. فلن تؤدي نوبته العصبية إلا إلى نتيجة واحدة: إثارة انتباه سكوت، الانتباه المتحضر أصلاً.

- أعطني هذه البندقية، قال سكوت لمرؤوسيه. أين عثرت عليها؟

- في خيمة الزعيم، مخفية تحت الطحلب.

- مخفية؟

- أجل، وهناك بندقيتان أخريان، ولكن غير مخفيتين كهذه.



فانتعش سكوت الذي كان قد بدأ يفقد الأمل.

لم يسفر التفتيش في بقية الخيام عن أشياء ذي أهمية. ولم يعرف سكوت مايرجوه تحديداً، ولكن أملاً مبهماً راوده في اكتشاف الآثار، والحصول على دليل ملموس، وها هي في آخر لحظة، بينما كان الرجال يفتشون خيمة راموك، الخيمة الوحيدة التي لم تكن قد فتشت بعد، تظهر هذه البندقية: اكتشاف تبين أنه أربك راموك إرباكاً شديداً.

وقرر سكوت، في تلك اللحظة، أن يلعب بكل ماله للحصول على كل شيء. فقال:

- أعتقد أننا لن نعود بخفي حنين.

ودار سكوت على عقبيه عائداً إلى الطائرة، فرآه راموك يخرج الساحرين الأبييضين، ويدير معهما هناك حديثاً طويلاً بعيداً عن مسامع القبيلة. كانت تتخلل مهارات الجماعة إشارات كبيرة مؤكدة، بدت لا إيجابية فحسب بل ومسلية للغاية.

كان راموك يراقب المشهد ساكناً. كان يحس بشيء منغص في داخله يعصر قلبه ومعدته. شياطين أولئك البيض، فمن أين جاءت البندقية؟ وكيف ظهرت هنا؟ ألم تكن حيلة من حيل سكوت؟ ولا مجال لأي خطأ محتمل، فقد عرف راموك السلاح معرفة جيدة. إنه السلاح الذي قتل أندرسون. والمرسل إلى أغاغوك... فبحث بنظره عن غوروك، ولكن جهده ضاع هدرًا، فقد جاء سكوت وتوجه إلى القبيلة قائلاً بنبرة حازمة:

- سيبدأ سحرتي العمل. سوف يصعدون إلى الطائرة وسيحلقون فوق التوندرا على مسافة ساعتين سيراً من هنا وأكثر إذا اقتضى الأمر. ثم سيستأنفون عملهم غداً وفي الأيام اللاحقة. سيجعلون صناديقهم تتكلم. وفي حال وجود جثة مدفونة. ستقول الصناديق ذلك!...

حاول راموك أن يضحك هازئاً، ولكن صوته خرج حزيناً، وضحكه أشبه مايكون بالصرير.

- لاتضحك، قال سكوت. فأنت تعرف قوة سحرنا. لقد كنت في المدينة. ورأيت العربات التي تنتقل وحدها دون أن تجرها الكلاب... ورأيت الطيور الكبيرة... مئات من الطيور الكبيرة التي تطير في الجو. والكثير من الأشياء الأخرى... نحن سحرة أقوياء... يسهل علينا كشف جثة إنسان مدفونة في التوندرا.

فضحك غوروك هو الآخر هازئاً، ولكن بحماس أقل من حماس راموك.  
- أنت، ياغوروك، صاح راموك، هيا أفحم البيض! وأثبت لهم بأنك مازلت أكبر ساحر!

وذهب التعنيف دون جدوى إذ كيف يكون بوسع غوروك أن يفحم البيض آنذاك، وقد كان على وشك أن يموت هلعاً.  
وصاح راموك في وجه سكوت متحدياً:

- لقد جئت إلى هنا وأنت تكذب! إنك تؤكد على الطيران في الجو، وعلى إمكانية سحرتك في اكتشاف جثة مدفونة تحت الطحلب؟ ولكن هل تعتقد بأننا سنصدقك؟

فضحكت القبيلة بأسرها بعد أن اطمأنت إلى نبرة راموك الحازمة. وأخذ المجتمعون يتدافعون بمرافقهم، إذ وجدوا التسلية في حيطة الأبيض. إلا أن سكوت رفع يده وأمرهم بالسكوت.

- لأستطيع إفشاء الأسرار كلها لكم، ولكن بوسعي أن أقول لكم مايلي:  
لقد سبق لكم أن رأيتم جثة. هل لاحظتم عينيها؟ إن عينيها لاثموتان حالما يموت الجسد. بل تموتان بعد مضي وقت طويل على ذلك. وهكذا فإن الجثة تنظر إليكم طوال أشهر، طوال سنين. والصناديق السحرية تعرف كيف تلتقط العيون، حتى إن كانت مغطاة بالطحلب. سيطير الطائر الكبير على ارتفاع جد منخفض فوق التوندرا، وعندما يلتقط أحد الصناديق فجأة عيني أندرسون، سنعرف مكان الجثة فوراً!

فقال راموك، الذي شجعتة ضحكات القبيلة التي كانت لاتزال ترنّ في أذنيه، قال متحدياً:

- إنك لن تعثر أبداً على جثة أندرسون بهذه الطريقة! ستكون صناديقك عاجزة عن ذلك! فلقد دُفن أندرسون ووجهه إلى الأرض!

من خلف راموك أطلق غوروك صرخة غاضبة. دون كلام، زمجرة فحسب.

لقد ضاع الآن كل شيء. وأدركت القبيلة ذلك. فتهلل وجه سكوت بابتسامة، وكانت الحركة التي قام بها رجال الشرطة وهم يتقدمون نحو راموك، جلية تماماً. لقد ألقوا القبض على المذنب، ولن يكون من السهل إخلاء سبيله.

واحدة من النساء - زوجة توغوغاك - صرخت بدورها. كانت أصغر سناً من بقية النساء، وكانت مثل إريوك، أكثر تطوراً، وأكثر رقة أيضاً، وكانت تتقزز أحياناً من حياة بني قومها.

- إنه هو، صاحت المرأة. إنه هو من قتل أندرسون. ومن قتل أبايالك أيضاً. نحن نخشى جانبه!

انتفض سكوت. أبايالك؟ وأسندت إليه الآن جرم جثة ثالثة؟

لم يكن متوقفاً أن يقوم أحدهم، ولاسيما امرأة، ويرفع صوته على ذلك النحو وسط القبيلة. ولكن سكوت كان يتوقع ذلك. كان يدرك أنه لو تمكن من زعزعة نفوذ راموك أقل زعزعة، فلن يتقاعس أعداؤه في القبيلة، في خزيه. إن كل ما كان يُراد فعله بداية، هو وضعه في دائرة الاشتباه، أما الباقي فكان من شأنه أن ينحل بذاته. وحصل ذلك فعلاً، إذ سرعان ما لاقى صوت المرأة التأييد، من عجوز من القبيلة هذه المرة باسم أوناك الذي تقدم نحو سكوت قائلاً:

- نرغب في العيش بسلام مع البيض. ونريد احترام قوانينهم. إلا أن راموك والساحر غوروك يمنعاننا من ذلك. لا أعرف من الذي قتل براون. يقول البعض بأنه أغاغوك. محتمل. ولكن كان بوسع راموك قتل براون ببساطة واتهام

أغاووك. وهو من قتل أندرسون، وهذا مؤكد. لقد رأيناه جميعاً. ورأيتُه بأم عيني يقتل أبايالك.

- وأندرسون، ألم تحاول منع قتله؟

هزّ أوناك كتفيه:

- كان راموك هو الزعيم، وغوروك هو الساحر. فما الذي كان يوسعك أن

تفعله ضدّهما؟

ابتعدت القبيلة بعد ذلك، عن راموك. ولم يبق إلى جانبه إلا غوروك.

- هل يوجد بينكم من سيذهب معنا إلى المدينة لمحاكمة راموك؟

- وغوروك، صحّح أوناك، فهو شريك راموك. لقد فعلا كل شيء معاً.

- وغوروك، وافق سكوت. لمحاكمتها ومعاقبتها. من سيذهب؟

ارتفعت عشر أياد.

- ولكن الطائرة لاتسع إلا خمسة منكم. قال سكوت. أنت مااسمك؟

- أوناك.

- اختر إذن أنت أربعة رجال وتعالوا. لن تمكثوا في المدينة إلا عدة أيام.

- هل سنعود قبل حلول البرد؟

- نعم.

فاختار أوناك أربعة رجال من الاسكيمو وقادهم إلى سكوت الذي قال:

- حسناً، والآن سننطلق.

كان رجال الشرطة يتأهبون للسفر وعلى وجوههم تظهر علامات الارتياح

جلية.

- أرايت، قال سكوت لراموك، ولكن بصوت عال لتسمعه القبيلة، كم هو

قوي سحر سحرتي. فقد استطاعوا اكتشاف المذنب، حتى دون أن يتحر كوا،

ودون استخدام صناديقهم العجيبة... فهل بوسع سحرتك القيام بذلك؟  
إلا أن راموك لم يكن يسمع شيئاً. فلقد هُزم. كانت حيلة سكوت أكبر  
من حيلته. ولقد أذل أمام القبيلة وأتهم. والقبيلة ذاتها تبرأت منه. لقد خسر  
الجملة، وهو الآن هنا خائر لا يحس بشيء. فماذا عساه يقول الآن، ولماذا  
يتكلم؟ سيحاكمونه، وسيشنقونه. لقد انتهت حياته. فلم يبد بالتالي أية مقاومة  
عندما قاده أحد رجال الشرطة نحو الطائرة. وفعل غوروك الشيء ذاته.  
وانقطعت سيرة راموك، وسيرة الساحر أيضاً، في تاريخ القبيلة الذي تدونه  
قلة في أغاني السهرات.  
وأما الطائرة التي أفلعت مع هبوط الليل وتوارت في السماء، فقد اقتادت  
راموك إلى غير رجعة.

## الورطة - IN.AK

وعادت الحياة إلى مجراها ثانية.

لم يكن أغاغوك يعرف إن كان راموك لا يزال في القرية، أم أن رجال الشرطة قد اقتادوه إلى جهة ما.

لقد انتهى فصل الصيف، وأن أوان الصيد، وتقطع اللحم وتدخينه. كان الشغل يتطلب من أغاغوك دأباً يومياً ثابتاً.

وكان لديه تاياووت، علاوة على ذلك.

ومنذ بعض الوقت أضيفت إريوك أيضاً إلى مشاغله. فلقد بدا لأغاغوك أن العلاقة بينهما لم تعد كسابق عهدها. إذ طرأ شيء جديد على حياتهما اليومية. أيكون ذلك احتراماً للمرأة، الأمر الذي لم يفكر أغاغوك القيام به أبداً فيما مضى؟

فلم يجامع إريوك منذ أن جاء رجال الشرطة. ولم يكن ذلك بسبب الحقد، ولا بسبب عدم الاكتراث. إنما على الأصح، كان يصعب عليه البقاء قريباً منها، لأن حياءً كان يستبد بسلوكه، ويحس بنفسه مهزوماً على حين غرة...

وعلى الرغم من ذلك، فقد تمرت طبيعته. كان يشعر بلحمه يحترق، وكان يرغب في أن يعض، وفي أن يصرخ أحياناً. وما إن كان الألم يبتابه قريباً من إريوك، وما إن كان يمد لها يده، حتى كان يتملكه التردد ذاته. كان يستعيد صورة إريوك وهي أقوى من أي رجل، واقفة في وجه رجال الشرطة، متحدثة بصوت عالٍ ممنوع على أية امرأة أخرى، عارفة كيف تجد الكلمات في الوقت المناسب، بل في اللحظة ذاتها عندما تكون الكلمات ضرورية.

لقد أنقذت، إجمالاً، حياته، حياة أغاغوك الذي لا يستطيع الآن نسيان ذلك.

وفي نهاية المطاف فقد كانت إريوك هي من احتلت الصدارة. ولكن ليس كما تخيل أغاغوك. إنما بكلمات جديدة، ومقتضيات مذهلة.

- سأنجب، قالت إريوك، طفلاً آخر ذات يوم.

قالت ذلك في غير محله، عندما كانا يتناولان ببطء، منذ ساعة، طعام العشاء.

- ستمدد فوقني وتعمل لي طفلاً آخر.

لم يرد أغاغوك. إنما رفع إليها عينيه فحسب وتوقف عن المضغ.

- ستكون بنتاً، قالت إريوك، فأنا أعرف ذلك.

وكان أغاغوك يتذكر ما قالته إريوك حتى ذلك الحين. وتوقع بأنهما ستحدث عن ذلك مرة أخرى. ونهض دون أن يتلفظ بكلمة ثم خرج متوجهاً نحو النهر. إلا أن إريوك سبقته وسدّت الطريق أمامه وهي ترتعش.

- إذا جاءت بنتاً، قالت فجأة، فسأبقي عليها حياة.

كان أغاغوك يتعذب. فلماذا تتكلم هي عن هذه الأشياء؟ وهل مسموح للمرأة النقاش حول موضوع مثل هذا؟ أليس من حق جميع ال INUIT وواجبهم تقرير مصير المولودين الجدد، دون تدخل المرأة؟

- قل بأنني سأبقي على حياتها!... قالت إريوك وهي تنوح.

لم يستطع أغاغوك أن يجيئها. إذ كانت ثمة أفكار كثيرة متناقضة تتزاحم في رأسه. لقد مرّ في خاطره بأنه مدين بحياته لإريوك، وفي أكثر من حالة. فعندما جرحه الذئب، من الذي اهتم به؟ ومن الذي عالجه سواها؟ لقد اصطادت الحيوانات وسلختها. كما أنها وقّرت حاجات هذا الشتاء، ودبّرت أمر كل شيء في الكوخ، وساندت خطواته المترنحة، لقد عملت كل شيء، وأعطت كل شيء ليبقى هو على قيد الحياة...

ويوم جاء رجال الشرطة؟ فمن دونها، كانوا سيقتادونه إلى سجن المدينة، وكانوا سيشتقونه على الأرجح...

ولكن البنت؟...

هذه البنت التي ربما سيرزقان بها ذات يوم، والتي ترغب إريوك في الإبقاء عليها؟

ما كانوا يسكنون القرية، ولا كان بوسعهم الاعتماد على الآخرين في إطعامهم، إذا ما احتاجوا إلى اللحم أو السمك.

كانوا وحيدين هنا، خاضعين لمواردهم الخاصة. إنهم زاهدون، ومن حولهم مخاطر التوندرا كلها! الابن، يعني صياد منذ نعومة أظفاره. يجلب إلى المنزل غذاءه الشخصي...

أما البنت؟

لو كان ثمة أربعة رجال يحتاجون لرعاية، لتطلب الأمر وجود بنت



لمساعدة الأم، أما وهما اثنان فلا يحتاج الأمر إلا إلى عمل امرأة واحدة تحديداً.

اطعام فم زائد؟

ولكن البقاء؟

على الرغم من ذلك، فإن كان هو لا يزال حياً هنا، فلمن هو مدين بحياته إن لم يكن لإريوك؟

كان صياح المرأة انفعالياً حاداً. وكانت عيناها زائغتين.

- أريد الإبقاء على حياة البنت. صاحت إريوك.

حاول أغاغوك التملص آخر مرة.

- وهل تعرفين ماذا ستلدين؟ إن جاء صبياً، فسيكون صياحك هذا كله دون فائدة.

غير أن إريوك كانت تهز رأسها وتبكي.

- ستكون بنتاً، إنني أعرف ذلك. أعرف ذلك!

ترنح أغاغوك على ساقيه، وهو يتميز من الغيظ. كان راموك على حق تقريباً: فلماذا يُسمح للمرأة أن تتكلم بصوت عال جداً؟

- اسكتي صاح أغاغوك.

ولكن إريوك استمرت تتوسل بإلحاح.

- أريد الإبقاء على حياة البنت. وسأُنجح في ذلك...

كانت الكلمة قاسية مثل صفة. أبهذه النبرة تتناقش منذ الآن فصاعداً؟ وهل ما عملته كان من أجل الإبقاء على حياة البنت التي تمنى إنجابها؟ وهل ينبغي عليه أن يظل معترفاً بالجميل إلى الأبد؟

فتقدم، حتى صار بقربها تماماً. وصار غضبه، فجأة، أقوى من كل حكمة.

- إنك تتكلمين بصوت عال جداً! صرخ أغاغوك.

وانهالت قبضته بضربة على وجنة إريوك. ثم ارتمى فوقها وراح بها  
بقدمه وبقبضته المثينة. فسال الدم على وجه المرأة التي استمرت تصيح:

- أريد الإبقاء على حياة البنت! أريد الإبقاء على حياة البنت!

وعندما تعب أغاغوك من ضربها، استلقى فوقها وامتلكها.

أمضت إريوك وقتاً لتتسجم معه. ولكن بعد قليل صار النداء أقوى من  
غيظها، فشرعت تتأوه، ولكن بخلاف ما كانت تتأوه منذ قريب. وأدرك  
أغاغوك مدى المتعة التي وفرها لها عبر طرقاته العنيفة والقوية. وعندما حلّ  
السكون، سمع أغاغوك صوت إريوك أبح وملحاحاً ومشوباً بالتلذذ، يهمس في  
أذنه:

- قل بأنني سأبقي على حياة البنت...

## الدولاب - ATSUPLUAYOK

لقد علا شأن أوناك في القرية حالما عاد من المدينة التي أعدموا فيها راموك وغوروك. لعله تمتع بنفوذ أكبر من الآخرين، وبقدرة على الحديث في اللحظة المحددة. كيف يمكن تفسير هذه الأشياء؟ لقد صار محط اهتمام الناس من حوله، على نحو غريزي، دون عمل مدبّر حقاً.

- يا أوناك، قال أحد المسنين. الآن وإذ لم يعد راموك...

ولكنه لم يكمل حديثه. فلقد قطعت أصوات أخرى، مثلما هو الحال في المناقشات غير المنتهية، سلسلة الأفكار التي كان يريد التعبير عنها. بعدئذ، خفتت الأصوات، وحل الصمت شيئاً فشيئاً. استئناف تدريجي للحديث العجوز.

- يا أوناك... قال واحد من الشباب متردداً.

ونظر إلى الآخرين، فhez الآخرون رؤوسهم، مدغدغين بطن أوناك بأصابعهم، ضاحكين، ضارين ضلوع بعضهم بعضاً بأكواعهم.

أوناك؟

فأوجز واحد من الشباب برصانة أكثر من الآخرين الفكرة المطروحة.  
- بوسعك أن تكون زعيمنا.

كيف سيتم ذلك؟ رجل ذو خبرة فائقة، ولكن في فنون خاصة بالقبيلة. مقاييس مدهشة أحياناً. كان أوناك صياداً ماهراً. يتقن إعداد الجلود. ويعيش دون امرأة، ويقول بأنه لا يرغب في النساء أبداً. كان يبني الأكواخ الأكثر متانة واستدارة، ويصطاد الفقمه مثل صيادي بلاد المياه. كان يتقن الكلام، ولم يعد يخاف أحداً بعد الآن. ومعه لن يكون هناك داعٍ للتخوف من الاخلال بالواجبات. كما أنه كان محبوباً لدى الجميع!

هكذا يكتب التاريخ.

إن تعلق الأمر بقبيلة أو بإمبراطورية، فهل نحن بمنجى عن البداية من جديد؟ قيصر، ولقبيلة من بلاد الجليد، أوناك.

بوسعك أن تكون زعيمنا.

قَلَبَ الفكرة في رأسه، وتأمل... ما الذي تبقى؟ ففكر أوناك بأنه سيحلوه الخروج من خيمته صباحاً، وإصدار الأوامر.

هو من سيحسم، ويقرر، ويعلن؟

لكن ما الذي يتراكم في قفا العملة لايجعل وجهها مستحباً، لدرجة تجعل أوناك الماكر يفقد صوابه».

أي قصاص يناله الزعماء الضالون في أحكامهم، إذا مانكثوا بالتزاماتهم اليومية؟

إن القصص الرائجة من قرية لأخرى، ومن قبيلة لثانية تجيب عن ذلك إجابة وافية.

فهذا صلمت أذنه، وذاك تمّ خصيه، وآخر منفيّ صار مشرداً بين جماعته  
وفي أكثر أجزاء العالم رحابة. وهناك أيضاً من بُصق في وجهه، لأن النساء قد  
سُلبن منه. كان ذلك يحكى بمتعة زائدة في الحركات والمغامرة. لم يخدم  
التنكيل لدى الاسكيمو. ولا يزال يجد فيه بهجة فائقة حسب المناسبة.

وحدها حالة راموك تكفي مثلاً.

تحكي حكايات الشتاء عن عدد من زعماء القبائل، أبطال حمقى،  
وشخصيات وأساطير، كان أفضل مالديهم هو صرخات التعذيب، وعمليات  
التمثيل والتشويه الشنيعة.

متبعاً قاعدة خير الأمور أوسطها، كان بوسع أوناك طبعاً أن يأمل في  
البقاء. لقد مات آخرون، أيديهم خلف قذالهم، دون آهة واحدة، والمسنون  
المقعدون، الذين انسحبوا طواعية إلى مثواهم الأخير.

ومن المؤسف فقط، أن الأمر لم يكن على هذا النحو بالنسبة إلى الجميع.  
وفي هذا كان يفكر أوناك.

زد على ذلك، فقد كانت فرحة الزعامة تتعارض مع عبء مسؤوليتها،  
عبء أقل ثقلًا من كل تنكيل ممكن. فليكن، ولكن عبء مشاغل يومية. تكون  
قبيلة تابعة له. سيكون رئيسها، وسينبغي على سلطته أن تستمر دون توقف.  
كان أوناك يحب الحرية. كان أعزب. لا امرأة لديه ولا أطفال، لاشيء  
ولا أحد، ولا أي التزام. على هذا النحو كان قد اختار قسمته.

واستنتج، إذن. الحفاظ على حالته تلك.

أ يكون حراً إن صار زعيماً؟ أ يكون بمقدوره أن ينام باختياره، ويصطاد  
على هواه، ويسافر إذا ما أراد ذلك؟

ماذا سيقولون عن زعيم قام بمغامرة صوب قمة الأرض؟ أو صوب الماء  
الكبير؟ أ يختار وقت الذهاب المناسب له حسب مشيئته؟ سيظهر تدمر في  
القبيلة، وسيحل السخط تدريجياً محل الحماس الأول...

كلا، لم يرغب أوناك في الزعامة قط.

لقد حرر نفسه من الأيدي الضاغطة، ومن سيل الكلام الذي غمره به كل واحد منهم.

- كلا، قال أوناك، فأنا لا أريد أن أكون زعيماً. ثمة آخرون...

- مَنْ؟ ألح العجوز.

- سمّه، أشر بإصبعك إليه، الآخر، من هو الآخر؟

كان أوناك يتعذب. رغب في الهروب بعيداً عن القبيلة. وكان عذابه بسبب نفاذ صبره، خاصة. لقد رفض، وأراد بأن يكون ذلك نقطة ختام: نهاية المناقشات التي لم يعد يرغب أبداً في سماعها.

فتح العجوز الأذرد، فمه الذي خلا من الأسنان وبصق الكلمات.

- قلت لك بأنك أنت الزعيم. ليس هناك آخرون.

والحالة هذه، ثمة أفعال لا ينبغي على الزعيم ارتكابها، ومواقف لن يعرف الزعيم كيف يتخذها، وحلول مستعجلة يمنع عليه اتباعها. تقتضي العادة بأن يحكم الزعيم وحده، وأي تساهل ديمقراطي ليس إلا علامة ضعف. فلم يبق لأوناك إلا أن يخطو خطوة إلى الأمام تسمح له بخطوتين إلى الوراء.

- لدي شرط. قال أوناك.

وتأمل شمس النهار، وعُري السهل، ثم بدأ يتفحص يديه. كان لابد أن يسمع كل واحد منهم جيداً مألديه. خطوة خطوة، دون التباس محتمل.

- إن شُرطي، قال بعد حين، هو أن لأكون وحدي. سأكون زعيماً، ومعني سيكون مجلس للمسنين، وآخر للرجال، وثالث للنساء.

- للنساء؟

صياح مرعب تقريباً.

- للنساء؟

كان أوناك، الأكثر جسارة وتطوراً، قد عاش في بلاد البيض. لقد بلغ

المدن الكبيرة التي جاء ذكرها في القصص. وسافر على متن الطيور المعدنية، وهناك كان أوناك يقول بأنه صعد مركبات كل واحدة منها أغرب من الأخرى، تتحرك من تلقاء ذاتها. تسير من هنا ومن هناك. السفر القريب العهد الذي قام به برفقة راموك وغوروك ورجال الشرطة إلى مركز الجندرمة، لم يكن بحد ذاته مغامرة. كان الجميع يرتابون في كل شيء تعلمه في هذه الأسفار. لاشيء من الحدة، ولاحتى من الدقة. ضيق، وغل مبهم، ظهرا خاصة عند عودته قبل بضع سنوات. فلتبق التكهّنات بالمستقبل، والتحذير الذي أبداه عدد من المسنين، والخوف الذي انتاب القرية من ضرورة تبني أفكار أوناك الجديدة، فلتبق كل تلك الأشياء بعيدة عن الظهور والتحقيق أبداً، ولكن في المحصلة لم يلق أحد باللائمة على أوناك، الأمر الذي سكّن روع العديد من الأشخاص. ومع ذلك فقد ظل شيء لامفر منه.

رية أعطت القبيلة مقداراً كافياً من الحماسة لترغب في تعيين أوناك زعيماً، ولكن جعلتها حذرة كلما حاول هذا الأخير التعبير عن فكرة من الواضح أنه تبناها أثناء رحلاته إلى البيض.

- مجلس للنساء؟

كان ذلك كثيراً جداً.

كانوا يبصقون على الأرض، ويضحكون، ولكن بنبرة قلقية، ويعبرون عن سخطهم أيضاً، أولئك الرجال الذين لهم زوجات في أكواخهم.

- هذا أسلوب من أساليب البيض، قال أحد المسنين.

كان صوته مفعماً بنبرة ازدراء شديد دفع أوناك إلى أن يقهقه قائلاً:

- صح، إنه أسلوب من أساليب البيض. تعلمته هناك. فلكل واحد من القبيلة الحق في الكلام. وللنساء بقدر ما للرجال.

نظرية مرفوضة. هل سيتم الآن منح صوت للنساء؟ كانوا يهزون

رؤوسهم. فاقترب أحد المستنين من أوناك ونظر إليه بازدراء ثم انصرف بخملوات سريعة، وعلى وجهه علامات التقزز.

كان يصعب على أوناك مداراة فرحته. فلقد استطاع أن يبقى حراً. وما عاد يرغب فيه أحدٌ زعيماً للقبيلة.

تفرقت القبيلة، وانصرف كل واحد إلى شغله المستعجل على حين غفلة. وولج أوناك إلى الظل الذي كان يناسبه. وقد بقي عضواً في القبيلة، وحيداً وسعيداً، فعلى هذا النحو كان يريد - طبعاً - أن يعيش.

حراً ولاسيما في أن يذهب متى يشاء، وأن يعيش حياته دون عبء يثقل كاهله، والتزامات تأسره.

دخل أوناك إلى الظل، وفي حياة القبيلة توقف نظرياً عن الوجود، ليعود عضواً وحيداً في جماعة مجهولة.

كان لا بد، مع ذلك، من إيجاد زعيم.

فاستمزجوا توغوغاك للزعامة، ولكنه رفضها لأسباب مختلفة عن أسباب أوناك. لأسباب سرية لم يجسر على البوح بها. فلقد كان يحلم، منذ مدة، بالرحيل نحو قمة الأرض. حيث صيد الفقمة الوفير. وحياة مختلفة تماماً، ودوام الكوخ الواحد في الشتاء الأزلي. ولكنه كان ينوي الذهاب وحيداً، وهجرة زوجته وأطفاله. كان الرجال يحومون غالباً حول خيمته. وسيتم تدبّر أمر زوجته بسرعة من قبل واحد من أولئك الرجال. ولكن هذا لم يكن مشروعاً للحديث عنه مسبقاً، فما كان لشيء أن يمنعه من الرحيل، وكانت حرите رهن الكلمات.

لو صار زعيماً للقبيلة لارتبط بالمسؤولية. كان سيطيب له شرف الزعامة، لو لم يكن ذلك الشرف متعارضاً مع مشاريعه، لذلك لم يقبل به، إنما قابله برفض بارد دون نقاش.

وألحوا. كان اثنا عشر رجلاً مجتمعين أمام مسكنه يحاولون مناقشته. كان الوقت يضغط. فقبيلة دون زعيم هي قبيلة منهارة. كان لا بد من رحل. ولكن



أحداً لم يقدم نفسه. كان أوناك يعرض صيغاً غير معقولة لهذه السلطة البدائية، أما توغوفاك فقد رفض المناقشة. أمضوا ساعة للموافقة على هذا الرفض الثاني. ثم لجأوا إلى خيمة أحد المسنين، خيمة خفيضة وطويلة، حيث جلسوا في حلقة يناقشون الوضع من كافة جوانبه. لقد صار الأمر خطيراً.

- ألم يوافق أحد؟ سأل العجوز.

كان الجميع محقين. كان هذا أو ذاك يود أن يرشح أحدهم أو حتى نفسه، ولكن ماذا سيكون بالتالي مصير ذلك المشروع وذلك الحلم، وذلك الهروب المخطط له، وتلك الرحلة وذلك الصيد؟

الزعيم مرتبط بالقبيلة، يذهب إلى حيث تذهب القبيلة، ولا يذهب وحيداً، إنه قيد ثقيل جداً أشبه بالسجن. ويرى أولئك الرجال الذين يرشحون غيرهم للزعامة، بأن المرء لا بد أن يكون مغفلاً أو عاجزاً أو مفرطاً في خموله حتى يقبل بمنصب مثل هذا.

أو أن يكون مثل راموك منذ عهد قريب طمعاً ونذلاً، ويتنزه فرصة هذا المنصب لممارسة الاستبداد، والإثراء الشخصي.

ألم يتوقف راموك عن الصيد، منذ اليوم الذي اقترح أحدهم - فيه - ترشيحه للزعامة؟ كان يطالب الجميع بقبيلة تؤمن له كل مؤنثته. ولم يكن يسمح لأولئك الذين كانوا يدخلون عليه، أو حتى أولئك الذين لم يحالفهم الحظ في تأمين الحصاة المطلوبة من صيدهم.

كان راموك، الذي سجنه ضباط الشرطة، قد بات غنياً وفق معايير القبيلة. لقد أرسلوا بسرعة، زوجته «المونتانيه» إلى بلدها، ثم نهبوا مدخرات خيمته. ولدهشة الجميع، فإن صرر الجلود وحدها كانت تساوي وزنها ذهباً...

وهو بينهم، كان راموك يفرض احترامه. على أي حال كان مُطاعاً. وكان هذا وذاك سيان. سلطة أعطيت له، وحرص الجميع على عدم المساس بها، أمام صرامة العادات التي تحكم اختيار زعماء الاسكيمو. الآن، وقد ولى راموك، فلا يوافق أحد أن يكون بديلاً عن ذلك الجشع والنذل. ولم يكن ذلك يغير شيئاً في

مفهوم أي INUK لا يعبر احتراماً كبيراً إلى القوانين ولا إلى الأخلاق، ولكن مراعاة مصلحة الجماعة يتم البت فيها وفق قوانين مختلفة تماماً. وبموجب تلك القوانين سوف يتم اختيار زعيم لهم.

كان المقصود خاصة، هو أن لا يكرروا خطأ اختيار راموك.

إن حرمان قبيلة من زعيمها، كان يخل بأساليب الحياة، ويزعج جميع الرجال، ويفرض ثمرات طويلة عليهم، ويثير لديهم مشاعر قلق وضيق هم في غنى عنها. وهكذا لم يذهبوا إلى الصيد منذ أيام عديدة. وكان من شأن ذلك أن يعرض للخطر - ربما - حياة الأشهر القادمة، إذ أن المؤن التي شرعوا في استهلاكها لم تعوّض كما يجب.

ولكن أوناك لم يرغب، وأما توغوغاك فقد رفض: فإلى من عساهم أن يلجأوا؟

كان الرجال يبدون مشطي الهمة في الخيمة المتعفنة، والحارة على نحو مخيف والعايقة بالدخان، فلم يقل أي منهم شيئاً منذ بعض الوقت. وماذا سيقول؟ ومن يُسمّي؟ إن كان أحدٌ لا يرغب في هذا المنصب.

- أنا أعرف، قال العجوز، أعرف من هو الجدير!

فاستدارت عشرة رؤوس نحوه فجأة، وقد انفرج غمّتها مؤقتاً، تصيخ السمع بفضول.

- إنه، قال العجوز بوقار، واحد من أبناء القبيلة. سيكون زعيماً مناسباً. وحلّ صمت.

- من هو؟ جازف بالكلام أخيراً واحد من الرجال.

هزّ العجوز رأسه قائلاً:

- لا بد من معرفة إن كان سيوافق. إنني أفكر بأغاغوك.

- ابن راموك؟ سأل أحد الرجال، بصوت أشبه بالهمس.

- نعم ابن راموك، ردّ العجوز. وهذا لايعني شيئاً في الواقع. إنه ليس مثل راموك، وأنتم تعرفون ذلك.

كانت لديه حجة أخيرة، وهي الحجة الأكثر اهمية.

- ربما يكون قد قتل براون، قال العجوز، ولم يلق القبض عليه، وذلك قد خلّصنا من راموك.

قاتل، ومنتقم، أغاغوك، لم يعط الفرصة للقبض عليه! إنها مآثرة ستحكي في سهرات الشتاء. زعيم ممتاز. الدهاء والذكاء والنفوذ والمهارة والشباب والقوة!

فاستحسنوا الأمر. بل دبّ الحماس في قلب الجماعة.

- من سيذهب إلى أغاغوك؟ سأل العجوز. فأنا لأستطيع.

نهض ثلاثة رجال، اليغناك وهايوك، وناتيت.

- نحن سنذهب، أجاب ناتيت. سنسافر غداً.

ولم يبق سوى الانتظار.

## البطل - SIVUDLIPA

كان نائيت يسير في المقدمة، يتبعه كل من اليغناك وهايوك.  
كانت الحرارة، على الرغم من انتهاء الصيف، تضغط على التوندرا.  
لاملاذ، ولا استراحة، كتلة رطبة وحارة كانت تضغط على السهل اللامتناهي.  
كان المسير مضنياً، وكان بوسع السير كما يسير الـ INUIT، بخطوات  
راسخة وسريعة، أن ينهك المرء في ساعات قليلة، بما في ذلك الـ INUK الذي  
يتمتع بقدرة خارقة على التحمل. ولم يتذكر الرجال أن صادفوا سابقاً مثل تلك  
الأيام الثقيلة الحارة. كانت وجوههم تنضح عرقاً، عندما بلغوا خيمة أغاغوك.  
وكانت المعاطف المفكوكة تكشف عن جذوعهم العارية الناضحة بالعرق أيضاً.  
لقد استقبلهم أغاغوك استقبالاً فاتراً. كان يتنابه قلق غامض من  
الاتصالات مع بني قبيلته. وكان يرضى بالعزلة ويفضلها على عشرة جماعته.

فما عدا الحاجات الضرورية، كان أغاغوك يفضل البقاء بعيداً عن ذلك المكان الذي لا يحمل منه أية ذكرى طيبة، ولا يحس تجاهه بأي حنين.

أما وقد جاء ثلاثة من القبيلة فلن يطردهم أغاغوك طبعاً. سوف يستمع إليهم. وكان هذا أكثر مما كان سيفعله حتى لو أنهم أعلموه بزيارتهم هذه. ثم اختار على الفور، شبه مرغم، أن لا يكون بارداً في استقبالهم ولا متحمساً.

فلا دعوة إذن ولا تكليف ولا ترحاب. لم يدخل الرجال إلى الخيمة وظل اللحم المقدد معلقاً، واكتفى أغاغوك بهز الرأس جواباً على كلامهم.

كان الثلاثة متحمسين للقيام بمهمتهم ومتلهفين لشرح غايتها. ولكنهم فوجئوا باستقبال أغاغوك الفاتر لهم. وليس بدمامته التي كانوا على علم بها.

- جئنا باسم القبيلة، قال ناتيت.

فأحنى أغاغوك رأسه قليلاً. وارتمى اليغناك جالساً على الأرض طاوياً ساقيه تحته قائلاً:

- إن الطريق طويل.

ونزع المعطف من فوق كتفيه، معرضاً جذعه للنسيم الذي كان يهب على مستوى الطحلب، وفعل هاييلوك الشيء ذاته. ناتيت وحده ظل واقفاً. مثل ما كان أغاغوك.

- لقد اقتادوا راموك إلى المدينة، استأنف ناتيت الحديث، وعاد أوناك ليبلغنا بأن البيض قد شنقوه، وكذلك غوروك.

- أوناك قال ذلك؟ استفسر أغاغوك بإلحاح.

- أجل.

في مثل هذه الأمور، من الأفضل أن تستجلي الأخبار من رجل من الاسكيمو، لا من رجل أبيض. فالأول سيحكى الحقيقة دون تشويه، ودون أن يجد أي شيء آخر يقوله عندما يكون المقصود هو طغيان البيض الذي يبدو له، بحد ذاته، كريهاً بما فيه الكفاية.

الرجل الأبيض، يُؤنب، يُرعب، يستحضر الأرواح الشريرة. إنه لاهول الحقيقة دائماً. كاكريك وهو INUK من قبيلة «تيردوباغا» اقتيد إلى المدينة لأنه قتل أخويه. فأشاع واحد من البيض خبيراً في قرية كاكريك، قائلاً بأن البيض قد أعدموا ال INUK. ولكن بعد مضي عشر سنوات رجع كاكريك. وإذ سدفت زوجة كاكريك الأقوال، فقد تزوجت ثلاثة رجال في غيابه، مات الأول، فعاشت مع الاثنين الآخرين. أنجبت منهما عشرة أطفال، عاش منهم ستة. إضافة إلى ستة من كاكريك، الأمر الذي تسبب في أزمة. فقتل كاكريك واحداً من الزوجين وثلاثة من الأطفال. ولم يتوقف عن مذبحته إلا بعد أن أخبروه بكذبة الأبيض. أما زوجته، وإذ ظنت نفسها حرة، فكان من الطبيعي أن تتخذ لها أزواجاً آخرين. وبالمقابل فقد رأى كاكريك بأن اتخاذاها ثلاثة رجال عوضاً عنه إنما يعدّ على أية حال، دليلاً على فحولته الفائقة، الشيء الذي كان يرضي غرور كاكريك الذي بات يعيش مع الزوج الأخير الذي ظل حياً ومع المرأة. وكان على الزوج الأخير أن يصطاد مضاعفاً إذعاناً لأوامر كاكريك. وأن لا تزوره زوجته سوى مرة في الأسبوع. وكانت اللعبة الجنسية تتم تحت رقابة كاكريك الذي كان يشترط على الزوج بأن لا يظهر شديد لهفته.

هكذا كانوا يحكون في سهرات الشتاء، وكان من شأن كاكريك أن يتحاشى ذلك كله وأن لا يقتل إلا واحداً. لو لم يكذب الأبيض!

أما الخبر المتعلق براموك فقد جاء من INUK. وكان دليلاً صادقاً، وتجربة الماضي تثبت ذلك.

- هل أعدموه؟ سأل أغاغوك ولكن دونما فضول.

- نعم.

فلم يشعر أغاغوك، إثر ذلك، بأي انفعال في داخله. لقد مات راموك، وانتهى، أما هو أغاغوك فلم يحس بشيء، إنما شعر ولم يخف ذلك، بنوع من العزاء.

- هذا ما كنت أتوقعه قال أغاغوك:

فهزّ اليغناك رأسه يميناً وشمالاً، ثم تأوه بصوت خافت:

- آي، ياي ياي...

ونظر إليه أغاغوك دهشاً.

- إن القبيلة آسفة. قال أليغناك. فلقد مات زعيمنا.

كان كلامه مفعماً بالنفاق، ولم يثق أغاغوك بالمشاعر التي عبر عنها. القبيلة آسفة على موت راموك؟ قلقة ربما، حائرة، هذا محتمل، ولكن آسفة؟ تبوح الكلمات بما يريدون قوله. تستخدم للحاجة ليس إلا، أو لتشويه الفكرة. مثل كلمات اليغناك. فما قصده من وراء ذلك؟

- القبيلة، قال هايلوك، بحاجة إلى زعيم.

كان أغاغوك ينتظر صامتاً، فلمسه ناتيت من ذراعه قائلاً:

- لقد ناقشت القبيلة هذا الأمر طوال ساعات وأيام.

- ولم يكن ذلك أمراً سهلاً، قال اليغناك شاكياً.

كانت إريوك، في الخيمة تتسمع إلى الحديث، وقلبها يخفق. كانت تعرف جيداً بأنهم يناقشون موضوعاً هاماً، ولكن ماذا كان بوسعها أن تفعل، إن كان ينبغي على أغاغوك أن يحس بنفسه صاحب الأمر والنهي في مثل هذه الأشياء، هذه المرة على أية حال؟ كان يكفيها ما فرضته على الرجل من ناحية أخرى، دون التدخل في مناقشة اليوم.

كان تاياووت مقرصاً عند قدمي أمه يلعب طوال الوقت بمديّة من العاج. أما خارج الخيمة فقد خيم الصمت على الرجال. واستبدّ بهم ضيق بطيء. كانوا يتوقعون أن يستقبلهم أغاغوك بترحاب أكثر. وكانوا يعتقدون أنهم لن يتكلموا كثيراً ليفهم أغاغوك الهدف من زيارتهم. وبما أن الثلاثة كانوا يتخوفون من الرفض فلم يتجرأوا على الاسترسال في الحديث، لحفظ ماء الوجه على الأقل.

- لقد جئنا، قال ناتيت من جديد...

وكان يبحث عن كلمات ليضيفها إلى هذه الجملة.

نهض هايلوك، ثم وقف قبالة أغاغوك، وأقدم على طرح الأمر بهزم أكثر من الرجلين الآخرين:

- لقد فكرنا بأنك ستكون لنا زعيماً مناسباً، لو رغبت في العودة إلى القرية.

أفلتت الكلمة.

أغاغوك الذي كان يتوقع ذلك، لم يبد الآن أي انفعال. نظر إليهم الواحد بعد الآخر. ناتيت البدين، الغليظ، المحتال. واليغناك الشكّاء، الذي لم يجد أبداً الزمن على مزاجه والصيد وفق طريقته، والحياة منسجمة مع رغباته. وكان قصيراً أيضاً ونحيفاً مقارنة بالآخرين، وصياداً رديئاً قليل النفع للنساء اللواتي كان يجامعهن دون أن يرضيهن، وكان أخرق كما هو في كل شيء. وهايلوك، المكّار، والقوي العضلات والمهذار والصخب والمتبجح.

لماذا جاءوا إلى هنا بحثاً عن زعيم لهم؟ ما الذي حدث في القبيلة؟ وأي سبب جوهرى دفعهم إلى اختيار أغاغوك؟

كان أغاغوك يفكر وهو يتخذ قراره. فليس هناك في القبائل زعيم شاب مثله. وللمنصب إغراؤه ولكنه كان يعني العودة إلى حياة القرية. على أن أغاغوك لم يرغب قط في أن يفقد ماملكه. السلام خاصة، والعزلة، والحرية في اتخاذ القرار فيما يتعلق بأبسط تصرفاته.

وكانت لديه هنا إريوك أيضاً.

كانت بدينة وجذّابة. سيحومون حول الخيمة. وإذا ما ذهب أغاغوك، ذات يوم، بعيداً عن القرية على مرمى رصاصة، فسيقوم رجال من أمثال هايلوك وناتيت وكثيرون غيرهما بإزعاج المرأة، ثمة قوانين قبائلية بشأن التوزيع العادل للنساء. إذ أنهم يقدمون زوجاتهم، أحياناً، تسلياً لرجل متوحد، أو لأرمل حديث العهد، أو أخيراً لذلك المنكود الحظ الذي لا ذنب له في تعاسته.

لم يحس أغاغوك، يالغرابة، بميل لتكريس سخائه لحاجات القبيلة. ولم يفكر أبداً في أن يتخلى عن إريوك ولو ساعة، وعلى الرغم من أنه كان يصعب



عليه التعبير عن نوع التحول الذي بلغ به إلى هذه الغيرة الفطرية، فقد كان يحس بالضيق الذي لا يرغب في ازدياده أكثر في داخله.

كانت إريوك ثروته. وكان يريد أن يحميها هي خاصة من القرية، والقبيلة، ومن المتطلبات التي تفرضها المعاشرة.

ثم ماذا سيعمل في مجموعة، بينما هو يمقت حياة القطيع؟ لقد كان سعيداً هنا.

من جانب آخر كان المنصب يغريه. كان يوسع أن يصير واحداً من الزعماء الشباب بين الـ INUIT، وكان مجداً لا يستهان به. سيتغنون به في السهرات صياداً عظيماً وزعيماً أصغر سناً من أصغر الزعماء الشباب في القبائل البعيدة...

- بإمكاننا مساعدتك، قال ناتيت. سنفك خيمتك ونقل ممتلكاتك إلى القرية. فنحن أربعة، إضافة إلى إريوك. ثم لاحاجة لانتظار الشتاء ومساعدة الكلاب.

فهز أغاغوك رأسه قائلاً:

- كلا.

نظر الثلاثة إليه بذهول.

- كلا؟

كشّر ناتيت. واستغل اليغناك حجة جديدة للتشكي. وتقدّم هايلوك شبه مهدّد.

- نعرض الزعامة عليك، وأنت ترفض؟ أليدك شروط؟

- كلا.

- لماذا ترفض إذن؟

لم يرد أغاغوك.

- سنصطاد من أجلك، قال ناتيت. والمؤونة كلها مؤمنة.

فأشار أغاغوك بإصبعه إلى هايلوك.

- هو، لماذا لا يصير زعيماً؟

- لأريد، قال هايلوك.

- ولا أنا، أجاب أغاغوك.

- لماذا؟ ألع ناتيت.

- لأريد.

لقد اختار قراره. ولم ينم صوته إلا عن عزم قاطع. فأمسى النقاش متعذراً.

- اسمع، قال ناتيت، إذا وافقت فنحن...

ولكن أغاغوك قاطعه بكلمة واحدة:

- كلا.

قام ناتيت بحركة بيده.

- كلا، كزر أغاغوك بهدوء.

فيما بعد، اتجه الثلاثة إلى القرية. سيسرون في أثناء الليل، وكان الجو

منعشاً أكثر والطريق أكثر سهولة.

وإذ ظل وحيداً مع إريوك، فقد أحسّ الـ INUK بنفسه راضياً وسعيداً.

وكان سيندم لو ترك نفسه تنجذب للعرض المغربي. الآن صار يعرف ذلك.

كان هدوء التوندرا يحيط به، والسماء الساكنة وجمال المساء. وكل هذا

الظليل المألوف الذي كان يعرف كل ركن من أركانه ويهيمن عليه هيمنة

مطلقة. نوع من ملك، أعظم من زعيم، يحكم بلداً وليس رجالاً، يحكم هذا

السهل المعطاء، وليس عشرين خيمة مع ساكنيها.

إنه لن يشارك أحداً هذه البقعة التي يسكنها، لأحد سوى زوجته التي

اختارها وكان مولعاً بها.

ملك مملكة، سلطان مطلق، ما من أحد يحاسبه على أي شيء. لقد انصرف المبعوثون الثلاثة، ورآهم يتعدون في التوندرا. بعدئذ جلس على الأرض كما كان يفعل غالباً قبل دخول الخيمة للنوم. وتأمل سماءه، ونجومه. كان يحس بنفسه في غاية الإطمئنان، حرّاً وسعيداً بالحياة. سمع وقع خطوة وشعر بحضور شخص. كانت إريوك هي من جاءت تجلس قريباً منه.

- لقد سمعت، قالت بعد حين.

- صحيح.

ولست ذراعه.

- كنت أخشى أن توافق.

فهز رأسه.

- لم أوافق.

نعم ما فعلت.

بعدئذ باحت بفكرتها.

- مع مرور الزمن، كنت ستحدث ربما. كنت ستباهي في الأمسيات بقتل براون.

- يعرف الجميع بأنني قتلته.

- ولكن مادمت لم تتحدث عن ذلك، سيكون إبلاغهم عنك دون جدوى. فليس لديهم الأدلة. سيذهب أحد الحساد ليقول لضباط الشرطة أنك تتباهى بالجريمة، ولن يحتاج الأمر إلى أكثر من ذلك.

استغرب أغاغوك المنطق. فهو لم يفكر بهذا الاحتمال. بل لم يخطر بباله شيء من هذا القبيل.

- لماذا، سأل أغاغوك. جاءوا يطلبونني زعيماً؟ فهناك آخرون، كوماياك

على سبيل المثال... هو فقط، لن يريد أكثر من ذلك. إنه في سن الزمامه، وهو صياد عظيم، وإنسان قوي.

- هل سبق له أن قتل؟

أدهش السؤال أغاغوك. فلم يكن فطناً بحياة القبيلة أبداً. ولم يشغل نفسه قط بتفاصيل حياة الجماعة، ولا بالرأي السائد، ومراكز القوة.

لم يستوعب أغاغوك لماذا جاءوا يعرضون عليه زعامة القبيلة. ولا حاول حتى أن يفهم. كان يعترف بجهله التام. وهاهي إريوك تدلي برأيها.

- هل قتل كوماياك أحداً؟

تذكر أغاغوك بأن ذلك إنما كان أمراً ذا أهمية. فراموك، والده، لم يوافق على الزعامة، في وقته، ثمناً للبسالة.

- لقد قتلت براون. ولايستطيع رجال الشرطة إقامة أي دليل. إنهم يعتقدون، هناك في القرية، بأن هذا شيء كبير. إنهم يفكرون على هذا النحو. مثلما كنت تفكر أنت منذ أمد قريب.

- ألأنتي قتلت، ينتخبونني زعيماً؟

- ربما.

ثم أضافت:

- ليس لأنك قتلت فقط، بل لأنك قتلت ولم تنل عقابك من قِبَل البيض. هز أغاغوك رأسه.

- إنك لاتفهمين شيئاً مما تقولينه. ولم تكوني هناك عندما بحثوا الأمر.

- ولكنني أعرف بأنهم هكذا قرروا المحييء. إن كوماياك لم يقتل أحداً في حياته، باستثناء بناته عند الولادة، وجدته من طرف أمه، عندما شاخت جداً على مضغ الجلود. إنه لم يقتل البيض خاصة.

- صحيح، لم يقتل.

- أنت بظلمهم.

فكّر أغاغوك في الكلمة. كان وقّعها كبيراً. كان فَرِحاً وشيئاً مستحجاً.  
فليس من حظ كل رجل أن يصير بطلاً، ولا يتكرر ذلك دائماً. ويطيب للمرء  
أن يُعنى باسمه - وتروى سيرته.

بصقت إريوك على الطحلب.

- بطل قاتل، أهو بطل؟

لم يكن أغاغوك يعرف. فتحتّر فجأة.

- قل لي! ألحت إريوك.

وخيم الصمت عليهما. وشملهما هدوء التوندرا. فكّر أغاغوك بالباقي، بما  
كان تعنيه العودة إلى القرية. كانت إريوك على صواب.

هل ثمة أفضل من هذه الحياة المختارة؟ وهل هو مهم كل ما عدا ذلك؟  
نهض أغاغوك قائلاً:

- هيا، فغداً عليّ أن أصطاد.

## الدب - ATSAK

كان تاياووت قد بلغ الخامسة من عمره، عندما خرج دب أسود من الغابات الجنوبية، ليلبغ التوندرا حيث كان يسكن أغاغوك. كان دباً جريحاً. ولأنه كان مذعوراً فقد سار دون أن يدري إلى أين، الأمر الذي جعله يتوغل في الشمال أكثر من المألوف، حتى تاه.

كان جرحه قد كفّ عن النزف، ولكنه كان يشعر بالوهن، فلبد في الدغل ينتظر على مقربة من النهر.

لم يلحظ أغاغوك، الذي كان يصطاد، وتاياووت إلى جانبه، في تلك الأيام في مكان أبعد شمالاً، لم يلحظ الدب ولا اشتم رائحته، فقد كان الحيوان مختفياً على ضفة النهر الثانية.

في المساء، احترس الحيوان من الحركة احتراساً كبيراً، خوفاً من اجتذاب

الذئاب. فلم يكن يجد في نفسه القوة على مجابتهها. وعلى هذا النحو أمضى أربعة أيام يستعيد فيها قواه. بعدئذ خرج يصطاد. كانت الطرائد قليلة في التوندرا، أقل مما هي في الغابات - مسقط رأسه. مع ذلك فقد قتل ابن عرس بضربة من مخلبه. وفي مكان أكثر بُعداً في الشمال شاهد سمكاً يعوم في النهر. فدخل إلى مجرى الماء، وقبض على قرابة عشر سمكات والتهمها. وعلى الجانب الآخر من النهر رأى ثماراً عنبية فأكلها. ثم عبر المجرى عائداً إلى مخبئه. لقد شبع. إضافة إلى أن أحداً لم يكتشف وجوده. تُخيل لإريوك، ذات لحظة أنها سمعت صوت حركة، بعيداً في علياء النهر. غير أنها كانت مشغولة داخل الخيمة، ولم تراقب ما كان يتم في الخارج.

واستطاع الدب، بمعجزة، أن يمكث ثلاثة أيام أخرى في أجمته قبل أن يتم اكتشافه. ولم يكن أغاغوك هو من اكتشفه إنما تاياووت. كانت ثمة أحجار في مكان ضيق من مجرى الماء تسهّل عبور المخاضة. لم يكن أغاغوك قد خرج للصيد في ذلك اليوم، وكان الطفل يلعب وحيداً أمام الخيمة، فاستهواه عبور النهر إلى الضفة الأخرى. ولاحظ هناك في إحدى الأجمات، كتلة سوداء أثارت فضوله، دون أن يتمكن من تحديد هويتها.

فاقترب ثم مد يده لأمساً ظهر الدب. لم يثر تاياووت الحافي القدمين، القادم بعكس اتجاه الريح، انتباه الحيوان الذي كان نائماً. الحيوان الذي ارتعش مع ملامسة الأصابع، ارتعاشة خفيفة. ولكن غريزته لم تنبهه كلية. بعدئذ غرز تاياووت أصابعه عميقاً في الوبر، بحركة طفولية نزقة ومسرقة. فوثب الدب، وتدرج يضرب الهواء بإحدى قوائمه ليجد نفسه على بطنه ثم نهض في الحال على مستوى تاياووت، وراح يزأر متكئاً على الأجمة.

سلسلة حركات شديدة السرعة، بدت وكأنها اندمجت مع الزمن، وحيدة، نادرة.

صرخ تاياووت. صرخة طويلة يائسة امتزجت مع زمجرة الحيوان. ما انتاب الدب، مع ذلك أي غضب، بل انتابه بالأحرى خوف غامض وتشوش

تام شمل كافة أحاسيسه وغرائزه. لم يكن قد تعرف إلى خصمه بعد. قام بهرح من تاياووت رائحة الرجل. كان تاياووت ساكناً دون حراك، إنما كان بهرح، والذب يزمجر، كان الواحد مثل الآخر، فريسة خوف مميت.

سمعت إريوك من الخيمة، صراخ تاياووت وزمجرة الذب ففسرخ هي الأخرى. أما أغاغوك الذي كان ينصب الفخاخ في سافلة النهر، فقد سمع زمجرة الذب وصراخ إريوك، ولكنه لم يسمع صراخ تاياووت.

تمت الأحداث، في وقت يقاس بأقل جزيء من أجزاء الثانية. رفة جفن، لحظة نصف نَفَس، ارتعاشة. ولاسترخاء الذب وانقضاضه على تاياووت، لم يكن قد بقي سوى لحظة، وتوتر عصب وتحريض عضلة.

كان أغاغوك قد بدأ يجري مستعداً لأن يقتل.

ومن الخيمة انطلقت إريوك تحمل البندقية، ثم تنكبت السلاح وسددت إلى الذب.

ولكن قبل أن تضغط على الزناد، وقبل انتهاء جري أغاغوك المجنون، تغير المشهد، كما لو قام أحدهم بخلق حياة هناك حيث لم تكن موجودة سوى تماثيل جامدة.

زأر تاياووت فجأة، إن جاز أن نعت بالزئير ذلك، الصوت الصادر عن تلك الخنجرة الرقيقة. وتدحرج على الأرض، ثم سرعان ما وقف على قدميه ولكن حجراً في يده. كان الذب يهاجمه. قذف تاياووت الحجر وأصاب الحيوان في صميم خطمه، فترنح الذب، وحدّ من اندفاعه ثم ركض في الاتجاه المعاكس هرباً من مهاجمه.

أطلقت إريوك الرصاص في اللحظة ذاتها. لقد ظلت مسددة السلاح على الذب حتى عندما هرب. هشمت الرصاصة رأس الحيوان الذي سقط.

مات الذب. كانت إريوك تركض مرتجفة فوق أحجار المخاضة، ثم أحاطت تاياووت بذراعها، وبلغ أغاغوك المكان.



كان الـ INUK يصرخ، بعدما وصل، ويكاد يبكي، ويرقص وهو يدور حول نفسه مصفقاً بيديه.

- أرايت؟ صاح أغاغوك، أرايت تاياووت؟ لقد جعل الدب يهرب. لقد انهال عليه بحجره!

ورفع الصغير عالياً في الهواء. يقذفه ثم يتلقفه، وكان تاياووت يضحك من أعماقه، ويصيح أيضاً. وكانت إريوك، وجهها مبللاً بالدمع، تبتسم على الرغم من ذلك، متأملّة صغيرها الفائق الشجاعة، الذي أمسى رجلاً تقريباً وهو بهذا الطول يرجم دباً بالحجارة، وكأنه يرميها على سمور مذعور!...

- تاياووت! صرخ أغاغوك. تاياووت!

ولم يجد مزيداً من القول، شيئاً آخر يصرخ به...

## الكذاب - SAGLOVOK

أمضت إريوك أياماً عديدة قبل أن تعبر عن الشيء الذي كان يدور في  
خلدها، الشيء الذي لم تبح به قبلاً قط، والذي يقلقها الآن.

ذات صباح لم يذهب فيه أغاغوك للصيد، فدعته إريوك للجلوس معها  
أمام الخيمة. كان تاياروت يلعب قرياً من النهر. كان عارياً يلج الماء أحياناً  
ويتسلى بالقبض على السرطانات ثم رميها طعاماً للأسماك.

- أغاغوك، قالت المرأة.

- ماذا؟

- ثمة شيء أريد أن أقوله لك، شيء مهم.

- إنني أسمعك.

- المهرب براون، أهو أنت من قتله؟

- أنت تعرفين ذلك. وسبق لك أن سألت هذا السؤال وأجبتك عنه.

- أجل إنني أعرف.

- وإذن؟

- لقد أعدموا راموك، كما يقولون، لأنه قتل أندرسون، وقتل أيايالك... أما

أنت؟

- أنا؟

- ألسنت مثل من هم في القرية؟ أم أنك هربت للعيش في مكان آخر؟

لم يجب أغاغوك. كان ينظر بانتباه إلى زوجته. والآن بعد أن تشوه وجهه، فما عادت إريوك تستطيع قراءة أفكاره إلا عبر مراقبة نظرتة. ولكن نظرتة في تلك اللحظة ظلت مُقفلة مُبهمّة، فعبزت إريوك عن تخمين أي شيء.

- وإن كنت لست مثلهم، تابعت إريوك حديثها. فكان من شأن قتل

إنسان أن يقصّ مضجعك.

- لماذا؟ لقد أراد أن يسرق مني جلودي.

- كان بوسعك الاكتفاء باستردادها دون قتله...

- ماذا تقصدين؟

- لأشياء. معرفة...

- معرفة ماذا؟

- هل أنت نادم على قتله؟

صمت أغاغوك طويلاً قبل أن يعزم على الكلام.

- لماذا تتحدثين معي ثانية عن كل هذه الأشياء؟ ألسنت امرأة مثل باقي

النساء؟

- أجل.

- لا يبدو عليك ذلك.

- إنني كذلك.
- لاتحدث النساء في قبائلنا وفي قرانا، هكذا بصوت عال، ولا يشغان بالهن بأعمال رجالهن.
- كان يحاول اللجوء إلى أساليب دفاع جديدة.
- إذن فأنا لست مثل بقية النساء.
- هذا واضح جداً.
- أنا إريوك، وحسبك هذا. ثم من نحن هنا، وحيدون في موطننا؟
- قوَس الرجل ظهره.
- نحن من نحن.
- نحن نختلف عن الآخرين.
- ربما...
- هل أنت نادم على قتل الأبيض؟
- لأعرف.
- كنت أصغر سناً، ولم تعش هنا زمناً طويلاً. وما كنت تعرفني ،مرفة جيدة.
- حسناً.
- وما كان لديك تاياووت.
- جَمَع الرجل كل قواه.
- تاياووت، تابعت إريوك، هو المهم. لو أحرقه أحدهم، في الليل؟...
- براون لم يكن تاياووت. إنما كان رجلاً أبيض أراد أن يسرق.
- ولكن ربما كان لديه أناس ينتظرونه في بلده... إذا ذهبت أنت وقتلك أحدهم، فسأنتظر. وإذا لحرمت من رؤيتك إلى الأبد سأبكي...
- غرق أغاغوك مرة أخرى في الصمت. فترة، ثم...
- وإذا كنت نادماً على قتل براون؟

- مقابل حياة أزهرت، لابد من إنقاذ حياة...  
- لأفهم قصدك، قال أغاغوك.  
- أنا لأتحدث عن اليوم.. إنما إذا جاء وقت تكون فيه مخيراً، فهل ستتهب  
حياة مقابل تلك التي أزهرتها؟  
- لأعرف ما الذي سأفعله.  
- هل ستتهب، هذه الحياة؟  
- حيرة.  
- نعم، ربما.  
أطلق تاياووت صيحة في النهر.  
- أي يا...!

كان تاياووت واقفاً في الماء، يمك برأس سمكة كبيرة تتخبط. فنهض  
أغاغوك قائلاً:

- اسمعي، عليّ أن أذهب إلى النهر.  
كان يتهرب. وكان ذلك جلياً. ولكنه قال ما يكفي لتكون إريوك راضية.  
كانت تتأمل، منفعلة، كليهما، رجليها، طفليها، تاياووت الذي بات واثقاً من  
نفسه، والآخر هذا الأغاغوك الذي سيحس بالندم على جريمة...  
إحساس ما اعترف به قط أحد من الاسكيمو.  
إحساس امرأة...

صادر عن هذا الفحل الجبار، هذا السيد الذي ركعت إريوك أمامه...  
أهو جبار، الفحل أغاغوك؟  
ولكن أين يكمن جبروته؟ في العضلات؟ في عطفات كل حركة؟ في  
الجهد المبذول لرفع جثة الرثة من الأرض؟  
في العناق.

أين إذن؟ تحت رحمة الحياة، في هزيمة الأعداء الهادئة، في الخطوة الواثقة،

التي تتجاوز العقبات بعيداً عن أي حماس، جيروت هادئ، متصلب...  
جيروت.

لم يكن في وسع أغاغوك أن يفسر قوته. كان يستيقظ في الصباح، مقبماً  
منفياً في عالم اللاشعور، الذي كان جاهلاً تماماً بجغرافيته. ثم يدخل عالماً آخر،  
عادياً مألوفاً بأيامه وبعائثاً على الطمأنينة أيضاً.

سلاح لكل عدو. ودفاع لكل تهديد. واقفاً بكامل وعيه، ماهراً في  
الاعيب الحياة، لم يكن أغاغوك يشعر بالخوف. كان يعرف وصفة النصر ضد  
كل حيوان خطر. وضد البرد، وضد رياح التوندرا العاتية، وضد البرق في سماء  
الصيف، وكان يعرف الملاجئ الأكثر أماناً. ويعرف كيف يختفي إن اقتضى  
الأمر، ويركض عند الحاجة، ويتحدى إن كان هناك ما يدعو إلى ذلك.

ولكن الليل؟

ولكن النوم؟

وإذا ما كان ثمة ثغرة في السور، وضعف في القوة، فقد كانا يظهران في  
أثناء أحلام الليل.

لم يقل عنها شيئاً، ما كان سيعرف ماذا يقول.

وإن كان متكدرأ عند الاستيقاظ، فكيف كان بمقدوره أن يشرح لإريوك  
بأن حيوانات متوحشة هائلة لاسم لها، كانت تنقض عليه - هو الأعزل - في  
أثناء النوم وتلتهمه؟

كان جرح الوجه مؤلماً كل ليلة. كم من ليلة نكأت فيها حيوانات الحلم  
جراحه، وكان الرجل يتدحرج، عاجزاً، على الأرض كل ليلة ويصرخ مستغيثاً  
ومتوسلاً ومتأوهاً.

عندما كان أغاغوك يتلوى أثناء الكابوس، وعندما كان العرق يفرقه، فإنه  
لم يكن يشك في أن إريوك المهمومة، كانت في كامل يقظتها تراقبه متكئة على  
مرفقها.

وكانت تهزه أحياناً لطرد الأحلام السيئة. ولكنها تعلمت منذ صباها، بأنه لا ينبغي مقاومة الأحلام، وبأن الأحلام هي من سكان عالم النوم، تعيش حرّة وقوية، إن طردتها الليلة فستعود في الليلة التالية أخطر بألف مرة.

لذلك لم تستطع إريوك أن تفعل شيئاً.

واستمر الأمر هكذا طوال أشهر.

كان ينتظر إريوك كل يوم جهد لا بد من إنجازه. عملها الأبدي الذي لن ينتهي حتى الموت. واهتمامها بثاياووت الذي كان ينمو سريعاً، ويعي العالم المحيط به، ويستقر توازنه مع الأشهر أكثر فأكثر، وتصير عضلاته مرنة يوماً بعد يوم.

وعجائب التوندرا.

وعما قريب، شقاء سهل الثلج...

ولاحت تباشير الشتاء. فصاروا نادراً ما يخرجون، منذ أن بدأت الرياح تدوي باردة شديدة كل ليلة. وفي الصباح كان الطحلب يتصلب تحت الجليد الذي كان يظل جامداً لا يذوب إلا في منتصف النهار، عندما كان دفء الشمس يتغلب على ريح الشمال ويجعل الطقس لطيفاً.

لقد اختفت الخضرة. وأمست التوندرا داكنة من جديد.

وهناك حيث كان الماء يتسرب من تحت الطحالب منتشراً على شكل غدران كان الجليد يتكون كل صباح، ولا يذوب تحت أشعة الشمس إلا بعد مضي وقت كل يوم.

وبدأت طيور الصيف ترحل صوب الجنوب. والحباري الذي كان أغاغوك يترصدها ويصطادها أيضاً طعاماً شهياً للطقس المعتدل، قد اتخذت هي الأخرى سبيلها إلى بلاد الشمس. وستصير التوندرا، قريباً، صلبة وقاسية، وسيصعد ال Permafrost إلى السطح، وستتطاير نُدافة الثلج الأولى، ناعمة مثل الملح على الطحلب.

وسيحل الشتاء على حين غرة.

كيف ستجري الأمور في هذا الوقت الخطير؟ كان موسم الصيد، و١٥ راء، والمؤونة كلها مؤمنة. وكانت الفراء ملء صرة هائلة للمقايسة في المرار التجاري، في الربيع القادم. وكانت الجلود الضرورية كجلود الرثة والدئاب وبعض جلود الثعالب والفقمات تشكل هي الأخرى ذخيرة نفيسة.

وكان الصندوق يحتوي على طلاقات تكفي الفصل كله بل أكثر. وما كان ينقصهم السكر ولا الملح، بل كان لديهم أيضاً كيس كبير من الشاي، ترف كان أغاغوك يزهو به. وكان عندهم الدهن والشحم بل والزيت المقطر تقطيراً صبوراً، وكانوا قد أمتنوا الضروري من المواد الدسمة.

وليات الشتاء فإنهم ليسوا بحاجة إلى شيء.

وإن كان ثمة ما يقلق روح أغاغوك فلم يكن ذلك بسبب الشقاء المحتمل قط - الآن بعد أن مضى عليه شتاء آخر - بل كانت هناك أشياء أخرى لم يكن بوسعها تفسيرها. المشهد الخاص براموك ربما، وزيارات الشرطة، وحادثة الذئب؟ لم يكن بمقدوره أن يعرف ما يقلقه بالضبط.

إضافة إلى كل الباقي، هذا التردد في الحياة الذي تعلم أن يواجهه في وقت مبكر، ومكائد مواجهة الشرطة، وإزعاجات القرية التي كانت تعتبر جزءاً من الحياة، ومما يمكن للحياة أن تجلبه، إضافة إلى كل ذلك كان ثمة قلق يعذب أغاغوك.

كان يكتشف إريوك شيئاً فشيئاً، كل يوم، اكتشافاً بطيئاً يبدو لانهائياً. وما كان يكتشفه كان يدفعه للتفكير.

لقد أحب في البداية جداً وجه زوجته الأملس الجميل، وجسمها المتين العضلات، القصير والسمين، الذي كان يعانقه بمتعة. كان يشتهي جسد إريوك. ثم بعد مرور الأشهر، بدأ يثمن مهارتها في إنجاز أشغالها، وقوتها، وصلابتها.



بعدئذ جاء الطفل. جاء صبيّاً. وكان عرفان أغاغوك بالجميل عميقاً تجاه إريوك.

لقد اكتشف أغاغوك أن كل ما يؤلم زوجته إنما يؤلمه بالمقابل، وكان يشعر بالتالي بالحاجة إلى أن يخنق وأن يضرب بل حتى أن يقتل. كان يعاني من إحساس يفقده صوابه. ولكن ما تفسر تلك الرغبة الوحشية في القتل، عندما كانت إريوك تتألم؟

بعد حادث الذئب بانت له المرأة، من جديد، على حقيقتها. لقد كانت من قبل، الأنثى الغالية، التابعة له، التي كان يتمسك بها بقدر ما يتمسك ببندقيته، وفخاخه وطلاقته، والموقد المعدني، والقنديل المعلق في الكوخ.

عندما وقع حادث الذئب، وأخذت إريوك تعتنى به اعتناءً صبوراً، وتصطاد من أجله، وتكشط الجلود وتقطع اللحم، وعندما رآها قلقة ومتفانية، ومصغية إلى كل أنة من أناته، فقد أصبحت بالنسبة إليه أكثر من أنثى. وشعر بارتباك عصي على التفسير.

لم يكن العرف في سلالته يسمح للمرأة بأن تتخطى دور الأنثى الذي فرضته عليها تقاليد آلاف السنين. ومع ذلك فأبي دهاء جامد وهادئ، ومُحجّر أظهرته إريوك إزاء رجال الشرطة... لقد أنقذته، وهذا مؤكد. ووجد أغاغوك الكلمة الصائبة متهماً إريوك بأنها تتحدث بصوت عال، عال جداً، أعلى مما يُسمح به لنساء القبيلة.

أن تصير أكثر من أنثى، إذن امرأة؟

ولكن ماذا كان يعني ذلك؟

وماذا قصدت بالتحديد؟... دفع فدية لموت براون؟ واليوم هل سيحرق براون بالثبات الهادئ ذاته؟ أم سيفكر مرتين قبل الإقدام على ذلك؟

قالت إريوك: «كنت أصغر سناً...» ولكن ذلك كان قليلاً بمقياس السنوات والأشهر... ماذا كانت تريد أن تقول؟ أن تشيخ، يعني مرور الزمن، ولم يسبق له أن رأى شيخوخة أخرى.

والآن إذا وضعتُ بنتاً، فستطالب بالبقاء على حياتها!

إن ما كان يقلقه على نحو خاص، إضافة إلى كل الباقي، حجة تمتد الخوف في نفسه، هو نفوذ إريوك وتسلطها. تسلط إريوك.

لذعته الكلمة. لم يستطع تحمل هذه الفكرة. أنثى أقوى من الذكر؟ كان ينبغي أن يكون بوسعه جلدُ هذه المرأة بالسوط! وأن يقهرها، وإن كان يحبها، إذ كان عليه أن يبقى سيداً في خيمته، وسيداً في كوخه.

كان يهيم على وجهه في التوندرا، عيناه مترصدتان بحثاً عن طريدة يقتلها، وفي رأسه الاعصار الذي كان يؤرقه ويعذبه. من صارت إريوك؟ أقوى منه؟

أكان لا بد من الإبقاء على حياة من أجل التكفير عن موت براون؟ تلك قيمٌ لم يعهدها من قبل.

أكان يجب ترك البنت على قيد الحياة؟ لا بأس. إنهم لن يحتاجوا إلى المؤونة في هذا الشتاء، ولكن الشتاء القادم؟ الصبي ينمو سريعاً. وبعد مضي وقت قليل يجلب بنفسه حصته من المؤونة. أما البنت؟ فبمجرد قدوم الشتاء قاسياً ينبغي إطعام فم زائد، وسيكون ذلك عبئاً ثقيلاً...

كان لا بد من التصميم على المقاومة. فإن ترك إريوك تفعل ما في ذهنها، سيكون بإمكانها أن تتناول عليه. وسيمكنها ذلك من أن تكون صبورة، وأن تقلق عليه. وسيساعددها في الكثير من الأشغال إذا ما استدعى الأمر، وسيجعلها تقول...

ولكنه سيقتل البنت عند الولادة!

وإن توجب عليه أن يقوم بذلك سراً، وإن أرغم على إبلاغ إريوك بعد إنجاز العمل.

لقد رجع هذا المساء مصمماً على تنفيذ قراره، عيناه جامدتان، وفي روحه الإجابة على كل مخاوفه. كان بوسع إريوك، أن تكون امرأة مختلفة عن باقي

نساء القبائل، ولكنها ستخضع للعرف، للحاجة، بل للضرورة. لن تبقى البنت على قيد الحياة. ولا ينبغي لها أن تبقى. وليكن ذلك درساً ليس إلا، للمرأة، يعلمها أي مكان بالتحديد عليها أن تشغله في حياة زوجها.

أنثى، أنثى ذات قلب كبير، طيبة ومجدة، وماكرة أيضاً، وماهرة في الصيد مثلها مثل أي INUK، ولكن ليس أكثر من أنثى.

أما السيد، فكان هو.

عندما دخل الخيمة كان المساء قد حل، وكان الموقد ينش ناشراً حرارة لاسابق لها.

عارية، كانت إريوك تنتظر زوجها. كانت جالسةً وفخذاها منفرجتان وثدياها ناهدان. كانت تبتسم. وكان فرجها الأشعر معتماً ومغرياً على نحو عجيب. فتداعى كل شيء في داخل أغاغوك، كل ما صمم عليه، حتى انتفاضة القوة، وتقدم بصمت نحوها.

كان الصغير يلعب غير مبالي فوق دكة الطحلب بالسيور الجلدية.

وكان نور خفيف متحرك يعم الخيمة. وكان الجو عابقاً برائحة العرق والشحم واللحم النتن الطيبة، الرائحة التي أسكرت أغاغوك، فأصدر بغتة نوعاً من زمجرة مبحوحة، ثم ارتقى على إريوك، يدها مرتعشتان ومنقبتان وشرستان تقريباً...

أغاغوك الجبّار...

## البنت - NIVIAKSI AK

استعادت القرية، منذ مدة طويلة، إيقاع حياتها السابق. ولم يعد أحد يتحدث عن راموك ولا عن جرائمه. استقبلت زوجة غوروك رجلاً آخر في كوخها. رجلاً متوحداً لم يكن لديه أحد يمضغ الجلود، ويحافظ على نار القنديل مشتعلاً...

أما اوناك فقد ذهب إلى الماء الكبير لاصطياد الفقمات. رافقه شابان من القبيلة اقتسم معهما مسكناً واحداً. قُتل واحد من هذين الشابين بضربة على الرأس بينما كان نائماً، وسرقت الفقمات. وكانت كوريباك، والدة الضحية، امرأة أخرى تتحدث بصوت عال، هي من أبلغت عن الجاني. ولكنهم لم يفعلوا شيئاً مع اوناك، لأنه وافق على إعادة فقمتين وتعويض الثالثة بمئة رصاصة.

نزفت إحدى النساء دمها كله ذات ليلة. لقد تركت فخذيها منفرجتين فوق المقعد الجليدي، فشكّل الدم بركة تزداد غزارة على الأرض. واستدعوا

الساحر الجديد، الذي ألصق الجراب الرطبة المليئة بالتوائم المقدسة على الفرج. ولكن دون جدوى، فقد ماتت المرأة في الصباح الباكر، كما لو أنها كانت نائمة تماماً. اعتقدوا أنها قد أنقذت. وتوقف النزف. إلا أنها كانت قد ماتت...

واحد من المسنين، وهو «هالا»، خرج من القرية وشيّد لنفسه الكوخ الأخير، حيث انزوى فيه دون نار وبلا تموين. فمات بعد عدّة أيام. كان قد كفّ عن الصيد منذ سنتين. كان في آخر مشواره.

ومات طفل نتيجة ألم في البطن، لم يتمكن الساحر من شفائه...

تركت زوجة أونيتوك زوجها لتعيش مع رجل آخر لديه امرأة ثانية، ولكنه يريد العيش مع اثنتين قاصداً بذلك مضاعفة ملذاته. وكانت زوجة أونيتوك راضية هي الأخرى بهذه الأشياء، ولذلك فقد أنجبت ببساطة، طفلاً من فحلها الجديد...

على هذا النحو كانت تجري وقائع حياة هادئة، وما الأيام المشار إليها إلا جزء طفيف من الزمن الإجمالي. كان بالوسع إحصاء الكثير من الأيام التي لم يحدث فيها شيء. صيد، واستراحة، ونوم، وطعام، وعمل نساء وجماع يومي، وسأم الزمن الرتيب.

إن إيقاع الحياة هذا، والذي هو ضرب من دورة يومية متجددة، لم يكن مختلفاً كثيراً عن إيقاع الحياة التي عاشها أغاغوك وإريوك، ولم يمنع عدم وقوع أية مأساة في حياة الزوجين من أن يخيم على الكوخ كرب شديد. وكان يتنامى تحت هذه السكينة الظاهرية، على امتداد الأيام الطويلة، وأثناء الصيد العرضي، وعلى الرغم من كل الأفعال والجهود الروتينية، توتر متصاعد يستحوذ على أغاغوك.

سيولد الطفل الثاني قريباً.

وكان هذا هو الأهم حقاً. كانت إريوك الحامل تمشي بتثاقل، وكان نَفْسُها ضيقاً. فبين يوم وآخر ستمدد إريوك وسيخرج الطفل من بطنها. ولكن من سيكون؟

- ستكون بنتاً، قالت إريوك ذات يوم، وكأنها تتابع فكرتها بصوت عال.  
ستكون بنتاً.

أما أغاغوك الممدد على المقعد الجليدي يدها تحت قذاله، فلم يتحرك ولم يرد. غير أنه كان يحس بقلبه يدق دقات أسرع.

- سيكون الأمر سهلاً هذه المرة، قالت إريوك بعد فترة. إنه دائماً كذلك بالنسبة إلى الطفل الثاني...

وكانت تعد على أصابعها.

- امرأة من القرية، أنجبت أربعة عشر ولداً... مثلما عددت لك على أصابعي. ولم تتعذب إلا أثناء الولادة الأولى.

لم تنتظر إريوك في أثناء هذا الحمل، نمو الطفل في بطنها، ساكنة جامدة. فلم يمض يوم إلا وكانت تؤدي كامل وظيفتها بقوة عضلاتها وكانت تنجز دون شكوى، كل الأعمال التي تقوم بها عادة المرأة الاسكيمو.

سيولد الطفل بسهولة، لأنها كانت تشعر، عندما تلمس بطنها، بعضلاتها مفتولة ومتينة، وكانت ساقاها صلبتين. من سيولد من هذا البلطن؟ الذكر الذي كان يريده أغاغوك؟ أم البنت التي كانت إريوك تتمناها؟

- ستكون بنتاً، كررت إريوك.

كان أغاغوك يكظم غيظه. أيام قوة، وأيام ضعف. فيوم يؤكد فيه لنفسه بأنه سيقتل الطفل إن جاء بنتاً. ويوم آخر، وإذ يتسامح فيه أمام رغبة إريوك، يقسم هو نفسه بأنه سيدع ابنته حية مثلما وعد.

عذاب أيضاً. وقلق شديد. حالة جديدة بالنسبة إلى أغاغوك، الذي لم يكابد فيما مضى قط هذا العذاب المميت. لقد سبق له أن عانى كفاية من القلق خلال الأيام العصيبة، ومن الخوف من المجاعة، والخوف من الهلاك والمخاطر - فألف خطر وخطر، دائم كان يترصده فوق السهل الثلجي - وحياته في نهاية المطاف، وهموم البقاء من يوم لآخر. كان يعاني الكثير من هذه الإضطرابات ولكن دون أن يجرب غيرها.

وجاءت الأخرى دون أن يسعى في طلبها.

لم يكن يعرف بأنه من الممكن أن يتعذب جراء قلق واحد، ومأزق واحد، وكان الأمر حساساً. إذ كان يشق عليه التفكير في هذه المشكلة. ولم يكن ليدركها إلا بصعوبة.

ظلت غريزة، غريزة كانت تملّي الوجع وتوجهه وتغيره. فما كان ينبغي أن تبكي إريوك. وحتى عندما كان أغاغوك يحس بنفسه قوياً وسيداً، كان ثمة شيء مبهم في داخله، ثمة صوت يميزه ولايكاد يسمعه يذكره بأنه لو خنق البنت عند الولادة فستبكي إريوك.

وهذا ما لا يريده.

كانت إريوك تسمن كل يوم أكثر فأكثر. حتى صارت ضخمة، بطنها متمايل، ثدياها مثل قربتي ماء، وجهها داكن معلّم يقع مائلة إلى البياض.

كان الشتاء قد اشتد، عندما شعرت إريوك ببوارد المخاض، بوارد خفيفة، وخزة ألم من شمال البطن ليمينه، ثم تلاشى.

وكانت عاصفة ثلجية تعصف بالسهل وتدمر كل شيء وتغطيه. لقد توقفت الحياة، ولم يبق سوى زمجرة الريح، وهجمة الثلج العنيفة.

وكان وجه أغاغوك يعبر، خلال أيام، عن دنو الوقت العصيب، إذ أمست الندبة الوردية اللون، المحمرة قليلاً، أمست كابية. حيث كان يظهر أحياناً ألم غامض. وعلى ضوء المصباح الذي كان ينير بإفراط الثغرات والظلال كان وجهه مرعباً أكثر من أي وقت مضى. وبقدر ما كانا يعيشان نصف حياتهما في الخيمة ونصفها الآخر خارجها، فلم تقاوم إريوك دمامة فحلها. أما في الكوخ فقد صار الوجه المحرّب حضوراً مفزعاً.

مع قدوم العاصفة الثلجية التي دامت ثلاثة أيام ثم أربعة ثم خمسة أيام بدأت إريوك تحس بهلع غريب في داخلها. هل حان موعدها، أهو هيجان الحمل العصبي؟ لم تعرف ذلك.

كان أغاغوك مثل كابوس أمامها، وجهه الذي ماعدت تها. فيه مراً، الوجه الذي ما عاد وجهاً بشرياً إنما صار خلقة بشعة قبيحة. هذا الوجه الذي ينبغي عليها الآن أن تعيش معه.

أكان ذلك قدراً يجب تحمله؟ وكم من السنين؟ أكان ذلك يقاس بالأشهر أو بالفصول أم بالتمرد؟

- سيكون الطفل جميلاً! صاحت إريوك. ستكون بنتاً أجمل من الثلج الكبير، وأجمل من أزهار التوندرا!

كان الألم قد عافها قبل قليل، ولم يكن أمامها من ملاذ ولا أمان سوى هذه الصيحة، شاهداً على وجع بطنها، وعلى ألم يتزامن مع النهاية القريبة، وألم آخر مبرح لم تستطع إريوك مثلها مثل أغاغوك أن تدرك معناه، وهو ألم الخوف من الحياة.

العيش ولاسيما إزاء هذا الرجل...

كل واحد منهما ال INUK وزوجته - مشدود بعيداً عن الآخر إلى فكرة صماء وخفية وبالغة الدقة. بحيث لا يستطيع هذا مثل ذاك التعبير عنها، أو هذا مع ذاك التغلب عليها.

«هل ستكون بنتاً؟» كان أغاغوك يسأل نفسه.

«ستكون بنتاً، ولن يكون بوسعها أن تعيش أكثر مع وجه هذا الرجل الذي لأستطيع...»، كانت إريوك تقول في نفسها.

وكانت تغير الرعب. فليست إريوك هي من لن تستطيع العيش على هذا النحو، إنما البنت، التي ستولد، رقيقة جميلة، هي من ستراجع هلعاً أمام أغاغوك، والدها.

وأمست الأيام ساعات، وكل ساعة صارت أطول من يوم. كانت الدقائق تحسب على إيقاع دقات القلب. إيقاع ثقيل بطيء يدفع الدم إلى الصدغين. عند إريوك كان مسير الطبيعة يزداد في داخلها. وعند أغاغوك كمية الصمت



المتراكم الذي لم يستطع الكف عنه: جزع وخوف، ومع مرور الساعات تصميم متزايد كان يلزمه، على الرغم من كل شيء، بالإنصياع للتقاليد.

كانت الشمس مشرقة فوق التوندر، واصطادت بندقيته الحيوانات التي تغلب عليها ربما بالغريزة. سيكتفي بعلامات الفرحة الخارجية هذه ليطمئن على المستقبل الذي بوسع فتاة أن تعيش فيه. علامة من السماء، شعاع شمس، ثلاث حيوانات مصطادة...

ولكن العاصفة الثلجية؟

هذه أيضاً كانت علامة من السماء. فإذا ما استمرت الريح حتى وقت الولادة، أأن يكون هذا هو صوت الأرواح الشريرة؟ AGIORTOK! لقد قالت: ستموت البنت!

يخفق القلب خفقاناً قوياً، ستموت البنت! استئناف، وسواس، ستموت البنت! وكل خفقة بتوكيد.

وفي الخارج، كانت الريح تصفر.

كان أغاغوك يستعيد الوقائع المعروفة في ذاكرته. تجربة السنين. صيف ردي، وغياب الحيوانات الدوري - دونت الأغاني هذا الغياب - وإقامة الـ AGIORTOK، الروح الشريرة في السهل، وما من طعام في منتصف الشتاء القادم... بوسع هذا أن يسبب المجاعة في الكوخ. وفي مثل هذه الأوقات فإن البنت أو العجوز أو أي طفل ذي عاهة يزيدون الشقاء شقاءً. ويكونون عبئاً لا بد من القضاء عليه...

وخفقان القلب، ستموت البنت مخنوقة، مرمية، عند الولادة، خارجاً للكلاب أو الذئاب.

وإريوك؟

وإريوك؟ ستبكي. ولكن يجب أن لاتبكي. فليس بإمكان أغاغوك أن يتحمل ذلك.

وفي الخارج كانت الريح تزمجر، كان ذلك جحيماً...

والحال هذه، فإن هبت رياح الثلج، كما يقول المسنون، فإنها ... ٥٠٠٠٠٠  
أسابيع دون توقف. وتأتي هذه الرياح دائماً كما يؤكد المسنون، أيضاً ١٠٠٠٠٠  
تقل المؤونة في الأكواخ!

قال رجل أبيض ذات يوم: «إنكم معشر ال INUIT تأكلون كثيراً جداً  
ولاسيما في فصل البطالة. أنتم شروهون. إن إطعام أربعة أشخاص من الاسكيمو  
خلال شتاء واحد، يحتاج إلى لحم عشرة رئات».

يعرف البيض دائماً قول الكلام الكبير، وتقديم النصائح... أما الاسكيمو  
فيعرفون فن العيش. لكل معرفته. وإن كانت ثمة معرفة يمتلكها الاسكيمو،  
أفليس هي، كما كان أغاغوك يفكر، تجتّب الأفواه العديمة الفائدة؟

هذا ما عليه أن يقوله لإريوك بعد موت البنت. عليه أن يقنع المرأة بأن  
ذلك لم يكن فقط عادة أبدية، بل ضرورة من أجل البقاء أيضاً. ستموت البنت  
وإن كان كل شيء متوفراً الآن، فكان لا بد من التفكير في الشتاء القادم. وفي  
الشتاءات الأخرى حتى تصير البنت قادرة على مضغ الجلود والخياطة وتأمين  
رزقها كذلك.

كان أغاغوك يتخذ القرارات.

ثم جاء الوقت، وفاجأ الاثنين...

لقد كانت النساء المسنات على حق. ستكون الولادة الثانية قليلة العذاب  
لأن المرأة لم تتوقف عن شغلها حتى آخر يوم.  
وجاء الوقت دون مخاض.

شعرت إريوك، ذات لحظة، بألم شديد يخترق بطنها من جنب لآخر.  
فاستلقت على ظهرها. لأن الجنين كان يوشك على الولادة.

## السعادة - N'AKOKSANIK

قفز أغاغوك مع صرخة إريوك وعويلها الوحشي المكروب.  
متذكراً ولادة تاياووت، خلع أغاغوك بسرعة ثياب إريوك. كانت إريوك  
مستلقية وهي عارية على جلد من جلود الرثة، وجهها متوتر، بطنها منتفخ، مثل  
كتلة دميمة من فوقها.

وراح تاياووت الذي أيقظته الصرخة، يبكي فزعاً.  
قرفص أغاغوك عند قدمي المرأة، يراقب بأعصاب باردة، الفتحة الفاغرة  
التي كان يُرى فيها رأس المولود.

- لن يطول الأمر، قال أغاغوك بصوت هادئ.  
وكان ذلك كل ما قاله.

ومزّق وجع آخر أحشاء إريوك، وبان الطفل. لقد انزلق رأسه بسهولة إلى خارج البطن، كما لو أن يداً داخلية تضغط على كيس لعصر محتواه. كفت إريوك عن الصراخ. أئين فحسب كان يتصاعد من داخلها، أئف مرة من أئنها ليلة ولادة تاياووت.

كان أغاغوك قد مدّ يديه في انتظار الإمساك بالمولود.

عندما انزلق الكائن الجديد فجأة بعد بذل آخر جهد، وسقط على يدي أغاغوك، قام هذا الأخير وقطع، بحركة واثقة، حبل السرة، بمديّة من العاج. فوق... بعيداً جداً عن أغاغوك كانت إريوك تبدو وكأنها تنن. بعيداً إلى درجة أنه ما عاد يسمع أي شيء. وكان صوت قوي يدوي في داخله، فظل مقرصاً حاملاً المولود بين يديه. لم ينظر إلا إلى العضو التناسلي.

أئنى!

الآن حالاً، وإلا أبدأ. كان عليه أن ينتهز نصف غيبوبة إريوك والحظة سكون الصغيرة.

فدبّ أغاغوك مثل حيوان، ماسكاً بيد واحدة الجسم الصغير اللزج. وتوجه بهدوء نحو النفق. كان يعرف ما ينبغي فعله. فما أن يصبح خارجاً حتى يخنق البنت بحركة فاصلة، ويدق عنقها في الوقت ذاته. ثم سيرمي الجسم على الثلج. حيث سرعان ما ستتغذى به الذئاب والكلاب، وحيث لن يبقى له أثر في الصباح.

كان يدب. وكان صوت حركة جسمه هو الصوت المسموع الوحيد، صوت احتكاك ليس إلا، صوت دقيق لا يلتقطه إلا سماع شديد الرهافة.

كان تاياووت نائماً.

كان أغاغوك يوشك أن يبلغ النفق عندما علا فجأة صوت إريوك قوياً عنيماً.

- أغاغوك!

تجمّد أغاغوك. وكانت الصغيرة ساكنة طوال الوقت في حضنه. أدار رأسه إلى الخلف. كانت المرأة جالسة والبنديقية في يدها مسددة على أغاغوك. - الآن، قالت إريوك، اجعلها تتنفس.

تردد لحظة. ثم نهض بصمت مشدوداً كحبل خطّاف. وأفرغ، باصبع متوترة، فم البنت من الغشاء المخاطي المتراكم فيه. ثم علقها من قدميها بإحدى يديه الخشتين، وبالثانية ضربها على ظهرها.

ففعلت الصغيرة، كما فعل تاياوروت في وقته. التوت فجأة، ثم انطلق بكاء طويل، یرن بین جدران الكوخ الجليدية. - أعطني إياها. قالت إريوك.

ومدّت ذراعيها، فوضع أغاغوك الطفلة بينهما. تفحصت إريوك الجسم السمين طويلاً. وجسّت الأعضاء المكتنزة، ثم مسدت على الرغب الأسود فوق الرأس. وبحركة شبه متعجّجة، بحركة مداعبة شبه حسّية، انسابت يدها على مهل، فوق بطن الصغيرة ثم لامست برفق فرجها المقبّب، وأخذت تتأمله حاملة، وكذلك جذعها ثم رأسها أيضاً. وابتسمت. ستكون فتاة جميلة. ووضعت، وهي سعيدة، الطفلة فوق جلد الرثة إلى جانب البنديقية.

ظل أغاغوك ساكناً. وإن كان ثمة غضب في داخله، إلا أنه كتمه. أما إريوك فقد كانت تنظر بيروود وتستند، نصف جالسة، على الجدار، وتشير بإصبعها إلى الطفلة ثم إلى البنديقية قائلة:

- ما هكذا ينبغي التصرف يا أغاغوك.

وكان أغاغوك ساكناً لا يتحرك طوال الوقت.

- اسمعني، أضافت إريوك. عليك أن تقرر بنفسك. لا أريد أن أجبرك. استراح أغاغوك في الجلوس. أهكذا يجب اللجوء إلى مثل هذه الأشياء؟

والفوز وفق المنطق؟ إن العادات المتوارثة ومخاوف آلاف السنين، أمور مهمة .  
التعبير عنها. كان يبحث عن كلمات.

فسبقته إريوك.

- كنت ستقتل ابنتي؟

لم يرد في الحال.

- تكلم! ألحت إريوك.

- نعم.

- دون أن تعلمني بذلك؟

فهز كتفيه.

- دون أن تعلمني بذلك؟ كررت إريوك.

- نعم.

كانت دارة زرقاء تحيط بعينيها. وكان يبدو أن بطنها الذي ظل كبيراً  
جداً، ما يزال يؤلمها. إذ كانت تشنجات من الألم تعصف بها بين حين وآخر.

- لا أستطيع الإبقاء على حياتها، قال أغاغوك.

كانت تلك حجته الأولى والوحيدة التي قدمها. لا ينبغي الإبقاء عليها.  
كان ذلك منافياً لكل منطق. فيما بعد، ربما عندما يكبر تاياووت...

- سيصطاد تاياووت ذات يوم، قال أغاغوك. يومذاك سنبقي على حياة  
بنت وربما بنتين...

هزت إريوك رأسها قائلة:

- كلا، إنني لا أسمعك.

- هذا كل ما لدي من كلام، قال أغاغوك بصوت خافت.

قامت إريوك بحركة منهكة مشيرة إلى المقعد الجليدي قائلة:

- اجلس، واصنع إلى ما سأقوله لك. اصنع جيداً.

كان واضحاً أنها لا تزال تتألم. وكانت نوبات الوجع الشديدة تشوه وجهها. وظهرت غشاوة على عينيها، وتكشيرة على شفيتها وبن اللعاب في زاويتي فمها. وعلى الرغم من ذلك فقد انبعثت في المرأة قوة جديدة، استوقفت أغاغوك وسمرته في مكانه، فجلس مدعناً أمامها.

- إن هذه الحياة التي نلعب بها، إنما هي حياتنا. قالت إريوك بصعوبة.

كانت تتكلم بصوت مُقَعَّر، غالباً ما كان الألم يفسده.

- هل تفهم يا أغاغوك؟

كانت تلح. أما هو فكان صامتاً.

- إن تهلك البنت، فما الذي سيبقى؟ إن تنتزع مني ابنتي فماذا سأفعل؟

كان يجابها بنظرته.

- أنت لست امرأة من الاسكيمو، قال أغاغوك مرتداً إلى خطوط دفاعه

الأخيرة، إنك تتكلمين بصوت عال جداً. وأنا بإمكانني أن أرغمك على الصمت.

- سأرحل. وسأصطحب معي تاياووت! سأخذ معي بعض الجلود

وبندقيتي وبعض الطلقات. ستستيقظ ذات صباح ولن تجدني هنا.

- إلى أين ستذهبين؟

- لا أدري. ولكنني سأرحل.

- سألاحقك. وسأقتلك ثم أستعيد تاياووت.

- كلا. لن تعرف في أي اتجاه سرنا.

- سأعرف. ليس بإمكانك انتزاع تاياووت مني.

- وأنت تريد أن تنتزع مني ابنتي؟

وألقت بجسمها إلى الورااء فجأة. لقد تشنَّج بطنها فأنت ٠ بل ٠ وان  
مذعور...

كان أغاغوك ينظر إليها قلقاً. ويعرف بأنها لو بدأت تبكي فلن يكون  
بوسعه أن يقتل الصغيرة... إلا أن إريوك استقامت، عيناها جافتان، نظرتها مثبتة  
على أغاغوك.

- لقد انتهى. كان مجرد ألم عابر.

كانت إريوك تصارع الوجع في معركة تجلّت في تركاتها، وفي الهلع  
المرسوم على وجهها، وفي جبينها الناضح بالعرق.

- ماذا ستفعل يا أغاغوك؟ سألت بعد حين.

نهض ال INUK. نهض بهدوء، يدها متدلّيتان، نظرتة ثابتة. لم يكن  
يتجرأ على القيام بحركة. لم يجد في نفسه الاستعداد لذلك. ظل واقفاً هناك،  
حاشراً رقبته في ياقة معطفه.

- هيا تكلم، قالت إريوك. قل لي ماذا ستفعل؟

كانت الصغيرة تصرخ، فحوّل أغاغوك نظره نحوها.

- لا بد من غسلها. قالت إريوك.

فانتفض أغاغوك. كان يبدو له أنه قد أفاق من حلم. ما الذي حدث؟ من  
سيكون السيد في هذا الكوخ؟ امرأة؟ الأنثى التي ولدت قبل قليل؟

وصاح فجأة:

- أنا السيد! ستموت الصغيرة. وأنت لن ترحلي. وإن حاولت يوماً انتزاع  
تاياوروت مني فسأقتلك كما أقتل كلبة.

وظهرت العادات البالية، وأرغم أغاغوك نفسه على الاعتقاد بأن المرأة  
بوسعه أن تبكي أمامه، وتتوسل إليه، وبأنه لا ينبغي عليه أن ينصاع لها. ولا أن  
يكثرث بها.



فقفز فجأة، قفزة دفعته صوب البنت التي كانت تصرخ على جلد الرنة، وقبل أن تتمكن إريوك من القيام بأية حركة، كان أغاغوك قد استولى على الصغيرة وهرع بها نحو النفق.

ولكن صوت إريوك استوقفه من جديد. كان عواء وحشياً هذه المرة. صرخة بدئية لم يسبق لأغاغوك أن سمع مثيلاً لها في حياته.

كانت المرأة واقفة، دون بندقية، مائة يديها الفارغتين. وكان منظر بطنها الذي لا يزال منتفخاً يبدو غريباً.

- لا، يا أغاغوك، لانتقلها! اسمعني!

كانت تتوسل.

- حياة، مقابل حياة براون! صاحت إريوك من جديد.

اسمعني يا أغاغوك. هو ذا بوسعك أن تنعله. حياة هذه البنت مقابل حياة براون. رستطمتن روحك إلى الأبد! أوكد لك!

كانت تبكي بكاء يقطع كلامها ويزعزع كيانها.

- رافة، يا أغاغوك، اترك لي ابنتي. لانتقلها.

لقد ضُعن أغاغوك مرة أخرى أمام المرأة، ودموعها التي يمقتها مقتاً شديداً، ويستحيل أمامها رجلاً شديداً الضعف.

- اترك لي ابنتي.

متسماً بالأرض، كان أغاغوك عاجزاً عن القيام بأدنى حركة. شيء ما جمده، قوة هائلة، ولم ير في داخله أية رغبة في مقاومتها.

أسبلت إريوك ذراعيها اللتين كانت قد مدتهما متوسلة بأن يضع أغاغوك الطفلة بينهما. وعلى وجهها كان حقد قد حل محل النوسلات كلها والأوجاع كلها. حقد لم يتخيله أغاغوك من قبل أبداً. حقد ظهر في عينيها

وفي غضون شفتيها، وعلى كامل وجهها، عنيفاً عصياً على الوصف.

وانبثقت فجأة، في داخل الرجل رغبة جديدة: لتبديد هذا الحقا، إذ لاح له المستقبل، على حين غرة، حياة مملّة معاشة يوماً بعد يوم، خالية تماماً من الحنان السابق... لاشيء سوى الغل، وهذا الحقد الذي عليه أن يتعلم كيف يتعايش معه...

وهو شيء فوق طاقته، ولكن لماذا لاتدرك إريوك إذن؟  
- عليك أن تستوعبي. قال أغاغوك.

وإذ نطق الكلمات أدرك عدم جدواها. فإذا قتل البنت سيكون قد قتل إريوك في الوقت ذاته، أو على الأقل سيكون قد قتل كل ما كان لدى زوجته من فرح وسعادة. ويقدر ما كانت صورة السنوات اللاحقة تبدو له فجأة لاتطاق، كانت ذكريات الماضي تنبعث في مخيلته.

كابتسامة إريوك، وحنانها، وآهاتها الشهوانية المتصاعدة ليلاً. وكل خطوة قامت بها إلى جانبه، والإحساس بالسلام والأمان الذي أحس به قريباً جداً من... كل ذلك، حياتهما كاملة قد عادت الآن تدفع بقوة صورة المستقبل البشعة ولاتنسجم مع نظرة إريوك الجديدة، هذه النظرة الشرسة والقاسية.

- هيا اذهب واقتل البنت، قالت إريوك بصوت بارد. هيا افعل كما تشاء.  
إنك على حق، فأنت السيد.

واستدارت إلى الورا ثم ارتمت على المقعد الجلدي وهي تصيح:

- هيا. مادمت تريد ذلك. هيا! فأنا لأمنعك. سأرحل. ولست بحاجة إليك ولا إلى تاياووت ولا إلى البنت.

صحيح أنه كان بوسعها أن ترحل، خلسة ذات ليلة. وحتى إذا ما أدركها أغاغوك في اليوم التالي، أما كان عليه أن يقتلها؟ حسناً وكيف إذن؟... ميتة أو حية... ولكنها حية ستكون على النحو الذي كان يراها فيه؟

تقدم أغاغوك ببطء نحو المرأة. وبحركة مترددة قَدَم لها الصغيرة قائلاً:  
- خذي.

بقيا طويلاً على ذلك النحو، الواحد إزاء الآخر. عاجزين عن الكلام والحركة. كانت إربوك تضم الصغيرة إلى حضنها تخفيها بين ثدييها. وتلاشي الحقد من وجهها رويداً رويداً مثلما جاء. ونظرت إلى أغاغوك نظرة حنان أخرس. كانت تدرك كونها اسكيمو وكونها امرأة، أية معركة خاضها الرجل توأ، وأي نصر حققته هي. وبان لها الرجل عظيماً لدرجة أنها أتت أئيناً خافتاً. وما عاد أي شيء يخيفها في هذا الوجه المشوه ولا ينفرها.

وبالمقابل ماذا يقَدَم لأغاغوك؟...

هو، إنها عرفت سعادة جديدة، وفرحاً مفاجئاً وعظيماً لاتستطيع التعبير عنه. في لحظات حملها القائمة. وبينما كان يصعب عليها، في نطاق الكوخ الضيق، العيش إزاء وجه زوجها المشوه، كانت ترى إنه من المستحيل أن يبدو هذا القبح جميلاً ذات يوم. وعلى الرغم من ذلك فإن ما تحقق كان معجزة. أغاغوك يكاد يبدو جميلاً أمامها!

بالغ الرقة على أية حال، وطيباً وكرماً... مدّت يداً مترددة، ولمست الوجه المشوه قائلة:

- شكراً يا أغاغوك، شكراً.

وهوت على ركبتها. وبطنها القاسي مازالت كتلة بشعة متهدلة فوق الفرج.

- تمددي. قال أغاغوك. هيا تمددي.

وساعدها على الإستلقاء والصغيرة إلى جانبها. وشعر في داخله بدفء، بيهجة حارة لم يشعر بهما في حياته. كان سعيداً. ما عاد يرغب في الصراع، ولا في الانصياع للتقاليد. ستعيش البنت لأن إربوك ترغب في ذلك. كان يلمس زوجته ملاطفاً، وكانت هي تلمس الصغيرة.

- ستكون جميلة، قال أغاغوك، جميلة مثل تاياووت.

لمن كان العالم ينتمي؟...

- ستكون جميلة، ردّد. جميلة وقوية.

وبغته أطلقت إريوك صرخة قوية.

- هل تتوجعين؟ سألها أغاغوك.

أحنت إريوك رأسها بالإيجاب بشدة.

- بطنك؟

- نعم.

- ولكن ماذا يعني هذا؟ صاح أغاغوك.

ورأى جسم إريوك يتشنج تحت تأثير الألم ويتلوى.

- قل لي لماذا يا إريوك؟ ما الذي يجري؟

وبدلاً من الإجابة، صرخت إريوك من جديد، وصاحت، مثل حيوان،

بصوت مرتعش، مرعب ذاب بطيئاً في أنين طويل خافت.

- أغاغوك، أنت إريوك خلال هدأة، انظر!

وباعدت ما بين فخذيهما.

فرأى أغاغوك، مشدوهاً، رأساً آخر قد ظهر من المهبل، طفلاً آخر يستعد

للولادة في إثر البنت.

ومدّ أغاغوك يديه، كما فعل عما قريب.

وكان ذكراً، هذه المرة.

\* \* \*

# أغاثوك

أصبحت إريوك وحيدة بعد أن غادر أبواها الحياة الدنيا وتركها لمصيرها. وحين دخل المفترسون خيمتها صرخت مستغيثة فكانت تلك لحظة القدر التي رسمت حياتها.

في لحظة القدر هذه ظهر الفتى أغاثوك - وكان هو الآخر قد أصبح وحيداً، بعد موت أمه وانفراد الزوجة الجديدة بأبيه. وبحزم قاطع كحد السكين صرخ: دعوها فهي لي. وابتعد الجناة.

وحينها ألقّت إليه إريوك نظرة أكثر مضاء من الصراخ، صرخة مؤثرة ومذعنة أكثر مما كان يُخيل إليه، وأردفت قائلة: ماكنت أعلم أنني لك. فأجابها مستسلماً: أنتِ كذلك. ابتسمت ابتسامة غامضة وقالت: يروقني هذا!

وانطلقا في رحلة الحياة المشتركة. أين؟ وكيف؟ ومع من؟

في أرض قفراء، قاحلة، موطن الأحجار والشتاء المرعب، صحراء مكسوة بالثلوج الأبدية، في التوندرا.

زادهما الوحيد قوة الحب وإرادة الحياة. ما من قريب أو بعيد معهما. فقط هذه الصحراء ورئها. وليس لها إلا هو وليس له إلا هي. وإن يحدث لأحدهما شيء في هذه القفار؟ لنتصور عندها حال الآخر!

لنتصور إريوك وحيدة في الكوخ الثلجي تنتظر عودة أغاثوك الذي عليه السير ليومين كي يجلب حاجيات ضرورية. وإن يتأخر؟

لنتصورها وقد جاءها المخاض في هذا المنفى وأغاثوك لا يعرف ما يفعل. تصرخ وتتألم فيروح كالمخبول يضرب على غير هدى فزعاً من أن يحدث لها شيء. تصورات أخرى كثيرة، معذرة، إنها وقائع حية تملأ فضاء الرواية، تحبس الأنفاس وتستحوز علينا.

وإذا كان الكاتب الكندي إيڤ تيرويو قد أبدع في روايته «أشيني» فهو هنا يتألق في إبداعه، ويتابع إزاحة الستار عن عالم إنساني أرادت الآلة البيضاء بشرائها، بل قل بحماقتها أن تلغي وجوده. ولا نجد خياراً آخر بديلاً عن التعاطف معه برغبة جامحة.



دار الحصاد  
سورية - دمشق

ص.ب: ٤٤٩٠ - هـ/فا: ٢١٢٦٣٢٦